رحلة أوليا جلبي
إلى القفقاس

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ - ٢٠٢٠ م

اســــــــم الـكـتــاب:	رحلة أوليا جلبي إلى القفقاس
اســــــــم الـمـؤلـف:	عزت سلامة محمد سلامة
الموضوع:	تاريخ – رحلات
الـطـبـعـة:	الأولى
عــــــدد الصـفحات:	٢٦٦
رقم الإيـداع:	٩٧٨ – ٦٠٥ – ٦٩٧٤٢ I.S.B.N

التوزيع والنشر

٦/١١ شارع وحيد أفندي – حي توفيق بك – كوجوك

جكمجه – أسطنبول – تركيا – ت: ٠٠٩٠٥٤٥٤٨٨٦٨٧٠

هاتف: ٠٠٢٠١٠٢٧٠١٣٣٢٦ – ٠٠٢٠١٥٥٥٥٦٦١٣٩

E-mail: info@arabhistorypublishing.com
Website: www.arabhisorypublishing.com

رحلة أوليا جلبي
إلى القفقاس

الدكتور

عزت سلامة محمد سلامة



المقدمة

لا ينكر منصــف الدور التنويري الذي ســاهم به الرحالة والأدباء في تحســين الانفتاح الثقافي والمعرفي على العالم الخارجي خاصــة في القرن السـابع عشـر من الميلاد ويأتي على رأسـهم الرحالة أوليا چلبي[1] أشـهر من طـاف في البلاد؛ حيث جاب ٣٣ دولة من الدول القائمة آنذاك في ثلاث قارات آسـيا وأوروبا وإفريقيا، وكتب عنها وقت كانت هذه البلاد تفتقر إلى من يعرف بها لتكون كتاباته أســاسًــا لتاريخها وعلى مدى ٤٤ عاما نقل الرحـالة العثماني البارز كثيرًا من ثقافات وعادات وطباع البلاد وأخلاق شـعوبها، ومدى قربهم، وبعدهم عن الدين ووصـفه للمسـاجد والجوامع بكل دقة، والكنائس والقلاع والحصـون والأنهار والطرق والحمامات والأسـواق والحانات والمنازل.

---

(١) **أوليا چلبي**: كلمة آوليا هي تخفيف من الكلمة العربية اولياء وهي جمع لكلمة ولي وچلبي/ كلمة تصادفها كثيرًا في الأسماء التركية وأصلها چلب أو چالاب وهو تحريف لكلمة Saliba بمعنى الله في السريانية والمعنى رجل الله أو العابد ويقال إنها تحريف لكلمة صليب ويكون المعنى المسيحي، وقد أطلقها الترك في آسيا الوسطى على النصارى والرهبان وذلك في العصر الوسيط، ولما كان هؤلاء الرهبان أهل علم وحكمة أطلقوها على علماء الدين النصارى والعلماء عموما، ثم تطور المعنى فأطلقت على المتأدب والكاتب ورجل الشرع والسيد المهذب. انظر: تاريخ الأدب التركي، حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠ ص: ٣٨.

وتعد رحلة أوليا چلبي مصدرًا هامًا لدراسة الجوانب التاريخية والحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية للبلدان التي زارها، فقد دون ما يمكن فيه الأخذ بكلمته؛ حتى ولو لم تكن موثقة، فذاع صيته بوصفه رمزًا لأدب الرحلات، لكنه لم يكن معروفا كثيرًا بين العرب؛ بالرغم من أنه جال زمنيًا وجغرافيًا أكثر من الرحالة العربي الأشهر ابن بطوطة[1].

ويشغل كتاب سياحتنامه لأوليا چلبى مكانة فريدة في أدب الرحلات، وربما يكون من أطول روايات الرحلات وأكثرها تشويقًا لأي كاتب وأي لغة، وتعتبر وثيقة مسجلة لكل مظاهر الحياة فيما يخص الدولة العثمانية، وبخاصة في القرن١١ه ١٧م، كما أنها نتاج شخصية غير عادية رجل عثماني مثقف نبيل ورع وغير ذلك هو ملاحظ مدقق فضولي يسأل في كل شيء لا يترك شاردة ولا واردة إلا ويسجلها.

---

(١) **ابن بطوطة:** أشهر الرحالة العرب وأكثرهم سفرا أنه الرحالة العربي الشهير شرف الدين أبو عبد الله محمد بن عبدالله اللواتي ولد في طنجة بالمغرب في عام ٧٠٣ه- ١٣٠٤م، وكان شغوفًا بالرحلات وكان يجالس البحارة في طنجة ويسأل القادمين منهم عما رأوه في رحلاتهم وعن عادات الشعوب التي زاروها قام ابن بطوطة بثلاث رحلات فيما بين أعوام ١٣٢٥: ١٣٥٦ في كل مرة يبدأ من وطنه المغرب وينتهي إليه وفي وعينا الثقافي باتت صورة ابن بطوطة رمزًا لأدب الرحلات الذي أسس لانطلاقة الإنسان العربي لارتياد أقطار جديدة واكتشاف أحوال الأمم والتعرف إلى الآخر. ونقلها عنه محمد بن جزي الكلبي في مدينة فاس سنة ٧٥٦ه ١٣٥٥، وسماها تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، وقد وجدت رحلة ابن بطوطة عناية كبيرة من الباحثين، وترجمت إلى عدة لغات. انظر: المرجع السابق.

ويرجع عدم شـــهرة الرحالة أوليا چلبى عربيًا لأن مجلداته التي بلغت العشر مجلدات كتبت باللغة العثمانية وليست بالعربية وهي اللغة التي كانت النبع الأول لأدب الرحلات لكن ذلك لم يمنع منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونســكو)[1] من الاحتفال بمرور ٤٠٠ عامًا على مولده وتكريمه بوصفه رجل العام (٢٠١١م) في مجال أدب الرحلات.

ورغم مرور ما يزيد على ٤٠٠ عام على ميلاد أوليا چلبي ما زال؛ حتى يومنا هذا محط إعجاب الباحثين والمهتمين على مر العصــور، وذلك بعد أن تخطى حدود القومية إلى أفق الإنســانية الرحب، فحفظ لشـعوب عدة ذخيرة فريدة من ماضٍ ما كان له حضــور بينهم لولا تلك السـطور الخالدة التي دونها في مجلداته العشــر سـياحتنامه محملاً بكنز من حقائق عاشــها، فخلدته على امتداد الزمان، ولقد ثمَن الباحثون القيمة الأدبية والعلمية لسياحة ورحلة أوليا چلبي لما تضمنته من أسلوب قصصي، ولغة ثرية؛ علاوة على وصف مؤلفها، وتسجيله الجوانب المؤثرة فيما شاهده من مخلوقات عجيبة وغريبة عايشها.

---

(١) وكالة متخصصة تتبع منظمة الأمم المتحدة تأسست عام ١٩٤٥م، وهدف المنظمة هو إحلال الأمن والسلام عن طريق رفع التعاون بين دول العالم في مجالات التربية والتعليم والعلوم الإنسانية والاجتماعية والثقافية، كما تدعم هذه المنظمة العديد من المشاريع كمحو الأمية والمشاريع الثقافية والتاريخية.

أسباب إعداد هذه الدراسة:

من الملاحظ أن منطقة القفقاس كانت دائمًا في منأى عن التناول في أبحاث المؤرخين، وذلك مرجعه قلة المعلومات والمصادر التاريخية وتفرقها بين كتب الشرق والغرب، ولعل ذلك راجع أيضا إلى الغموض الذي يكتنف تاريخ هذا الشعب لعدم وجود كتابة له.

ثم إن المؤرخين لم يتمكنوا من دراسة تاريخ الچراكسة في بلاد الچراكسة لعدم تمكنهم من دخول القوقاز في الماضي بسبب الأحوال المضطربة فيها في القرون الثلاث الأخيرة، فالقفقاس كانت ساحة للغزوات والحروب، والتعرض الدائم للغزوات الخارجية لا تكاد موجة منها تمر؛ حتى تلاحقها موجات أخرى أشد هولاً مما أضاع على الچراكسة أية فرصة لممارسة الأعمال الحضارية، ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والمدني ومنذ القرن الثالث عشر الميلادى الذى تشكلت فيه دولة الجيش الذهبي في جنوب روسيا وشمال القفقاس، وما أعقب ذلك من خانيات القرم وبداية توسع الدولة العثمانية، ومن ثم ظهرت القوة الروسية فقضت على تلك الخانيات في القرن السابع عشر، وانطلق التوسع الروسي بشكل حروب استعمارية مخططة في منطقة القرم وشمال القفقاس،

وأمضـــى شـــعوبهما قرابة ثلاثة قرون يقارعون دولة كبرى تفوقهم أضعافا مضاعفة في العدة والعتاد، ولقد تضافرت هذه الأحوال الخطرة في عدم تمكن العلماء من دراسة تاريخ القفقاس والقرم لأن تجوال العلماء فيها كان أمرًا محفوفًا بالمخاطر.

إن التوســع والتدقيق العلمي في دراســة تاريخ مناطق القفقاس يلقي الضــوء على جوانب مهمة جدًا من التاريخ العثماني ظلت مغلقة ومبهمة، وخاصــة في القرن الســابع عشـر، وأن هذا العمل المترجم والمتعلق بالقرم والجراكســة[1] هذا الشــعب الذي ترى بعض جماعته يعيشــون في البلاد العربية، ومنتشرين في قرى صغيرة في سوريا وشرق الأردن.

---

(١) **الچركس**: لقب چركس ليس اسمًا لأحد من الأقوام ولا توجد قبيلة واحدة تحمل اسم القبيلة الچركسية في قفقاسيا ولكن يستخدم لفظ الچراكسة للدلالة على أبناء شعوب هذه المنطقة، والتي يتوزع أبناؤه على عدة جمهوريات ومناطق ضمن الاتحاد الفيدرالي الروسي، فكلمة چركس اسم أطلقه الأجانب على أبناء وشعوب شمال القفقاس الأصليين تلك الشعوب التي لها حضارة ومصير واحد غدت مع الزمن تسمية عامة، وقد اختلف في أصل الكلمة، فمنهم من قال بالأصل اليوناني أو الروماني أو الفارسي أو التتاري، وما يهم أننا نستعمل هذه التسمية بمعناها العام، وعندما نقول چركس– فإننا لا نخص شعب بعينه، وإنما القصد من هذه الكلمة من تعميم يشمل كل شعوب شمال القفقاس الأصلية وأيضًا الشعوب المستوطنة. انظر: نهاد مصطفى برزخ، تهجير الچراكسة، ترجمة عصام حسن حتق، مكتبة الشباب، عمان، ط. ١١٩٨٧م، ص: ١٣، محمود عبد الرحمن: تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠٠٦م، ص: ٣٢.

والذي لا يكاد الناس يعرفون عنهم سوى أنهم چراكسة، وغالبًا سنجد إجابة لسؤال ما هي تلك الأقوام كيف عاشت وما هي مواقعهم في تلك الحقبة من التاريخ وكيف كانت قراهم ومدنهم وأنهارهم، وكل المعالم الطبيعية والبشرية التي تساعد على فهم المكان، ومنطقة شمال القفقاس من أهم مراكز التحركات السياسية والاقتصادية، والهجرات البشرية، وهي من المناطق الغنية بالمصادر الطبيعية المتنوعة في العالم، ومن أبرزها النفط والغاز الطبيعي، والمعادن كالذهب والحديد وغيره، وكان هذا الأمر أحد أسباب نشوب العديد من الصراعات[١].

(١) شهدت منطقة القفقاس عدة صراعات ومنازعات بين الدول العظمى للسيطرة عليها فمنذ سقوط الاتحاد السوفييتي ظهرت منازعات وصراعات عديدة، وهي محاولة جمهوريات شمال القفقاس الانفصال عن روسيا مثل الشيشان، وقيام حرب مدمرة في هذه الجمهورية، ومثل الصراع الأرمني الأذربيجاني على إقليم ناجورنو قره باغ، والصراع بين جورجيا وأبخازيا، الصراع التاريخي بين الأرمن وتركيا، وأيضا الصراع بين روسيا وأمريكا، والاتحاد الأوروبي وإيران وتركيا حول ثروات بحر القزوين. انظر: نهاد مصطفى برزخ، تهجير الچراكسة، المرجع السابق، ص: ١١٥.

وتأتي هذه الدراسة لتحقيق عدة أهداف تتمثل في التعرف على:

* منطقة شــمال القفقاس أقوامها وقبائلها وأيضــا النواحي الجغرافية والحضــارية قبل أن يصــل إليها بطش وطغيان الاحتلال الروســي لمؤرخ ساح وجال في هذه المنطقة في القرن السابع عشر.

* تسليط الضوء على تاريخ الچركس لندرة المؤلفات التي تطرقت لهذا الموضـوع باللغة العربية؛ خاصـة وأن الچركس في العصـر الحديث لم يتيسـر لهم السـبيل للكتابة عن تاريخهم بالشـكل المطلوب بسـبب الشـتات في البلدان المتعددة، وأيضًـا لعمق المأسـاة الإنسـانية التي تعرض لها الچركس من اسـتعمار سـلط عليه عمليات التذويب العنصري والعرقي والقهر والتعذيب.

- **صـعوبة أسـلوب المؤلف:** أجمع العديد من المؤرخين ممن تناولوا أعمال أوليا جلبي على صـعوبة أسـلوبه في الكتابة وعدم التزامه بنسق محدد للسرد واستعانته بمفردات نادرا ما تتداول

- **صعوبة الحصول على نسخة من الكتاب** وخاصة المجلد السابع الذي لم يتم طباعته باللغة التركية الحديثة، ولم يتسنى للباحث الحصول على نسخة مخطوطة أو مطبوعة داخل مصر مما استدعى تصوير (المجلد السابع) من مكتبة جامعة تورنتو بإيطاليا تحت رقم/ DR.٤٣٢.E٨,١٨٩٦.V٧

- وتحت اسم: Evliya Effendi . Evliye Celebi Seyahatnamesi، اعتياد أوليا الربط في الأحداث التي سردها بما ذكره في أجزاء سابقة مما مثل صعوبة للباحث للمتابعة معه واستدعى منه الرجوع إلى بعض الأجزاء للوقوف على تلك الأحداث التي يشير إليها، وبخاصة أن المجلد السابع فقط يحوي قرابة الألف ورقة وهذا يتضح من تعريف الباحث ببعض المدن والقلاع التي ذكرها أوليا

- حديث أوليا عن شخصيات وأماكن ومعالم وطلاسم وغرائب لم تعد محل تداول وقصص يصعب تصديقها مما اضطر الباحث للرجوع لبعض المصادر النادرة للتحقق من صحة رواياته.

وإني أرجو أن تنال هذه الدراسة المتواضعة التوفيق من الله عز وجل، وأن يكون اختيار هذا الموضوع إضافة إلى المكتبة العربية والإسلامية

وبعد الحمد والشكر لله فإني أتوجه بالشكر والامتنان لكل من ساعد وأعان على اتمام هذه الدراسة

وأخص بالشـكر والعرفان سـعادة الأسـتاذة الدكتورة/ **ماجدة صـلاح مخلوف**- على ما بذلته من جهد ووقت والمسـاهمة في إخراجه بالصـورة المشرفة التي رأيناه بها، وكان موضع تقدير، سائلين المولى سبحانه وتعالى لها بالتوفيق والسداد

كما أتوجه بالشـكر والتقدير إلى سـعادة الأسـتاذ الدكتور/ **أحمد محمد النادي**- على نصحه وإرشاده طوال عملي معه فشكرا له على عطائه الدائم، وجزاك الله عنا أفضل ما جزى العاملين المخلصين.

عزت سلامة



الفتوحات الإسلامية في القفقاس[1]

يتفق معظم المؤرخين أن أول دخول طلائع الفتح الإســـلامي لمنطقة القفقاس في الســـنة الثانية والعشــرين من الهجرة في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عام ٦٣٩م بقيادة ســـراقة بن عمرو قادمًا من حدود العجم، فاســتولى على أذربيجان وانفصــلت عنه قوة بقيادة بكر بن عبد الله وعبد الرحمن بن ربيعة، وقصــدت فتح بقية أقســام جنوب القفقاس فاســتولوا على أرمينيا وكرچســتان ودخلوا العاصــمة تفليس وأســسـوا في تلك الربوع حكومة عربية وراحوا ينشــرون ويدعون للدين الإســـلامي على أنهم أبقوا ملوك الكرچ على عروشــهم ولكن من غير ســلطة، وحاولت بيزنطة بشــتى الوســائل وقف هذا الفتح الإســلامي، ولكن ذرائعها باءت بالفشــل وانتشــر الإسلام في أذربيجان وشيروان وداغستان.

---

(١) قام الباحث بعمل دراسة مطولة للرحلة وصاحبها، شملت الكثير من النقاط المهمة والمفيدة، وقد اضطررنا لاختصارها، وانتقاء بعض نقاطها، بما يفيد القارىء في تكوين صورة عامة وخلفية ثقافية للرحلة وصاحبها وعصرها والمنطقة التي زارها.

وقضت الدعوة الإسلامية في سنوات قليلة على ما بناه المسيحيون في عدة قرون، وراح الناس يدخلون في دين الله أفواجًا[1]، ودامت حكومة العرب إلى القرن ٥هـ/١١م؛ إذ أنه لما اشتدت الحروب الصليبية، واستفحل أمرها اضطر المسلمين إلى تجميع قواهم فانسحبوا من القفقاس، ولم يبقَ في القفقاس جيوش إسلامية ذات بال، وكان اعتناقهم للدين الإسلامي يجعلهم يدينون بالطاعة للخلفاء المسلمين وعمالهم وولاتهم، ويظهرون الاحترام المشوب بالتقديس لكل المسلمين العرب؛ لكن الدين الإسلامي ظل في داغستان قوي البنيان متين الأركان مما ساهم في نشر الدين الحنيف للشعوب المجاورة[2] لكن انتشاره كان بطيئًا بالمناطق الأخرى لعدة أسباب أهمها:

---

(١) حسن بن عايل وآخرون: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وأذربيجان وجمهوريات روسيا الاتحادية ذات الأكثرية المسلمة، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط.١، ١٤٣٢/٢٠١١، ص: ١٤، ١٥، وانظر: محمود شاكر، التاريخ الإسلامي العهد الأموي، ط. ١، سنة ١٩٨٢، المكتب الإسلامي، القاهرة، المقدمة.

(٢) انظر: محمد جمال صادق آبه زاو: موسوعة تاريخ القفقاس والچركس، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦م، ص: ١٨٣.

- الطبيعة الوعرة لجبال القفقاس: فتلك الجبال تصل ارتفاعاتها إلى أكثر من خمسة آلاف متر، وهذه التضاريس لم تكن مألوفة للعرب، الذين أتقنوا واعتادوا القتال في السهول والصحارى المنبسطة[١]،

(١) تحدث أوليا في مواضع كثيرة عن الطبيعة الوعرة لمنطقة بلاد القفقاس فيقول... وسرنا مسيرة الخمس ساعات غي أراضيهم الوعرة والملعونة وسط الجبال وفي طقس باردٍ قارس... وفي موضع آخر يقول... أن السير في هذه الأماكن خطر جدًا ولا يستطع العامة من الناس التجول والسياحة بها...انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٥٧

كما أن المنطقة كان يتنازعها عدة ديانات ومذاهب، مثل المسـيحية، واليهودية، والزرادشتية، والمانوية الفارسية[١]. - وجود دولة الخزر[٢] في آذربيجان[٣] وكانت خاضـعة لمشـيئة اليهود الذين قاوموا الفتوحات الإسلامية مقاومة عنيفة.

(١) محمد العبده: القوقاز حصن العالم الإسلامي في وجه الزحف الروسي، مركز دراسات العالم الإسلامي، لندن، ٢٠٠٣، ص: ٤٤.

(٢) **الخزر**: في اللغة الجركسية بمعنى البحر المنفرد وهي شعوب تركية قديمة ظهرت في شمال القفقاس وظهرت كقوة في القرن السابع وامتدت إمبراطوريتهم بين القرنين الثامن والعاشر من السواحل الشمالية للبحر الأسود وبحر القزوين إلى الأورال وغربًا باتجاه أوكرانيا وكانت عاصمة الخزر أتيل مركزًا تجاريًا مهما تحاربوا ضد العرب والفرس والأرمن وفي القرن الثامن الميلادي كانت غالبية الخزر تعتنق اليهودية وكان لهم علاقات ودية مع الدولة البيزنطية الذين استعانوا بهم أثناء تصديهم للعرب ورغم أن الخزر من القبائل التركية إلا أنهم لا يشبهون الأتراك وكان الخزر قسمين أو جماعتين جماعة بيضاء وتسمى Ak Khazar وجماعة سوداء Kara Kazar ويعود اسم الخزر إلى صفة الترحال ويقال أنه مشتق من كلمة جاز Gez التركية بمعنى يرتحل. انظر: مه ت جوناتوقه يوسف عزت باشا أمير لواء بالجيش العثماني تاريخ القوقاز عن أهمية بلاد القفقاس السياسية والحربية، وعن منشأ أممها وشعوبها وقبائلها وتاريخها الحربي من قديم الزمان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، استانبول عام ١٣٣٠/١٩١٢، تعريب عبد الحميد بك غالب ص: ١٧١.

(٣) **أذربيجان**: يقع هذا الإقليم في شمال غرب إيران تحده من الجنوب جبال ميديا ومن الغرب أرمينيا ومن الشمال القوقاز، ومن الشرق مغان وكيلان يسكنه الترك على الأغلب؛ بالإضافة إلى الأكراد والأرمن. انظر: مادة أذربيجان دائرة المعارف الإسلامية ج١، ص: ٦٥٢.

- دعم الدولة البيزنطية للكرچ في چورچيا، والأرمن في أرمينيا، للوقوف في وجه المد الإسلامي.



١ـ الفتوحات الإسلامية:

أدرك المسلمون أهمية إيصال رسالتهم للقفقاسيين، ولذلك لم تنقطع محاولاتهم لاختراق معاقلهم، وكان أول اختراق عربي إسلامي لمنطقة القفقاس عام ١٨هـ/ ٦٣٩م في منطقة أذربيجان،

واســتطاع المســلمون بســط نفوذهم على ممر «دربند»[1] كما ســماه المسلمون عام٦٣هـ/٦٤٣م

---

(١) **دربند:** يسميها العرب باب الأبواب ويسميها الأتراك، دمير قابي، والإيرانيون دربند وهي مدينة وميناء على الساحل الغربي لبحر القزوين في داغستان. انظر: يلمازاوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة فيصل للتمويل والنشر، استانبول، ١٤١٨هـ/١٩٩٨، ج ٢، ص: ٧٨٢.

ذكرها أوليا فقال: "... إن كسرا الفرس انوشيروان هو الذي شيد مدينة دمر قابي على يد الآلاف الذين ساقهم من عرب العراق، ولذلك تجد طائفة من الأقوام الموجودة في دمرقابى يتكلمون إلى اليوم بلغة قريبة من اللسان العربي في الاصطلاحات والعبارات وهم قوم ظرفاء ويُقال أن لغتهم هي لغة قحطانية ومدينة دمير قابي في شرقها منطقة الخزر، وولاية ترك وبلدة لان ومدنهما وهما حاليا تابعين لمملكة موسكو ومدينة دمير قابي ظلت إلى عام ١٥٧٧/٩٨٥ تحت وطأة الحكم الفارسي إلا أن جاء القائد اوزدمير عثمان باشا الجركسي وفتحت على يديه عام ٩٨٦هـ وكانت تلك آخر فتوحات له وفي عام ١٦٢٤/١٠٣٣م استولى العجم على كل من بغداد وكنجه وشروان وشماقيه ومدينة دمر قابي وطردوا منها امرائها..". انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٧٣.

ومدينة دربند "دمر قابي" من أهم المنافذ القفقاسية الشمالية ومنها نفذ نور الإسلام، وانتشر في جميع جهاتها، وسميت في الأزمان القديمة "الأبواب الألبانية" وهو واحد من الممرات الأربعة التي تشق جبال بلاد القفقاس بين أصقاعها الشمالية وأصقاعها الجنوبية وهي مدينة مشهورة بخصوبة تربتها وغنى مراعيها؛ لذا تقع هذه المدينة وسط حقول البساتين والتي تحيط جبال القفقاس من كل الجهات إلا من جهة الشرق حيث بحر القزوين، وتعد فعلاً بوابة الأبواب كاسمها؛ لأنها تصل ما بين آسيا جنوبًا وقارة أوربا شمالاً، وقد حظيت المدينة في الآونة الأخيرة بخدمات عدة؛ منها الخدمات الصحية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وذلك بفتح المدارس والمراكز التعليمية ومراكز تحفيظ القرآن وتعاليم الدين الإسلامي وتعليم اللغة العربية لقراءة القرآن. انظر: آمنة أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن عام ٢٠٠٣، ص ٢٩٤.

وســـيطروا على أذربيجان وأرمينيا وچورچيا وســـمحوا لحكام هذه المناطق بالاحتفاظ بديانتهم المســـيحية وفي أواخر أيام الخليفة عمر بن الخطاب وأول أيام الخليفة عثمان بن عفان كان الإسلام قد تمكن في الأجزاء الشرقية وفي المناطق الجنوبية كان انتشاره بطيئًا لتمكن النصرانية وطبيعة البلاد الجبلية، ولأن الروم كانوا يحرضــون باســتمرار ضــد المســلمين ويدعونهم إلى المقاومة ويمدونهم بكل متطلباتهم من ســلاح وغذاء، وفي الوقت نفسه يجب ألا ننسى ما كانت تعاني منه الدولة الإسلامية يوم ذاك من خلافات وفتن أقضت مضاجع أبنائها وحدت من انتشار عقيدتها، فكان سكان جنوب بلاد القفقاس (جورجيا وأرمينيا) كلما اســتشــعرت نار الخلافات بالدولة الإسلامية خلعوا الطاعة، وأعلنوا العصيان وأظهروا التبعية للروم، وكلما هدأت حدة الخلافات واتجه المســلمون نحو الفتح، وبدت قوتهم، فخضع سكان جنوب القفقاس، وأبدوا الطاعة، وطلبوا العفو[١].

(١) انظر: عبد العزيز سالم، تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، القاهرة، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٤م.

ومع الأسف كثيرًا ما عاد هذا العفو على المسلمين بالضرر والوبال تغلب عليهم الرحمة ويصدقون خصمهم، ثم يتكرر العصيان، وهذا كله جعل انتشار الإسلام في المناطق الجنوبية قليلا أما الأجزاء الشمالية فقد كانت بعيدة عن أيدي الفاتحين مدة طويلة من الزمن؛ لتوقف الفتوحات، وضعف الدولة الإسلامية وانقسامها؛ لذا بقى السكان على وثنيتهم، وكانت آخر المعارك بين المسلمين والخزر سنة ٧٣ه/٦٥٢م، وقد استشهد في هذه المعركة أربعة آلاف مسلم من بينهم قائدهم المشهور (عبد الرحمن بن ربيعة) بعد ذلك لم يقم المسلمين طيلة السنوات الأربعين التالية بأية محاولة لشن غارات على معاقل الخزر، وقد بلغ الصراع العربي الخزري ذروته على القفقاس في السنوات (١١٦-١٢٩هـ/ ٧٣٠- ٧٤٥م).

وفي مرحلة من مراحل تلك الحروب التي استمرت خمسة عشر عامًا، اجتاح الخزر چورچيا وأرمينيا، وهزموا المسلمين في معركة «أردبيل[1] في أواخر سنة ١١٦ه/٧٣٠م

---

(١) معركة مرج أردبيل دارت على السهول المحيطة بمدينة أردبيل الواقعة في أقصى إقليم أذربيجان شرقًا غرب بحر قزوين على الحدود الروسية في عام ٧٣٠ م. فقد غزا جيش الخزر بقيادة برجيك، ابن خاقان الخزر الولايات الأموية لفرض حكم الخزر جنوب جبال القفقاس، وردًا على هجمات الخلافة الأموية على بلاد الخزر أثناء الحرب العربية الخزرية التي استمرت عقودًا في مطلع القرن الثامن. انتصر الخزر في هذه المعركة وتكبد المسلمون ٢٠,٠٠٠ قتيل وضعف ذلك من الأسرى، وهو رقم ربما تضمن تعداد سكان أردبيل والأراضي المجاورة. انظر: عباس إسماعيل صباغ، تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، دار النفائس، ط. ٢، ص: ٥٧.

وتقدموا؛ حتى الموصل وديار بكر، لكنهم أخفقوا في التقدم نحو دمشق، عاصمة الخلافة ورُدّ الخزر على أعقابهم بعد هزيمة نكراء وفي العام التالي نجح القائد المسلم مسلمة بن عبد الملك[1]؛ الذي سبق له أن قاد حصار القسطنطينية في انتزاع «بلادنجار» من الخزر، وواصل تقدمه؛ حتى «سمندار»، وهي من المدن الكبيرة في الشمال[2].

---

(١) هو مسلمة بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي. أبوه عبد الملك بن مروان، وأمه من أمهات الأولاد، ويريدون بكلمة أمهات الأولاد الجواري والإماء اللواتي ولدن لمواليهنّ ذكرانًا – وولادة مسلمة كانت حوالي سنة ٦٦ه ٦٨٥م، ومات مسلمة عن عمر يناهز الرابعة والخمسين، توفي في سنة إحدى وعشرين ومائة هجرية، ٧٣٨م، وكانت وفاته بالشام ودفن بموضع يقال له "الحانوت". انظر: النجوم الزاهرة ج١ ص: ٢٨٩.

(٢) انظر: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، عباس إسماعيل صباغ، مرجع سابق، ص: ٥٨.

وفي عهد مروان بن محمد الأموي[1] (١١٨-١٢٨ه/٧٣٤-٧٤٣م) تمكن المسلمون من هزيمة الخزر نهائيًا في أذربيجان، والأجزاء الجنوبية الشرقية من داغستان، وبالرغم من أن القائد مسلمة بن عبد الملك تمكن من فتح معظم الأجزاء الباقية من داغستان، وخضع له حكام تلك المناطق من سكانها الوطنيين، إلا أنه كان خضوعًا اسميا؛ إذ عندما ضعف الحكم الإسلامي ارتد هؤلاء الحكام إلى دياناتهم السابقة،

(١) مروان بن محمد الأموي القرشي: هو آخر خلفاء بني أمية في دمشق. تولى الخلافة بعد ابن عمه إبراهيم الذي تخلى عن الخلافة له. يكنى بأبي عبد الله القائم بحق الله فإنه كان لا يفتر عن محاربة الخوارج قبل توليه الخلافة كان واليا على إقليم أرمينيا وأذربيجان وقد أظهر كفاءة وقدرة في إدارة شؤون ولايته فرد غارات الترك والخزر على حدود ولايته بعد معارك كبيرة لم يستطع الوقوف في طريق المؤامرات والفتن التي عصفت بدولته هُزم في معركة الزاب الحاسمة وسقطت دولة الأمويين بعدها وقيل انه استمر متخفيا حتى عثر عليه في وقتل. للمزيد انظر: محمد قباني: الوجيز في الخلافة الراشدة، دار وحي القلم، ط. ١، ٢٠٠٦، ص: ٥٦.

أما بلاد چورجيا، والأرمن، والمناطق الجنوبية من القفقاس فقد استمر الحكم الإسلامي فيها مدة طويلة

لكن في نهاية العصر العباسي[1] بدأت عناصر الحكم الإسلامي تضعف في منطقة القفقاس الجنوبي،

---

(١) نهاية الدولة العباسية: تحدث أوليا عنها فقال: "... دخل هلا كو بغداد في عهد السلطان العباسي المستنصر بالله واستمرت الحرب بينهم وبين التتار مدة سبعون يوما وفي النهاية أُسر أمير المؤمنين الخليفة المستنصر بالله (الصحيح المستعصم) ثم قاموا بوضعه داخل جلد جمل ما زال رطبًا ولفوه وتركوه في شمس بغداد الحارقة حتى أصبح عجينًا، وبعد ذلك قام جند التتار بدهس وضرب المستنصر بأقدامهم وأيديهم حتى هلك على أيدي هلا كو وجنوده وهذه كانت نهاية الخليفة العباسي المستنصر بالله وانتهاء دولة آل عباس إلا أن بعض الأمراء العباسيين من أبناء المستنصر قد فروا عبر الصحراء، وجاؤوا إلى مصر على أمل أن يعودوا إلى بغداد سلاطين مرة ثانية، وعند دخول هلا كو بغداد في أيام المستنصر جعلها خراب ولم يكتفي بذلك بل بقر بطون أكثر من سبعين ألف امرأة في يوم واحد بحثًا عن الجواهر والأحجار الكريمة في بطونهم حتى الحبالى منهم لم يرحمهم، وكان يخرجون الأجنة من بطون أمهاتهم، وعلى إثر هذه الحادثة الموحشة قتل مئات الألاف على يد التتار..." انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٢٤.

والخلافة العباسية أو العباسيون هو الاسم الذي يُطلق على ثالث خلافة إسلامية في التاريخ، وثاني السلالات الحاكمة الإسلامية. استطاع العباسيون أن يزيحوا بني أمية من دربهم ويستفردوا بالخلافة، وقد قضوا على تلك السلالة الحاكمة وطاردوا أبنائها حتى قضوا على أغلبهم ولم ينج منهم إلا من لجأ إلى الأندلس، وكان من ضمنهم عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وانتهى الحكم العباسي في بغداد سنة ١٢٥٨م.

وانتقل من بقي على قيد الحياة من بني العباس إلى القاهرة بعد تدمير بغداد، حيث أقاموا الخلافة مجددًا في سنة ١٢٦١م، وبحلول هذا الوقت كان الخليفة قد أصبح مجرد رمز لوحدة الدولة الإسلامية دينيًا، أما في الواقع فإن سلاطين المماليك المصريين كانوا هم الحكّام الفعليين للدولة. استمرت الخلافة العباسية قائمة حتى سنة ١٥١٩م، عندما اجتاحت الجيوش العثمانية بلاد الشام ومصر وفتحت مدنها وقلاعها، فتنازل آخر الخلفاء عن لقبه لسلطان آل عثمان؛ سليم الأول، فأصبح العثمانيون خلفاء المسلمين، ونقلوا مركز العاصمة من القاهرة إلى القسطنطينية.

انظر: محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، تحقيق عبده علي كوشك، دار البشائر الإسلامية، ١٢٨٩ - ١٣٤٥ه، وانظر: شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان: المصور في التاريخ، دار العلم للملايين، الجزء السادس.

والأجزاء الشرقية الساحلية من داغستان، وانقسمت تلك البلاد إلى عدة دويلات محلية، مما سهل على السلاجقة احتلال هذه المناطق، بعد أن نجحوا في احتلال إيران، وخوارزم، ومعظم آسيا الوسطى.

وانتعش الإسلام مرة أخرى في تلك المناطق، تحت حكم السلاجقة، وامتد إلى جبال داغستان، ووسطها، وشمالها أما الأجزاء المتاخمة لبلاد داغستان، وهي بلاد الشيشان، والإنجوش المسيحيين فبقيت على ديانتها.

٢- التقارب القرمي العثماني وأثره على انتشار الإسلام في بلاد الجركس:

لقـد أدى ظهور المغول والتتـار على مســـرح الأحـداث في العـالم الإسـلامي، وقيامهم بتدمير بغداد، ومدن بلاد الشـام إلى إضعاف الإسلام في مناطق القفقاس، وارتداد كثير من شعوب القفقاس إلى الدين المسيحي، وذلك لأن طلائع المغول كانوا بوذيين ونصارى،

ولكن التحول الكبير لصـــالح الإســـلام بدأ عندما تولى بركة خان حفيد جنكيز خان[1] حكم خانية الجيش الذهبي[2] عام٦٥٥هـ/١٢٥٧م،

---

(١) **جنكيز خان:** مؤسس الإمبراطورية المغولية والتي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ وجنكيز خان كلمة تعني: قاهر العالم، أو ملك ملوك العالم، حسب الترجمات المختلفة للغة المنغولية.. واسمه الأصلي "تيموجين".. وكان رجلاً سفاكًا للدماء... قائدًا عسكريًا شديد البأس... وكانت له القدرة على تجميع الناس حوله وبدأ في التوسع تدريجيًا في المناطق المحيطة به، وسرعان ما اتسعت مملكته حتى بلغت حدودها من كوريا شرقًا إلى حدود الدولة الخوارزمية الإسلامية غربًا، ومن سهول سيبريا شمالاً إلى بحر الصين جنوبًا أي أنها كانت تضم من دول العالم حاليًا: (الصين ومنغوليا وفيتنام وكوريا وتايلاند وأجزاء من سيبيريا... إلى جانب مملكة لاوس وميانمار ونيبال وبوتان) ويكن له المغول الحاليين شديد الاحترام ويعتبرونه الأب المؤسس لدولة منغوليا.

انظر: رينيه غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، تعريب: خالد أسعد عيسى، دار حسان، دمشق، ١٩٨٢

(٢) **الجيش الذهبي**/Altin Ordu: انتشر في الجزء الشمالي من إمبراطورية المغول–روسيا أوكرانيا مولدوفا كازاخستان القوقاز وسموا بمغول الشمال لأن خانيتهم كانت شمال تركستان وازدهرت تلك الدولة من سنة ١٢٥٥/١٣٥٩م، واتخذت دولتهم مدينة (سراي باتو) على الجانب الشرقي لنهر الفولجا عاصمة لها وكان الدين الرسمي للدولة الإسلام، وشملت أراضي القبيلة الذهبية في ذروتها معظم أوروبا الشرقية من جبال الأورال حتى الضفة الشرقية لنهر الدانوب وامتدت شرقًا حتى عمق سيبريا وجنوبا يحدها البحر الأسود وجبال القفقاس و سميت القبيلة الذهبية لاتخاذ زعيم القبيلة باتوخان لخيمة ذهبية له وقيل نسبة إلى لون خيامهم ذات الألوان الذهبية ويطلق على القبيلة الذهبية في معظم المصادر العربية والإسلامية المعاصرة (خانات القبچاق) والقرم من أهم الدول التي ظهرت على إثر تجزئة خاقانية Altin" Ordu وقد لعبت القرم أهم دور سياسي بين هذه الدول التي انحدرت من السلالات الملكية وأتي على رأسها سلالة چوجي اولوسو وكانت هذه الدولة التي تأسست في بلاد شمال القفقاس. انظر: تاريخ مغول القبيلة الذهبية، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٧م، ص: ٣٣، وانظر: موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري (٦٢٩ه/١٣٤١ه-١٢٣١/١٩٢٢م) ج١، ترجمة عدنان محمد سليمان، ط. ١، ٢٠١٠م.

واستمر حكم بركة خان إلى سنة ٦٧٦ه/١٢٧٦م، وتحول في أثنائها معظم أفراد القبيلة الذهبية إلى الإسلام، وامتد سلطان تلك القبيلة من تركستان إلى روسيا وسيبيريا، وحكموا موسكو نفسها، وقد أقاموا مدينة «قازان»[1] شمالي نهر الفولجا لتكون عاصمتهم وهكذا اعتنق المغول الإسلام، وتحمسوا له، وحكموا باسمه أمدًا طويلاً.

---

(١) **قازان**: أسسها صرتق بن باتوخان، وقد سميت قازان أو قزان kazen وهو بمعنى القدر في اللغة التركية ذلك لأن النهر الذي اتخذت البلدة اسمها منه محفور كالقدر، ومنذ تأسيسها في القرن ٧ه/١٣م استوطنها المسلمون من الجراكسة والجوفاس الذين يعتبرون من السكان الأصليين، بالإضافة إلى التتار الذين اتخذوا من البلدة مركزًا لجمع الضرائب من الروس، وفي عام ٨٤١ه /١٤٣٨م بعدما استقل الوغ محمد خان عن خانية الجيش الذهبي وأسس خانية في قازان وهي تعد من المراكز التجارية المهمة بسبب وقوعها على الطرق المؤدية إلى سيبيريا ووسط آسيا وقد احتلها الروس عام ٩٧٢ه /١٥٥٢م

Türkiye Diyanet،Kültür Bakanliği Yayinlari ،Üçüncü Baski، Istanbul ،١٩٩٦،S.١٣٦

وهي حاليا عاصمة لجمهورية تتارستان وحاليًا قازان عاصمة جمهورية تتاريا السوفيتية الذاتية الحكم تقع غربي روسيا الاتحادية على الشاطئ الشرقي لأحد فروع نهر الفولجا انظر: العثمانيون والبلقان، علي حسون، المكتب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٩٨٦، ص: ٤٩.

وقد وصف اوليا مدينة قازان فقال: لا زالت تعرف بمدينة جنكيز خان بالرغم من الملوك الكثر الذين تولوها، وحاليًا ومع الأسف تتبع مملكة موسكو ومدينة قازان بها ما مقداره عدد الألف من الدور والمساجد والتكايا والمدارس والحمامات والأسواق المغطاة بكل ركن من أركان المدينة.... للمزيد انظر: الدراسة الفصل الثاني: (المدن والقرى من خلال سياحتنامه القفقاس)، وكذلك انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (دربيان عمارت ولايت قازان دار غازيان) ص: ٨٢٥.

واكتسبت خانية الجيش الذهبي الهوية الإسلامية وحكمت باسم الإسلام وتحمس أفرادها لنشره، وأقامت علاقات متميزة مع الدول الإسلامية وكانت للعلاقات التي ازدهرت مع السلاجقة دور في استقرارهم في شبه جزيرة القرم، وكذلك ازدهرت علاقاتهم مع المماليك في مصر[1].

وفي القرن ٨هـ/١٤م فقد الجيش الذهبي تماسكه بسبب النزاع على العرش وبسبب الحروب المندلعة بينهم وبين إيلخانات فارس[2]،

---

(١) انظر: محمود عبد الرحمن: تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م، ص: ١٩٣.

(٢) ايلخانات فارس لقب يطلق على حكام السلالة المغولية الذين حكموا بلاد فارس ابتداء من هولاكو عام ٦٥٦هـ/١٢٥٨م ويقال عنهم مغول إيران.انظر: يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة فيصل للتمويل والنشر، استانبول، ١٤١٨ه/١٩٩٨ ج١ ص: ٥٥.

وبعد تفكك الجيش الذهبي برزت ثلاث خانيات القرم وخانية قازان وخانية استراخان[1]،

(١) **استراخان**: معبر تجاري هام بين آسيا الوسطى وجنوب شرق أوروبا وتقع عند خط عرض ٤٦ درجة وخط طول ٤٨ درجة على نهر الفولجا في بحر القزوين اسمها في الأصل ايتل نسبة إلى النهر الذي تقع على مصبه، دخلت في حوزة الجيش الذهبيAltin Ordu في القرن ٧ه/١٣م وأطلقوا عليها استراخان أي الموضع المحرر من الضرائب وسكانها من الخزر والتتار والبجناق، وقد أصابها الضعف في نهاية القرن ٩ه /١٥م عندما استولى عليها الروس في ٩٦٥ه /١٥٥٧م انظر:

Islam Ansiklopedisi، Islam Alemi، Tarih Coğrafya Mili Egitim Basimevi، Ist، Cilt، S. ٦٨٠.

وكان أول مؤسس لخانية القرم هو حاجي كراي[1]، وسرعان ما بدأ بإقامة اتفاقية مع الجنوبيين عام ٨٣٨هـ/١٤٣٤م، وبموجبها أن تبقى كفه، والشريط الساحلي تحت سيطرته السياسية والإدارية.

---

(١) **حاجي كراي خان**: المصادر لا تذكر الكثير من التفصيلات بشأن شخصية حاجي كراي فهناك خلاف حول اسمه الصريح، إذ يذكر البعض أن اسمه الصريح هو حاجي دولت، وبينما يذكر البعض الآخر أن اسمه هو حاجي كراي وقد ذكر أوليا اسم حاجي كراي كاملا مكتوب على أحد أبواب مسجده الموجود بقلعة الجفود فقال "بنى هذا المسجد المبارك السلطان الأعظم والخاقان المعظم مولى ملوك العرب والعجم السلطان حاجى كراى خان بن غياث الدين خان بن اردوغم خان طول الله عمره وأيد دولته سنه ٨٥٩ " الموافق (١٤٥٥). انظر: الدراسة الفصل الثاني (القلاع: قلعة كوهر كرمان وقلعة منكوب)

أما اسم كراي الذي اتخذه حاجي كراي ومن بعده خانات القرم لقبا، ومن ثم أصبح رمزًا للأسرة التي عرفت بآل كراي، فقد وردت بشأنه عدة روايات غير مؤكدة – فهناك من يجعله اسما لإحدى القبائل التي نشأ بها "غياث الدين" والد حاجي كراي والسبب في اتخاذه اسم هذه القبيلة يرجع إلى أن حاجي كراي ولد في اليوم الذي عاد فيه دولت كراي من مكة المكرمة بعد أداء فريضة الحج

وهناك من يذكر أن اسم كراي في اللغة التركية مشتق من كلمة "كر" بمعنى الأقوى وإذا صغرت فإنها تلفظ كراي أو جراني وهي من الكلمات المستخدمة لدى المغول

أما المؤرخون الأوربيون فيذكر بعضهم أن حاجي كراي لقب بهذا اللقب لأنه اعتاد ترديد كلمة كراي بمعنى حسن، بينما يذكر البعض الآخر أن اسم كراي يعود إلى فلاح بسيط اعتنى بحاجي كراي عندما كان صغيرا، وأن اتخاذ خانات القرم لاسمه كان تلبية لرغبة هذا الفلاح، وأيًا يكن سبب اتخاذ خانات القرم لهذا الاسم فإنه أصبح رمزا لمن يتولى حكم القرم. انظر: أحمد جودت: تاريخ جودت، تعريب: عبد القادر الّدنا، تحقيق عبد اللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م ص: ٣٧٧

A short Historical account of the Crimea ،Hertford Printed and Published by Stephen Austin ،London ،Troubler and co ،١٢ ،Paternoster Row ،P.١٣٩

وبعد فتح العثمانيين للقسطنطينية ٢٠ جماد آخر ٨٥٧ه / ٢٩مايو ١٤٥٣م) كانت الفرصة مواتية لتحقيق تعاون عثماني قرمي، فاتجه حاجي كراي للتحالف مع العثمانيين ضد الجنوبيين الذين يسيطرون على موانئ وقلاع مثل: كفه(١) وسوغوك(٢)... ومنكوب(٣) على ساحل البحر الأسود.

---

(١) كفه (فيادوسيا /Feodosiya): يعتبر من أهم وأول ممتلكات العثمانيين أسس كإيالة في القرن ٩ه/١٥م تشمل الساحل الجنوبي الشرقي من القرم، وجزيرة طمان التي تقع تجاهه والتي تتبعها عدة ضواح ومدن كما يتيح للدولة العثمانية السيطرة على مضيق كيريتش ولواء الآزاق وبحر الآزاق وهي تربط كل سهوب شمال القفقاس بالبحر الأسود، وقد اهتم العثمانيون بتنظيمها وحمايتها، وكان ولاتها يعينون من قبل الدولة العثمانية وفي القرن ٩ه /١٥م الحق بها قضاء طمان وأنابا وسوغوك ومنكوب وكيريتش وهي المركز الرئيسي للأسطول العثماني في بحر الآزاق ويشرف عليها أميرال كما يتولى شئون القلعة موظف برتبة والي له السلطة والنفوذ عليها وعلى منطقة شمال القفقاس

Islam Ansikiopedisi، Türkiye Diyanet Vakfi، Istanbul ،١٩٩٦، ٢. Cilt، S. ١٨٣

(٢) **(سوغوك Süğük)**: ميناء ومركز قضاء تابع لكفه ويقع في جنوب غربيها، وبه قلعة محيطها ثلاثمائة ذراع، وبها أربعة وعشرون برجًا ومسجد بناه السلطان بايزيد الثاني

Alan Fisher: Kirim Tatarlar -،Çeviren:Esref B.Őzbilen Sel Yayinlari، Istanbul، ١٩٩٨، ٥٤ .S

(٣) (منكوب) ميناء في جنوب شرق القرم تابع لقضاء كفه انظر: يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة، مرجع سابق، ج٢ ص: ٧٠٦ وللمزيد انظر:الدراسة الفصل الثاني (قلعة منكوب من خلال سياحتنامه)

يلاحظ أن المناخ السياسي السائد في منتصف القرن ٩هـ/١٥م قد فرض عليهما التحالف، فالعثمانيين يهدفون إلى إنهاء التفوق الأوروبي في البحر الأسود وتحويل هذا البحر إلى بحيرة إسلامية، وأن السيطرة على بلاد الجركس ستكون عن طريق القرم لمنع الروس من التقدم نحو الجنوب خاصة وأن قوتهم قد ازدادت خلال القرنين الأخيرين، وكان أول تنفيذ لهجوم مشترك على كفه عام ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م اضطر بعده الجنوبيين إلى طلب الصلح الذي أعطاهم الحق بالبقاء في كفه مقابل تسديد جزية للدولتين (خانية القرم – العثمانيين) وكان ذلك أول تعاون سياسي وعسكري مع خانية القرم ودخول الدولة العثمانية إلى بلاد الجركس[١]، وقد أثمر هذا التعاون بين الدولتين في تحول معظم القفقاس الشمالي إلى الإسلام في القرن ١٢هـ/١٨م[٢].

(١) Hakki Dursun Yildiz**:** Büyük Islam Tarihi ،Çağ Yayinlar،Ank.١٩٩٣،٩.Cilt ،S.٣٢٠

(٢) Alan Fisher: Kirim Tatarlar، ….، S.١٨.

وبعد وفاة حاجي كراي مرت خانية القرم بمرحلة من الاضطرابات الداخلية بسبب الصراع بين أبنائه على عرش الخانية وخوفا من أن تؤدي هذه الاضطرابات إلى انهيار الخانية قام علماء القرم وأشرافها بعرض الأمر على السلطان محمد الفاتح فيمن سيحل مكانه، وكان منكلي كراي[1] بن حاجي كراي يحظى باحترام بالغ بين وجهاء القرم، ولذلك فقد تم تنصيبه خانا بموافقة السلطان محمد الفاتح[2].

وحين بدأ النزاع بين منكلي كراي وأخيه نور دولت كراي[3] بسبب العرش اضطر فيه منكلي كراي للهروب إلى كفه، وذلك في عام ٨٧٣ه/١٤٦٨م واستغلالاً للموقف عرض الجنوبيين المساعدة والدعم لمنكلي كراي فسيطر بمساعدتهم على أجزاء من شبه جزيرة القرم بعد ذلك لم يكن أمام الخان سوى الاستجابة لمطالبهم،

---

(١) منكلي كراي: تولى خانية القرم لثلاث فترات: الفترة الأولى ٨٧٢ه/١٤٦٧م والفترة الثانية ٨٧٤-٨٨٠/١٤٦٩-١٤٧٥م والفترة الثالثة ٨٨٣-٩٢١ه/١٤٧٨-١٥١٥م

(٢) انظر عبد الرحمن محمد شرف: تاريخ دولت عثمانية (قره بت) مطبعه سي باب عالي جاده سنده، استانبول، ١٣١٥ه، طبع ثاني، جلد ١، ص: ١٧٧

Hakki Dursun Yildiz; Büyük … ٩. cilt ،S.٣٦٠.

(٣) **دولت كراي خان:** تولى الخانية ثلاث فترات:الفترة الأولى٨٧١-٨٧٢/١٤٦٦-١٤٦٧ الفترة الثانية ٨٧٢-٨٧٤/١٤٦٧-١٤٦٩ الفترة الثالثة ٨٨٠-٨٨٣/١٤٧٥-١٤٧٨

وبسبب عودة سيطرة الجنوبيين على كفه، أرسل السلطان الفاتح قواته لمحاصــرة كفه وفي عام ٨٨٠هـ/١٤٧٥م استسـلمت كفه وبقية الموانئ الأخرى مثل سـوغوك ومنكوب والأزاق[١] الواقعة في أقصى جنوب القرم عندما سار كديك أحمد باشا من استانبول بأسطول لم يشهد البحر الأسود مثيلاً لعظمته، وأزال كل المستعمرات التجارية التي أنشأتها جنوا[٢] والبندقية[٣] على سواحل البحر الأسود واضطر خان القرم منكلي كراي على الخضوع للعثمانيين والتوقيع على معاهدة كفه ويذكر المؤرخون أن معاهدة كفه التي وقعت بين منكلي كراي وكديك أحمد باشا تعد الأساس الذي قام عليه الحكم العثماني للقرم

---

(١) **قلعة الأزاق**: بناها القائد كديك أحمد باشا واتخذها العثمانيون قاعدة لانطلاق قواتهم لفتح بلاد الجركس وبلاد ما وراء النهر، والوقوف أمام التوسع الروسي في تلك المناطق ونشر الإسلام بها. انظر: شمعدان زاده: مرئى التواريخ، معارف نظارتي طرفندن، طبع ايديترلمشدر، استانبول، ١٣٣٨هـ ص: ٤٦٤. وللمزيد انظر الدراسة: الفصل الثاني (القلاع: قلعة ازاق من خلال سياحتنامه القفقاس).

(٢) **جنوا**: مدينة ايطالية وهي عاصمة إقليم ليجوريا في شمال غرب ايطاليا، وتعتبر ميناء ايطاليا الرئيسي ازدهرت إبان الحكم الروماني، حصلت على ممتلكات تجارية امتدت من اسبانيا إلى القرم. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ج٥، ص: ٥٢١٦.

(٣) **البندقية**: (فينسيا) مدينة تاريخية، وتقع في شمال شرق ايطاليا على جزر متعددة بالطرف الشمالي للبحر الأدرياتي، كان لها حقوقا تجارية في مدن الشرق وفي بحر مرمرة وشواطئ البحر الأسود. انظر: الموسوعة العربية الميسرة ج٥، ص: ٥٢١٦.

ومن خلالها تم تحديد مناطق نفوذ كل من الخان والسلطان على الأراضي القرمية بحيث تكون المناطق الساحلية وعلى رأسها مدينة كفه ضمن النفوذ العثماني أما المساحات الداخلية فإنها ستكون ضمن نفوذ الخان ولا يحق للعثمانيين التدخل فيها(١).

بعد ذلك التاريخ استطاع العثمانيون أن يستحوذوا على ميناء كفه مركز الجنوبيين في شبه جزيرة القرم وإنهاء الوجود الأوروبي الذي يشكل تهديدًا للدولة العثمانية. وفي هذه الفترة كانت خانية القرم تابع مطيع للدولة العثمانية حولت أراضيها إلى نقطة انطلاق لغزواتها داخل روسيا

---

(١) انظر: موسوعة تاريخ الامبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري، مرجع سابق، ص: ٢٣٢.

وبلاد الجركس وتدريجيًا ظهرت الحصـــون العثمانية «طمان[1]، سوغوك، تمريك[2]، قزل طاش[3]» على سواحل البحر الأسود وساحل بحر آزوف[4] واتخذ العثمانيون من قلعة الأزاق التي بناها كديك أحمد باشا قاعدة لانطلاق قواتهم لفتح بلاد الجركس وما وراء النهر، والوقوف أما التوسع الروسي في تلك المناطق ونشر الإسلام بها[5].

---

(١) **طمان**: شبه جزيرة في غربي القفقاس مساحتها ١٠٠٠كم٢ يحدها من الشمال بحر الأزاق ومن الغرب مضيق كيريتش ومن الجنوب البحر الأسود وحاليًا تتبع كرسنودار كرالي الروسية. انظر الدراسة الفصل الثاني (القلاع من خلال سياحتنامه القفقاس)

Türk Ansiklopedisi ،٣٠.cilt.S. ٣٧٤

(٢) **قلعة تمريك**: انظر الدراسة الفصل الثاني (القلاع: قلعة تمريك من خلال سياحتنامه القفقاس).

(٣) **قلعة قزل طاش**: موقعها نهاية شبه جزيرة طمان من فرع نهر القوبان عند المصب والتتار يسموها بنفس الاسم قزل طاش أي الصخرة الحمراء. انظر:موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، منشورات دار علاء الدين، مرجع سابق، ص:٣٤٩، وكذلك انظر: الدراسة الفصل الثاني:(القلاع: قلعة قزل طاش من خلال سياحتنامه القفقاس)

(٥) **بحر آزوف**: يبلغ طوله ٣٤٠ كم وعرضه ١٣٥كم، وهو يطل على الشواطئ الأوكرانية من شماله، ويتصل بالبحر الأسود عبر مضيق كيريتش وعلى روسيا من جهة الشرق وشبه جزيرة القرم من الغرب. وتقع مدينة آزوف إلى الجنوب الغربي روسيا على الضفة اليسرى من الفرع الجنوبي لنهر الدون. انظر: علي حسون، العثمانيون والبلقان، المكتب الإسلامي، ط.٢، ١٩٨٦م، ص: ١٥٥، أحمد صادق: جغرافية آسيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص: ٩٧. وانظر: الملاحق، خريطة رقم (٢)، ص: ٣١٤.

(٦) شمعداني زاده: مرئى التواريخ، معارف نظارتي طرفندن طبع ايديترلمشدر، استانبول، ١٣٣٨ه ص: ٤٦٥

وفي عام٨٩٥هـ/١٤٧٥م أخذ العثمانيون قلعة أناپا[١] وسرعان ما حولوها إلى سوق ضخمة، ومركز للدعاية إلى الإسلام في القفقاس وأقيمت حاميات عسكرية للإنكشارية[٢] عند القلاع والموانئ وأمكنة أُخرى،

---

(١) **قلعة آنابا**: مشهورة عند الجراكسة باسم (بوغورفال) عندما شهرت روسيا الحرب على تركيا سنة ١٧٨٧م وفي هذا الوقت كانت تركيا باسطة نفوذها على منطقة القوبان الجنوبية وبعض المراكز على ساحل البحر الأسود وبالخصوص قلعة أنابا. انظر: مه ت جوناتوقه يوسف عزت باشا، مرجع سابق، ص: ٤٦ تحدث عنها أوليا جلبي فقال... بناها البيزنطيون وقد يسر الله فتح القلعة للقائد العثماني گدك احمد پاشا ولكنه تركها على حال خربة دون إعمار وقال لا يلزمني قلاع ويوجد في داخل القلعة بئر ماء الحياة وهذه القلعة لو عُمرت ما استطاعت سفن الكفار الخروج من مضيق آزاق إلى البحر الأسود...

للمزيد انظر: الدراسة: الفصل الثاني (القلاع من خلال سياحتنامه القفقاس)، وكذلك انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، " قلعه انابا " ص: ٧٠٦.

(٢) **الانكشارية الموجودون في القرم:** كانوا يعملون بأوامر من السلطة المركزية في استانبول ويمكن القول إن وجود الانكشارية في القرم دليل على سيادة الدولة العثمانية، وبالرغم من أن الوجود العسكري العثماني على أراضي الخانية غير مرغوب فيه إلا أن هذه الفرقة كانت موزعة في نقاط استراتيجية مهمة سواء في العاصمة باغجه سراي، وفي القلاع مثل قلعة: اور- ومنكوب وغيرهم من القلاع والحصون مما يحقق للعثمانيين إلمامًا بكل ما يدور من تحركات داخل الخانية والتدخل إذا لزم الأمر، وكان لهذه الفرق أهميتها في دعم الخانية عسكريا في حروبها اعتبارا من القرن ١١هـ/١٧م كما يظهر الدعم العثماني أيضا في توفير المواد اللازمة لبناء الحصون كالأحجار والأخشاب ومعهم البنائيين، وكان العثمانيون يزودون هذه القلاع بفرق "العزب" المستخدمة في الدفاع عن القلاع.

Yücel öztürk: Osmanli Hakimyetinde، Kefe (١٤٧٥-١٦٠٠) Basim Evi Ankara، ٢٠٠٠، T. C. Kültür Bakanlğ i،Mili Kutuphane، S.٣٨

ومع بدايات القرن الســابع عشــر كانت إقامة القائد الإقليمي في أناپا، وأسس العثمانيون في آنابا نقاط قوية لتعزيز حكمهم على الشاطئ الشرقي للبحر الأسود وأصبحت أناپا في القرن ١٢ه / ١٨م مركز لنشر الإسلام بين الچراكسة، كما أصبح بحر آزوف نقطة إستراتيجية مهمة جدًا للعثمانيين(١).

---

(١) بدأ التوجه الروسي إلى منطقة القفاس عام٩٧٦ه/١٥٥٦م، وكان هذا التحرك بداية حرب بين الإسلام والمسيحية وبدأ تحركهم المنظم ببناء المستعمرات، والقلاع الحصينة، على امتداد نهر "تَرَك، وتركوا حمايتها لشعوب القازاق وبادرت روسيا بإرسال المنصِّرين إلى بلاد الجركس وظهرت أولى الكنائس في مقاطعة "بيسيلني" بقبارطاي، وفي أوسيتيا المجاورة، فاضطر العثمانيون، وخانات القرم، للتصدي لهذا التوسع الروسي وقام خان القرم دولت كراي خان الأول تولى الخانية (٩٥٩-٩٨٥ه/١٥٥١-١٥٧٧م) بحملة عسكرية على قبارطاي عام٩٧٨ه/١٥٥٨م، وأحرقها عقابًا لها على تحولها إلى المسيحية وتحالفها مع الروس أعداء المسلمين، وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، كثف خانات القرم والعثمانيون جهودهم لنشر الدين الإسلامي في الأجزاء الشمالية الغربية والوسطى في شمال القفقاس.

وفي عام١١٣٦ه/١٧١٧م نشط العثمانيون، وخانات القرم مثل الخان دولت كراي الثالث ومن بعده سادات كراي، في الدعوة للإسلام بين الشراكسة إلى أن جاء المرحوم على فرح باشا سنة١١٩٥ه/ ١٧٧٥م المعين واليًا من قبل الدولة العثمانية وجلب العلماء من الأستانة وبني المساجد وجعل من أنابا الثغر على البحر الأسود عاصمة الولاية ومدينة إسلامية ومركزا رئيسيا للدين الإسلامي الحنيف ومنها انتشر الإسلام في عموم القفقاس. انظر: مه ت جوناتوقه يوسف عزت باشا، تاريخ القوقاز، ص: ٢١٩.

وعلقت الدولة العثمانية أهمية كبيرة وعظيمة على أهمية بلاد الجركس والتي سيفتح امتلاكها احتمالات واسعة للاختراق نحو جنوب روسيا لذلك بدأوا يخترقونها برًا وبحرًا في نهايات القرن١٠ه/١٦م ويقومون بحملات عسكرية منظمة نمطية في بلاد الچراكسة، وزادت خانية القرم من غزواتها على بلاد الچراكسة في محاولة لتثبيت ملكية أراضيها، وكان دخول الإسلام إلى تلك البلاد الوثنية سياسة الدولة العثمانية والدعم الأساسي لجيشها(١).

والسبب الذي من أجله كان أطفال القفقاس والألبان والبوسنيين والبلغار والرومان واليونان وأبناء أمم أخرى يُنتزعون في أعمار من ستة إلى عشرة أعوام ويرسلون كعبيد إلى استانبول وبمجرد وصولهم إلى هناك يحول غالبيتهم إلى أتراك ويدخلون إلى الإسلام؛ حتى تُمحي أصولهم القومية والدينية من ذاكرتهم كليًا،

---

(١) التقرير الرسمي الأول عن الچراكسة: من القائد العام للجيش العثماني دانيجكلي على باشا وأميرال القوات البحرية للدولة العثمانية غازي حسن باشا حينما نزل في سوغوك عام١٠٨٨ه/ ١٦٦٨م يقول تقريرهما "ليس هناك العديد من المسلمين بين الچراكسة لكن الباقين كلهم بطبيعتهم قريبون من الإسلام ولذلك يمكن للمرء أن يعتبر أنه يمكن كسبهم إلى جانبنا، ويمكننا أن نشكل جيشًا قوامه حوالي ٨٠،٠٠٠ رجل من القبائل المحلية سيكون هذا الجيش من أقوى الجيوش في العالم وسيمكنُنا من بناء جدار بين الدولة العثمانية وروسيا وهذا الجدار سيصبح عقبة لا يمكن تجاوزها لروسيا على الجانب الأوروبي وسيسمح لنا هذا الجدار نفسه بالحصول على الموانئ القائمة على سواحل البحر الأسود. انظر: يوسف عزت باشا: تاريخ القوقاز، المرجع السابق، ص: ٢٢٠.

بعد ذلك كان الأطفال يدربون في فنون الحرب، ويرسـلون للقتال ضـد أبناء جلدتهم، ولقد عمل هذا النظام القائم على تزويد الجيش بصـفة تقليدية خلال فترة التوســع الكاملة للدولة العثمانية في أوروبا، وقد جرى توجيه سياسة التذويب

والدمج هذه ضد الچراكسة بفاعلية أكبر[1]، وفي عام١٠٥٥ه/١٦٤٥م كانت فترة استقرار، وسبب ذلك هي محاولات قياصرة روسيا القضاء على حركات العصيان والثورات التي كانت داخل روسيا بشكل دائم، والعمل على توحيدها،

---

(١) ولقد تحدث أوليا عن ذلك فقال: "... إن آل عثمان عند الفتح أغاروا على بلاد هؤلاء الكفرة الذين ذكرتهم، وهدَموا عروشهم ولم يبقوا بها منزل أو حجر قائم على حجر فمبانيهم وخاناتهم أضحت ترابًا بتلك البلاد وأحرقوا الأسرى منهم شويًا كالكباب وقد ساعد آل عثمان في ذلك التتار الذين لا يعرفون شفقة ولا رحمة، وخانات القرم، بعد ذلك جاءت الأموال والغنائم والأسرى بلا عدد وحساب وحصلوا على خيول الكحيلان بدلاً من مهرات الخيل البدينة، وأيضًا على الآلاف من نساء الكفار، وعلى فتيات في منتهى الحسن وجمال القد والقوام، والأسرى الفتيان الذين هم في العشر والخامسة عشر من عمرهم تعلموا الفروسية والمبارزة وبعد ذلك أغار هؤلاء الفتيان بعدما أضحوا شبابا ورجالاً على الأمصار والبلاد التي ولدوا بها وعلى أمهاتهم اللاتي ولدنهم وأقاربهم وقاموا بفتح تلك البلاد الكبيرة والمدن والقصبات والقرى والقلاع وإلى ما شاء الله للأبد تحت لواء دولة آل عثمان تفتح لهم بلاد أخرى..." انظر الترجمة وكذلك انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧١٥.

ويذكر كارل بروكلمان أن الدولة أكرهت النصارى الذين اختيروا لتأليف الجيش الجديد الإنكشاري على الدخول في الدين الإسلامي، وهكذا افتتحت الدولة هذه الحملة بأن انتزعت ألف غلام نصراني من بيوت آبائهم وأكرهتهم على رفض معتقدهم، لكن تطلع هؤلاء إلى مستقبل باهر جعلهم يتعلقون بشخص السلطان ويخلصون له، والواقع أن القوة الجديدة الإنكشارية نظمت تنظيما جيدًا.

انظر: كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب، تعريب نبيه أمين فارس، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٤٨، ص: ٤١٤.

وهي الفترة التي زار فيها أوليا چلبي منطقة القرم وبلاد الجركس، وأيضا بدأت الدولة العثمانية تتعرض لإخفاقات عسكرية، وبدأ سلطانها الأوروبي ينكمش، وانشغلت طيلة هذا القرن بحروب ضد روسيا والمجر والنمسا وصربيا ورومانيا مما شجع الروس للاستفادة من هذا الوضع وقاموا بحملات على مناطق بلاد الجركس بداية من العام ١١٢٥هـ/١٧١١م واستطاعت بعد عدد من تلك الحملات احتلال تلك المناطق والاستيلاء على مدينة دربند[١].

كما قام الروس بإدخال تغييرات وإجراء تعديلات على هذه التقسيمات بما يخدم مصالحهم ولدوام السيطرة على الشعوب واستغلال الموارد، وكانت هذه السياسة موجهة بشكل خاص ضد الشعوب الإسلامية التي قاومت الاحتلال الروسي لشمال القفقاس ببسالة كبيرة وعزم شديد فالحكم القيصري قام بجملة من السياسات والإجراءات في شمال القفقاس مما كان له الأثر السلبي على الإسلام ومن ذلك:

---

(١) محمد خير حفندوقة، مرجع سابق، ص: ١٦.

١- إخلاء مناطق الشعوب الإسلامية في شمال القفقاس بعمليات إبادة وتشريد وتهجير قسري إلى مناطق أخرى وتحويلهم إلى أقليات في المناطق التي يقيمون فيها.

٢- الاستيلاء ووضع اليد على أخصب الأراضي الزراعية، وتوزيعها على أصحاب النفوذ والمقربين من القياصرة، وكذلك على المستوطنين الروس والقازاق والأوكرانيين الذين كانت تجلبهم الحكومة القيصرية، وتوطنهم في المناطق الإسلامية تحت مسمى عمال ومزارعين ضمن خطة لاحتلال شمال القفقاس، ولعبت دور مؤثر في الحياة السياسية للأقاليم الإسلامية، وتناقصت نسبة الأصوات للمواطنين المسلمين في أوطانهم في الوقت الذي ارتفعت فيه نسبة أصوات الروس[١].

٣- إضعاف صلة المسلمين بالتراث الإسلامي.

٤- الحد من النشاطات الدينية الإسلامية.

٥- ممارسة شتى أنواع القهر النفسي والجسدي بالنسبة للمسلمين.

٦- ممارسة سياسة فرق تسد التي أضعفت صلات المسلمين في هذه البلاد بعضهم ببعض.

---

(١) أحمدوف يوريببوي، زاهد الله منروف: العرب والإسلام في أوزبكستان، بيروت، ١٩٩٦، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ص: ٤٢، ٤٣.

أما الحكم الشيوعي فقد فاق الحكم القيصري استبداد وإبادة للمسلمين وتمييزًا ضدهم، وقام ستالين بقتل وتشريد ونفي جماعي لعدة شعوب إسلامية من القفقاس وشبه جزيرة القرم إلى أنحاء نائية وباردة في سيبريا وآسيا الوسطى، ودأب الحكم الشيوعي على إجراء تغييرات وتعديلات مستمرة على التقسيمات الإدارية في شمال القفقاس هدفت إلى تجزئتها، وتوزيع الشعب الواحد على عدد من الوحدات الإدارية بحيث تصبح هذه الشعوب أقليات لا وزن لها، ولا نفوذ لها في ديارهم التاريخية التي عاشوا فيها منذ آلاف السنين[١].



(١) انظر: فايز نجيب اسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، مرجع سابق، ص: ٣٩.

أوليا چلبي (١٦١١/١٦٨٤م)

ـ نشأته:

تعتمد معرفة الباحث لأوليا چلبي على ما جاء في المجلد الأول من سـياحتنامه من معلومات تقول أن أوليا ولد في العاشـر من المحرم عام ١٠٢٠ه (٢٥ مارس ١٦١١م) في حي اونقپاني[١] أحد أحياء اسـتانبول أثناء فترة حكم السلطان أحمد چلبي، وهو سليل عائلة ذات روابط وطيدة بالبلاط العثماني أدت إلى اطلاعه على ذخائر ونفائس العلوم والفنون، وكان لهذه النشأة الثقافية أثرها في وصفه لرحلاته وإلمامه بتاريخ الأماكن التي زارها وما سمعه من روايات، وكان والد أوليا الصائغ الرئيسي للسلطان ويدعى درويش محمد أغا ظللي أفندي وهناك من يجعله محمد ظلي بن درويش

---

(١) **Unkapanî**: وازنو الدقيق حي من أحياء مدينة استانبول القديمة ذات طابع إسلامي وكانت سوقًا تجاريًا للدقيق والحبوب وما زالت كذلك وإن كان الحي قد تغير اسمه إلى ياوزسنان.

وقد عاصــر والد أوليا تســعًا من الســلاطين العثمانيين اعتبارًا من السـلطان سـليمان القانوني[1]، وحتى السـلطان إبراهيم ابن السـلطان أحمد الأول الذي عزل في عصيان ٨ أغسطس عام ١٠٥٨ﻫ/١٦٤٨م.

توفي والد أوليا عن مائة وتسـعة عشـر عامًا وقد بدأ منادمًا ومصــاحبا للسلطان القانوني، ولحسن صوته عمل مؤذنًا أساسيًا في جامع سليم الثاني في أدرنه، ولما اكتشــفت مهارته الفنية بالكتابة والنحت أصــبح رئيسًــا لجواهرجية السـراي اعتبارًا من عصـر سـليم الثاني، ثم تدرج وتدرب على العديد من الأعمال التي طورت

---

(١) **سليمان القانوني:** عاشر سلاطين الدولة العثمانية وصاحب أطول فترة حكم من ٦ نوفمبر ١٥٢٠ حتى وفاته في سنة ١٥٦٦ خلفًا لأبيه السلطان سليم خان الأول وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني. عرف عند الغرب باسم سليمان العظيم وفي الشرق باسم سليمان القانوني؛ لما قام به من إصلاح في النظام القضائي العثماني. أصبح سليمان حاكمًا بارزًا في أوروبا في القرن السادس عشر، يتزعم قمة سلطة الإمبراطورية العثمانية العسكرية والسياسية والاقتصادية. قاد سليمان الجيوش العثمانية لغزو المعاقل والحصون المسيحية في بلغراد ورودوس وأغلب أراضي مملكة المجر قبل أن يتوقف في حصار فيينا في ١٥٢٩. ضم أغلب مناطق الشرق الأوسط في صراعه مع الصفويين ومناطق شاسعة من شمال أفريقيا حتى الجزائر. تحت حكمه، سيطرت الأساطيل العثمانية على بحار المنطقة من البحر المتوسط إلى البحر الأحمر حتى الخليج.

Hazirlayan Abdülkadir Dedoğlu. Osmanli Yayinevi،Osmanlilar Albümü: Birinci Kitap

ونمقت الفنون لديه وخرجت من تحت يديه قطع فنية رائعة، وقد أُرسل إلى مكة خصيصًا لصناعة الميزاب الذهبي الذي صنعه بيديه لتصريف مياه الأمطار من فوق سطح الكعبة المشرفة كما خرج من تحت يديه العديد من البسملات والآيات وأبيات الشعر التي كتبت بالخط العربي لكي تزدان بها الأسبلة والمحاريب والمنابر في العديد من المساجد[١].

وذكر أوليا أن أجداده عاشـــوا في كوتاهية[٢]، ثم جاءوا بعد الفتح إلى استانبول، واستقروا بها أما والدته فكانت ذات نسب وحسب، وذكر أنه تربطه صلة قرابة من ناحية أمه بكل من ملك أحمد باشا[٣]،

---

(١) Cafer Erkiliç ،Evliya Çelebi: Hayati،Sanati،Esesrleri،Varlik Yayinevi، Ist.١٩٥٤،

- Seyit Kemel Kara Ali oğlu Ansiklopedik Edebiyati Suzlüĝü،Inkilap ve AKA kitab Evleri.Ikinci Basim، ISTANBUL، ١٩٧٨.

(٢) **كوتاهية:** مدينة تقع في وسط الأناضول الغربي شمال غربي أفيون وجنوب غربي أسكي شهر وفي العصر الحديث هناك قضاء يحمل نفس الاسم ويقع بالقرب من أنقرة. انظر: مسعود الخوند، رالموسوعة التاريخية الجغرافية، ج٦، ١٩٩٥، بيروت.

(٣) **ملك أحمد باشا**: من الأشخاص البارزين في الدولة العثمانية تقلد مناصب كثيرة حتى صار الصدر الأعظم في عهد السلطان محمد الرابع (١٦٨٧/١٦٤٢م-١٠٩٩/١٠٥٨ه) فقد شغل منصب السلاحدار عام ١٠٤٨ه، ثم عين واليًا على ديار بكر ثم أرضروم، كما عين واليا على حلب لمدة خمسة أعوام، وبعد ذلك عين واليًا على بغداد عام ١٠٦٠ه وفي العام نفسه ولي الصدارة العظمى ثم عزل بعد ثلاثة عشر شهرًا ثم عين واليا على سلستره ثم ولاية الأوز ثم واليًا على البوسنة وكانت وفاته عام ١٠٧٣ه. أنظر: قاموس الأعلام شمس الدين سامي، ج ١، ص ٧٩٢ و ٧٩٣.

ويقول أوليا: « ولما كان أحمد باشـــا يمت بصـــلة القرابة لوالدتي فإن الإنعام كان يُصيبني في سهولة ويسر»[1].

(١) انظر: أوليا چلبي، سياحتنامه، ج١، ص: ٢٥٤.

- عصره:

عاش أوليا جلبي في القرن ١١ه/١٧م؛ حيث دخلت الدولة العثمانية في مرحلة تخبط بسبب تولي حكمها عدد من السلاطين الضعاف غير القادرين على الإلمام بشئون البلاد والعباد وانتهاء حال الكثير منهم مقتولا أو مخلوعا عبر تمردات قادها الانكشارية وأول هؤلاء السلاطين كان السلطان مصطفى الأول فترة ولايته ذي القعدة ١٠٢٦- ١٠٢٧ه/١٦١٧-١٦١٨م، ونصب مكانه ابن أخيه السلطان عثمان الثاني ثم خلع في تمرد الانكشارية في ١٠٣١ه/١٦٢٢م ثم قتل بعد عزله بيوم واحد ثم أعيد إلى العرش مرة ثانية السلطان مصطفى الأول بعد مقتل عثمان، ثم عزل مجددا عام ١٠٣٢ه / ١٦٢٣ وحبس في السراي؛ حتى مات، وجاء بعده السلطان مراد الرابع الملقب بفاتح بغداد وأخمد عدد من الفتن وحكم؛ حتى مماته عام ١٠٤٩ه/ ١٦٤٠م.

وجاء السلطان ابراهيم الذي خلع بتمرد عسكري عام١٠٥٧ه/١٦٤٨م ثم جاء السلطان محمد الرابع الذي عزل بعد هزيمة العثمانيين في معركة موهاج الثانية عام ١٠٩٨ه/١٦٨٧، كانت هذه طبيعة الفترة التي عاش فيها أوليا وهي فترة كما يبدو غلب عليها التخبط وعدم الاستقرار(١).

ويذكر أوليا چلبي أنه كان كثير التواجد في مجلس السلطان مراد الرابع وكان يقص عليه من الطرائف واللطائف، ومما لا شك فيه أن الجو العام في السراي السلطاني لعب دورًا هاما في تنمية قدرات ومهارات أوليا الأدبية.

وقد اعتملت لدى أوليا چلبي الرغبة في الرحلة للمرة الأولى بسبب أحاديث والده عن عمله وتنقلاته لدى الولاة منذ زمن السلطان سليمان القانوني ووقائع الرحلات المختلفة التي استمع إليها من أصدقاء والده من رجال الفكر الذين كانوا يجتمعون في منزلهم في كثير من الأحيان ولا شك أن هذه الرحلات حركت لدى أوليا الرغبة في السفر.

---

(١) Cafer Erkiliç ،Evliya Çelebi Hayati، Sanati، Esesrleri، S.١٨-١-

وقال أن قيامه بهذه الرحلات كان بسـبب رؤيا رآها في منامه في ليلة عاشـوراء من شـهر المحرم عام ١٠٤٠ه / ١٩ أغسـطس١٦٣٠م، وفي هذه الليلة المباركة رأى الرسـول ﷺ وسـط حشـد كبير في صـلاة الجماعة وهمَ يقبل يد رسول الله ﷺ.

وتحت تأثير هذا الموقف بدلاً من طلب الشـفاعة من رسـول الله قال من فرط الانفعال «السـياحة يا رسـول الله»، فتبسـم له النبي وبشـره بالشـفاعة والسـياحة والزيارة لبيت الله الحرام ودعا له الصـحابة في هذه الجماعة وتمنى له سـعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يكتب ما يراه وطمأنه بالشـفاعة والسياحة[١].

(١) Louis Werner is a writer and filmmaker living in New York

- Related articles from past issues can be found website ،www. Saudiaramco world. com click on "indexes" then on the cover of the issue indicated below. Suleymaniye Mosque: s/o ٠٦ Istanbul: M/A٩٦ ،J/ F ٩٥ ،J/A ٩٠

ويذهب أوليا إلى أحد مشـايخه لتأويل هذه الرؤية وأولها له الشـيخ عبد الله دده المولوي بأن يتبع نصـيحة سـعد بن أبي وقاص، ويبدأ بالكتابة عن مدينة اسـتانبول، وبناء على ذلك قرر التجول في المدينة التي ولد وعاش فيها، والتعرف على كل معالمها ومآثرها من البحر إلى البحر وكتابة كل ما يراه فطاف بأحيائها واحدًا تلو الآخر، وجالس الناس في المجالس على اختلافهم وفي المقاهي والحانات وجمع المعلومات عن كل شئ يصادفه(١).

---

(١) انظر: أوليا جلبي، الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة، إشراف وتقديم محمد حرب، ماجدة مخلوف، القاهرة، دار الأفاق العربية المقدمة، ص: ٩.

نبذة عن المجلد الأول من رحلات أوليا جلبي:

استهل أوليا الكتابة في مجلده الأول بقوله: إن الرسول محمد ﷺ بارك نيته للسفر وحثه على زيارة الأماكن المقدسة «الحج» وزيارة مقابر الأولياء والقتال من أجل الدين، ثم بدأ بالحديث عن مدينته التي وصفها بمحبوبته فقام بعمل جرد كامل لأحياء المدينة ومساجدها مع نبذة تاريخية عن تأسيس المدينة مرورًا بفتحها على يد السلطان محمد الفاتح في ٢٠ جماد ثان ٨٥٧هـ/٢٠ مايو ١٤٥٣م

وكان في معيته الجد الأكبر لأوليا الذي كان يحمل علم الدولة العثمانية، وينتهي بوصـــف تفصـــيلي للموكب الكبير للســـلطان مراد الرابع في عام ١٦٣٨م[١] قبل الشروع في غزو بغداد[٢]،

(١) Dankoff ،Robert & Kim ،Sooyong ،XIII: XVI -٣

(٢) تمكن السلطان مراد الرابع بعد سلسلة من الإجراءات الصارمة من إعادة الهيبة والاعتبار إلى الدولة وأصبح بوسعه التفرغ للمسألة العراقية فانطلق على رأس جيشه في ٢٣ ذي الحجة عام ١٠٤٧ه/ ٨ مايو ١٦٣٨م بحملة لاستعادة بغداد وبعد ١٩٧ يومًا وصل إلى بغداد ووزع قواته حول الجانب البري من المدينة وفي أكتوبر من نفس العام بدأ يدكها بالمدافع ومن ضمنها خمسة مدافع ضخمة أمر بصبها خصيصًا لهذه الحملة وقامت القوات العثمانية بردم الخندق الذي يحيط بالمدينة وهدمت أجزاء من سور القلعة وبعد ٣٧ يومًا من الحصار أمر السلطان مقاتليه بالهجوم على قلعة بغداد واقتحامها ولقي الصدر الأعظم العثماني مصرعه. وفي اليوم الأربعين اضطر مدافعو المدينة من الإيرانيين، وعلى رأسهم خان بغداد بكتاش خان إلى طلب الأمان والاستسلام، وسقطت بذلك بغداد بأيدي العثمانيين في ١٨ شعبان ١٠٤٨هـ- ٢٥ ديسمبر ١٦٣٨م وعاد الحكم العثماني إلى بغداد وبعد انقطاع دام خمسة عشرة سنة، وبعد ذلك قام السلطان مراد بزيارة مرقدي الإمام أبو حنيفة النعمان والشيخ عبد القادر الكيلاني ثم أمر بتعمير المدينة وتعمير قلعة المدينة. انظر: فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي، دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصرًا مطلع العهد العثماني– أواسط القرن التاسع عشر، ص: ٢٨٤، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠٠٧م.

وهو نوع من العرض العسكري قبل النصر؛ حيث يحتفل بهزيمة الصفويين[1] المسبقة أمام العثمانيين فكتب أوليا عن هذا الموكب العسكري الذي بدأ مسيرته في الفجر، واستمر حتى غروب الشمس، وقد بلغ عدد المشاركين فيه ٢٠٠ ألف رجل مروا وكأنهم بحر عاصف؛ حيث ساد الشغب والفوضى والحماسة مع مرور الموكب وعمت المدينة فرحة لدرجة لا يمكن التعبير عنها بأي لغة، أو بأي شيء آخر إن مثل ذلك الموكب لم ولن يُرى مثله: « اللهم احفظ سكان القسطنطينية من كل الشرور واجعلها عامرة؛ حتى أخر الزمان.. آمين »[2].

(١) **الصفويون**: هم آل صفويان: سلالة من الملوك حكمت في بلاد فارس (إيران) من عام ١٥٠١-١٧٨٥م أسس الشيخ صفي الدين الأردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤م) الجد الأكبر للسلالة الصفوية طريقته الصوفية في أردبيل (أذربيجان) سنة ١٣٠٠م.، ويعد الشاه إسماعيل الصفوي المتوفى سنة ١٥٢٤م المؤسس الحقيقي للدولة الصفوية في إيران كان منه نسل الإمام جعفر الصادق فعول على أن يجعل المذهب الشيعي مذهبًا رسميًا للدولة، ويمحو المذهب السني، وما أن علم أئمة الشيعة بذلك من عزمه حتى أشفقوا من جرأته، وفضلوا أن تبث الدعوة الشيعية في الناس رويدًا رويدًا، إلا أنه أبى هذا الرأي، وهدد بالقتل كل من عصاه، وأمر المؤذنين فقالوا: أشهد أن عليًا ولي الله، وحي على خير العمل. انظر: تاريخ الأدب التركي، مرجع سابق، ص: ١١٢. وانظر: الملاحق، الخريطة رقم (٥)، ص: ٣١٧.

(٢) انظر أوليا جلبي، سياحتنامه، ج١، ص: ٣٠.

ويجد أوليا المتعة والسعادة في عد وإحصاء ١٠٠١ من طبقة الحرفيين والجماعات التي تمر بالموكب، ويحكي كيف أنهم يبهجون السلطان الذي يشاهدهم من زاوية خارج سور قصر طوب قاپي[١]، فذكر بائعي القماش والفرو ومنادي الصلاة، وتجار الخيول، الشحاذين، وبائعي الكتب، والمطربين والجلائين وسائسي الخيول وجامعي الروث والمكفنين وحافري القبور والصيادلة وحراس البيمارستان والطهاة للفطائر وآكلي الحشيش وسائقي الجمال وبائعي الخضراوات ومربي الأغنام ومروضي الأسود[٢] .

ولقد كان أوليا متأثرًا بمسجد آيا صوفيا،

---

(١) **طوب قاپي سراي:** يقع في استانبول وكان مركز الحكم في الدولة العثمانية من عام ١٨٥٣/١٤٦٥ واستخدم القصر كمركز إداري للدولة العثمانية على مدار أربع قرون وهو القصر الذي كان يعيش فيه السلاطين وتم بناء هذا القصر في زمن السلطان محمد الفاتح عام ١٤٧٨م، وظل هو مركز إقامة السلاطين حتى بناء السلطان عبد المجيد قصر دولمه باغچه وافتتح القصر للزيارة العامة ١٩٢٤م وإلى الآن مفتوح كمتحف. انظر: صورة رقم (٣)، ص ٣٢٦ بالترجمة.

Ferit Devellioĝlu ،Osmanlica-TürkÇe Ansiklopadik Lüĝat، ١١.Baski ،Aydin Kitab Evi Yayinlari-Ankara،١٩٩٣، S.٧٤٥

(٢) حسب ما تبين من كتابات أوليا أنه كان يحب أوقات المرح كما كان صاحب ذوق وكان لهذا تأثير فيما كتبه وسجله من وقائع غريبة ولطائف كما كان يهتم أوليا بالحديث عن أرباب الحرف وتصنيف مستوياتهم ومخالطتهم ومصاحبة رواد المدارس والحانات ورواة المأثورات الشعبية انظر: الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة (أوليا چلبي)، مرجع سابق، ص: ١٥

ولكن تأثره الأكبر كان بالمسجد السليماني الذي بناه المهندس معمار سنان[١] للسلطان سليمان وذلك على واحدة من التلال العالية باستانبول الذي بمجرد أن شاهده نفر من مهندسين الإفرنج المهرة عضوا على أناملهم في ذهول، ولما رأوا المنازل وشاهدوا قباب المسجد قذفوا قبعاتهم في الهواء تعبيرا عن الدهشة والإعجاب[٢]،

---

(١) **معمار سنان:** ولد معمار سنان في قرية أغير ناص التابعة لولاية قيصرية في الأناضول وكان مولده عام٨٩٦هـ/١٤٩٠م في عهد السلطان بايزيد الثاني ابن الفاتح ووالد سليم الأول، ونشأ سنان فتى ولوعًا بشق قنوات مياه الحدائق وشغوفا ببناء الأكواخ وحظائر الحيوانات؛ كان سنان ضمن هؤلاء الفتيان المسيحيين الذين جندوا في الجيش العثماني فيما يسمى بالدويشيرمه، أسلم سنان وكان عمره ثلاث وعشرين عاما والتحق بمدرسة عسكرية ابتدائية تسمى "عجمي اوغلانلر" وفيها تعلم القراءة والكتابة والفنون التطبيقية عمل سنان عاملاً معماريًا في بناء الأكواخ والحمامات والخانات لكن الذي أثر وأنمى تجربة سنان الفنية هو اشتراكه في الحروب العثمانية في الشرق وفي الغرب وقد لفت نظر سنان مباني تبريز المعمارية وخصائص الفن الإيراني وعندما رافق الجيش العثماني في دخوله حلب ودمشق جذبت الطرز المعمارية اهتمام المعمار سنان وفي القاهرة وقف سنان متأملاً مستغرقا فاحصا الطرز المعمارية المملوكية كما تجول كثيرًا بين أهرامات الفراعنة. انظر: محمد حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ص: ١٥٨.

(٢) Dankoff ،Robert & Kim ،Sooyong ،XXII

وعندما غامر أوليا وقرر السـفر خارج العاصـمة طلب منه والده أن يحتفظ بدفتر يومي يسجل فيه مشاهداته واقترح عليه اسم سياحتنامه وكانت أول رحلة له خارج استانبول في عام ١٠٤٩ه / ١٦٤٠م إلى بورصه(١).

(١) **بورصه:** إحدى أشهر المدن التركية المعاصرة، وكانت أول عاصمة للدولة العثمانية، ثم تلتها أدرنه، ثم استانبول لها مكانة مرموقة في الحضارة التركية العثمانية، وبها العديد من المساجد والجوامع والمدارس والأضرحة العثمانية، وظلت إلى عهد بعيد من الفتح العثماني لمدينة استانبول هي المدفن الأساسي للسلاطين العثمانيين.

Ferit Devellioĝlu ،Osmanlica-TürkÇe Ansiklopadik Lüĝat،….S.٤٣

أول رحلة لأوليا خارج استانبول:

كانت إلى طرابزون بمعية واليها الجديد كتنچي عمر باشا، ثم ذهب عن طريق البحر الأسـود إلى أناپا للاشـتراك في الحملة التي قادها حسـين باشـا لاسترداد قلعة آزاق[1] عام١٠٥٠ه/١٦٤١م

(١) **قلعة آزاق**: اهتم كثير من المؤرخين العثمانيين بهذه القلعة وذلك لعدة أسباب منها أهمية القلعة استراتيجيا بحكم موقعها على بحر الأزاق الذي يعد المدخل إلى البحر الأسود، وعندما سيطر القازاق على هذه القلعة فإن تهديهم كان سيتجاوز الملاحة في البحر الأسود ليصل إلى المراكز العثمانية والقرمية، وقد يصل هذا التهديد إلى استانبول نفسها، وكانت مدة الخمس أعوام التي استغرقها استرداد القلعة من عام (١٠٤٧ه/١٦٣٧م ١٠٥٢ه / ١٦٤٢م) أحد أسباب اهتمام المؤرخين بالحديث عنها والصعوبات التي واجهها العثمانيون والقرميون في تحريرها، وقد قام بهادر كراي بمحاولة اختراق القلعة لكنه لم يتمكن من ذلك، واستمرت هذه الأوضاع في عهد السلطان ابراهيم الأول (١٠٥٠-١٠٥٨ ه/١٦٤٠-١٦٤٨م) إلى أن شهدت البحرية العثمانية تقدما ملحوظا وفي عام (١٠٥٤ه /١٦٤٤م) خرجت حملة بقيادة الكتخدا بياله اوغلو والخان محمد كراي الرابع وتمكنا من تحرير القلعة في عام (١٠٥٥ه/ ١٦٤٤م). انظر: إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، تقديم: حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة، ج١، بيروت، ١٤٠٨ه/١٩٨٨م، ص: ٥٨٣، وانظر: محمد شفيق: روضة الأبرار،، شرح شفيق نامه، استانبول، ١٣١٦ه، ص: ٦١٢.

- Bir Hayat Tarafindan Yazmiş tir. Mufassal Osmanli Tarihim،١٩٥٨، Ğehir madasi، Istanbul، ٤. cilt، S.١٩٣١

لكن الحملة لم تسفر عن شيء بعدها توجه إلى القرم، وحل ضيفًا على بهادر خان[١]، وأمضى الشتاء في مدينة باغچه سراي[٢].

---

(١) **بهادر كراي الأول** تولى حكم خانية القرم عام ١٠٤٦-١٠٥٠ه/ ١٦٣٧-١٦٤١م/ وهو أحد أبناء سلامت كراي عاش في استانبول أثناء حكم والده وعرف بحسن الخلق والشجاعة ووصف بأن اسمه مطابق لمسماه أعاد الاستقرار إلى القرم وأجبر الروس على دفع الجزية ونتيجة لحسن سياساته حاز على رضا السلطان مراد الرابع وتوفي عام١٠٥١ه/١٦٤٣١م

Ahmet Ayhun: Kirim،…، S.٧٩

تحدث عنه اوليا أثناء حديثه عن مينة جزلاف والموجود بها جامع بهادر كراي وقد وصف هذا الجامع فقال عنه: أن مساحة الجامع من باب المدخل إلى المحراب تبلغ ١٥٠ قدم وعلى اليسار من المحراب توجد مقصورة يقوم الخانات بآداء صلواتهم بها، وجامع بهادر كراى خان له منارتان طويلتان إحداهن قد تهدمت نتيجة زلزال، وفي الحقيقفة المنارة والمسجد في منتهى الروعة، وذلك لأن من قام على انشائه عبد المنان وكان معلمه هو معمار سنان الذي أنشأ مسجد السلطان سليمان (السليمانية)، وتحدث عنه مرة أخرى أثناء التعريف بالقصور في مدينة باغجه سراى، ومنها قصر بهادر كراى الذي تم بنائه عام ١٠٤٩ه / ١٦٣٩م.

(٢) **باغچه سراي**: العاصمة ومدينة عرش الخانية وتقع بين الحدود الشمالية والوسطى لجبال القرم بين مدينتي آق مسجد وسيواس طوبول وتتميز بكونها مدينة خضراء، والمدينة عبارة عن واد تكثر فيه الغابات الكثيفة والقنوات والترع وكان الخانات يأتوا إليها لقضاء أشهر الصيف وممارسة الصيد، وكان الذي وضع حجر الأساس لهذه المدينة العامرة الخان منكلي كراي الذي أقام بها قصر "خان سراي " عام ٩٠٩ه / ١٥٠٣م وفي عهده أيضا انتقلت العاصمة إليها وازداد الاهتمام بها، وفقدت العاصمة القديمة "سولخاط" أهميتها، ولكن ظلت دار سك العملة بها حتى عصر اسلام كراي (٩٩٣-٩٩٧ه/ ١٥٨٤- ١٥٨٨) =

-Islam Ansiklopedisi ،Türkiye Diyanet Vakfi ،Istanbul ،١٩٩٦.٢. Cilt،S.٤٨٢-Ahmet = Ayhun:Kirim،S.٣١

وقد ذكر يلماز اوزتونا وصفا لمدينة باغجه سراي نقلاً عن اوليا فقال المدينة تحتوي على أربعة وعشرون جامعا ومسجدًا، بهاعدة مدارس دينية وسبعة عشر مكتبا وتسع تكايا

وبعدها رجع من القرم عائدا إلى استانبول عن طريق البحر، وتعرضت المركب التي كان يركبها لعاصفة قوية، وأوشكت على الغرق، ولهذا توقف عن الرحلات لمدة أربع ســنوات ربما بســبب الخوف من أن يتكرر هذا الحادث، ثم خرج مرة أخرى في عام١٠٥٥ه/١٦٤٥م

وسبع وعشرون نافورة للمياه وأسبلة وأربعة عشر خانًا (حانوتا) وأربعة حمامات وثلاث مطابخ لعابري السبيل والمحتاجين، وعدد غير قليل من القصور وثمانية آلاف من دور العامة وقال أن المدينة مليئة بالحدائق والبسلتين وأشهر المباني قصر الخان وجامع باسم الخان صاحب كراي (٩٥٢-٩٧٣ه/١٥٣٢-١٥٥١م) وهو أكبر الجوامع، ونزل للمسافرين الذي أقامها سفر اغا في عام ١٠٧٢ه/١٦٦١م وأيضا الحمام الذي بناه محمد كراى الرابع في نفس الفترة ويقول "يلماز" بأنه يوجد في استانبول حمام مشابه له، كما أشار إلى مظاهر البذخ والترف التي بدت على الفساقي والكاسات المطلية بالذهب والعطور التي يوزعها العبيد. انظر: يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة، ج٢، ص: ٧٠٦و٧٠٧، أوليا جلبى: سياحتنامه، المجلد السابع، (ينه ستايش تخت كاه آل جنكيز خان شهر باغجه سراى دار سلاطين)، ص: ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٩١. وانظر: الدراسة – المدن والقرى: باغجه سراى من خلال رحلة اوليا جلبي إلى القفقاس.

وفي هذه المرة شترك في الحملة على كريت[١] وشاهد فتح قلعة قانيه[٢] مع يوسف باشا، ثم عاد إلى استانبول، وفي العام التالي رافق الوالي الجديد زاده محمد باشا إلى أرضروم، وصاحبه أوليا باعتباره مؤذنًا،

---

(١) **كريت**: هي جزيرة في شرق البحر المتوسط كثيرة الجبال ذات طبيعة قاسية وأرض وعرة خضعت قديمًا لحكم الرومان واليونان والعرب وأخيرًا فتحها العثمانيون بعد صراع عسكري دار بين القوات العثمانية وجمهورية البندقية للسيطرة على جزيرة كريت وقد حسمه العثمانيون لصالحهم، وقد بلغ الصراع ذروته بحملة الدردنيل البندقية وبحصار كانديا الشهير الذي دام ٢٢عاما بين عامي١٦٤٧/١٦٦٩حتى الاستسلام النهائي ولعله أطول حصار في التاريخ عام ١٠٨٠ه/١٦٦٩م ثم ضمت للحكم اليوناني عام ١٩١٢م. انظر: س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م٤٢١ .

(٢) **قلعة قانيه:** في القرن ١١ه/١٧م بدأت كفة العثمانيين ترجح بشكل شبه حاسم في صراعهم الطويل والمضني مع جمهورية البندقية للسيطرة على شرق البحر المتوسط، وكان العثمانيون يبحثون عن ذريعة للتخلص من المعاقل الأخيرة لسلطة البندقية (جزيرة كريت والجزر الأيونية) ووجد السبب في عام ١٠٥٤ ه/ ١٦٤٤م عند هجوم فرسان من جزيرة مالطه في ٢٨ سبتمبر على قافلة بحرية عثمانية متجهة من الأسكندرية إلى استانبول وتحمل معها ثروات كبيرة وبعض من حريم السلطان أثناء عودتهم من أداء فريضة الحج وعند استراحت الباخرة بميناء كانديا عاصمة الجزيرة، وقبل أن تبحر من جديد هاجموها، وكان هذا العمل كافيًا لنسف الجهود المضنية الرامية لإحلال السلام بين البندقية والعثمانيين، وقد حشد الباب العالي لهذه الحملة قوة من ٦٠,٠٠٠ جندي تحت قيادة السلاحدار يوسف باشا، إذ كان في ظاهرها أنها حملة تأديبية على مالطة، ولكن أخذ البنادقة على حين غرة بوصول الأسطول العثماني في ٢٦ يونيو١٦٤٥ واستولى العثمانيون على قلعة قانيه Kanije (kaleyi) في ١٧ أغسطس أي بعد شهرين من حصارها.

Seyit Kemal Kara Ali Oğlu: ansklopedik edebiyat sözlüğü، Geniğletilmiğ، Ikinci Basim ،Inkilap ve Aka Kitabevleri، Istanbul، ١٩٧٨، S.٣٨٢ -

ومن خلال تلك الرحلة زار الكثير من مدن الأناضول[١].

وتمكن أوليا من مشاهدة مناطق أذربيجان والكرج[٢]، وبعد عودته إلى استانبول اعتلى ملك أحمد باشا منصب الصدر الأعظم، ويذكر أوليا أنه بعد عودته من كرجستان وأذربيجان اللذان مكث فيهما ثماني أشهر يقول: «لم أتغيب عن صحبة سيدي ملك أحمد باشا ليلا أو نهارًا للحظة فكان يستفسر عن رحلاتي خلال الثمان أشهر، ويسأل عن القلاع العظيمة، والمدن القديمة التي زرتها والعجائب والغرائب وحالة كل منطقة وهل هي مزدهرة أم مهدمة، وهل العدل سائد بها، وكنا نعقد المجالس والمحادثات الرائعة[٣].

---

(١) الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة، المقدمة، مرجع سابق، ص: ٩.

(٢) **الكرج:** ينتسب الكرج إلى المنطقة المنسوبة إليهم كرجستان (جورجيا) الواقعة في منطقة القوقاز عند الحد الفاصل بين اوربا وآسيا وتمتع بحدود منيعة من الجبال في الشمال والجنوب التي تطل على البحر الأسود ومن أشهر مدنها تفليس وشيروان وشكى وكنجه وكارتيل. انظر: مسعود الخوند: الموسوعة التاريخية الجغرافية، بيروت، ج٥، ١٩٩٥م.

(٣) Dankoff، Robert & Kim، Sooyong، S. XXI

وبسـبب سـوء إدارة ملك أحمد باشـا وفشـله في القضـاء على الأزمة الاقتصـادية، تم عزله من منصـب الصـدر الأعظم وتعيينه واليًا على « اوز « وصـــحبه أوليا، وســجل ما رآه من عجائب وغرائب في قرى مثل: باباداغى، وصوفيا. وبعد ذلك توجه معه أوليا چلبي وذهب إلى « سلسترا[1]، وعندما عُين ملك أحمد باشا واليًا على البوسنة لحق به أوليا وطاف واشترك في الحملات العســكرية التي تمت في هذا الإقليم وطاف ببلاد الألبان[2]، والبلغار والمجر، وذلك من عام ١٦٦٠: ١٦٦٢م،

---

(١) **سلسترا**: مدينة تقع اليوم إلى الشمال الشرقي في بلغاريا عند الحدود البلغارية الرومانية. انظر: علي حسون، مرجع سابق، ص: ٥٠.

(٢) يقول روبرت دانكوف: حيث أخذت من كتبه تلك المقتبسات بأن المؤرخ مايكل كيل قارن وصف أوليا چلبي للمساجد الموجودة في البلقان والحمامات العامة والتكايا الصوفية بالمواقع التي ما زالت قائمة حتى الآن فوجد أن أوليا غاية في الدقة فعلى الرغم من الحكايات الخيالية عن بعض من الأماكن لكن سياحتنامه قاموس جغرافي حصيف وموثوق بالأخص لكثير من مدن الألبان التي زارها ورآها بعينه.

Louis Werner is a writer and filmmaker living in New York.

Related articles from past issues can be found website ‹www. Saudiaramco world. com click on "indexes" then on the cover of the issue indicated below. Süleymaniye Mosque: s/ o ٠٦ Istanbul: M/A٩٦ ‹J/ F ٩٥ ‹ J/A ٩٠

وبعد قضـــاء الشــتاء في بلجراد عاد إلى اســتانبول، ثم خرج منها إلى النمســـا مع الجيش المتجه إليها تحت قيادة فاضـــل أحمد باشـــا عام ١٠٧٣ه/١٦٦٢م، ويقص علينا أوليا چلبي الغرائب والعجائب التي شاهدها، ولمســـها بنفســـه في بلاد النمســـا والمجر ومعالم تلك البلاد خلال هذه العصور[١].

---

(١) ويقول دانكوف: " أن أوليا قارن بين المجريين والنمساويين وأبدى ملاحظة أن المجريين لوثريين أما النمساويين فهم كاثوليك ووصف عاداتهم المختلفة في الحروب وينهي مقارنته بينهم بملاحظة غريبة بأن يصف المجريين بأنهم أشرف وأنظف ملحدين فهم لا يغسلون وجوههم بالبول كل صباح كما يفعل النمساويين بل أنهم يستخدمون المياه ويضيف كما لو كان اعتذار بأن ذلك من عاداتهم ونحن لا نملك أن نستهجن ذلك ". Robert ،Dankoff XVI.، Sooyong،& Kim

«الذهاب من ولايتي الأفلاق والبغدان[1] إلى القرم، ثم الذهاب شرقا على صهوة جواده إلى القفقاس وداغستان».

لقد طاف أوليا بولاية الأفلاق وقام بتعريف القرى والقصبات التي مر عليها، ووصفه لقلاع مثل (سوه رين) و(فدين) و(راهاوا) و(جول) و(نيكه بولى) ثم الذهاب إلى مدينة بوقرش والتعرف على عمارتها وقصبة (دلي اورمان)

---

(١) **الأفلاق أوالفلاخ**: الأتراك يُسمونها الأفلاق وهي إمارة من إمارات نهر الدانوب وقد ظهرت للوجود في القرن الثالث عشر، وأصبحت منذ ١٣٩٦م تابعة للدولة العثمانية. انظر: محمد فريد، الدولة العلية العثمانية، ص: ١٣١. انظر: الملاحق، خريطة رقم (٦)، ص: ٣١٨

ولقد تحدث أوليا في المجلد السابع عن الأفلاق والبغدان وعن حدود كل منهما وعن جبال البغدان وأقوام البغدان وملوكهم يقول أوليا" أن أول فتح لولاية الأفلاق كان على يد يلدريم بايزيد ولكن إعمار المدينة والتنظيم الإداري كان في عهد السلطان سليمان... وتحدث أوليا عن التعريف بلسان ولغة الأفلاق فقال: "انهم أقوام عيسويون (نصارى) وهم يختلفون بعض الشيء في المذاهب، ولكن اللغة واحدة وإن كان يوجد اختلاف في بعض الكلمات عن بعضهم البعض، وتعاملهم وحسابهم يكون بالأقجه. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (بوغدان ولايتي) ص: ٤٩٠، (افلاق ولايتى) ص: ٤٥٧، (افلاق لساننده نمونه) ص: ٤٨٢

وقام بالتعرف على لغات أقوام الأفلاق وعقيدتهم، وقد توجه من بوقرش إلى البغـدان، ومنهـا إلى ولايـة القرم، الـذهـاب إلى مـدينـة بـالق لوا (Baliklava)[1]، والميناء الموجود بها، ومشـاهداته عن القلاع مثل: قلعة آزاق، ومنكوب، وكوهر كرمان[2]، ثم الوصـول إلى إرم ذات مدينة عرش آل كراى باغجه سراى، ثم مدينة آق مسجد[3] الذهاب شرقا مع الخان محمد كراى إلى داغسـتان والمرور ببلاد الجركس وطاوسـتان، الذهاب من داغسـتان إلى (خراسـان – بلخ- بخاره – ايران) ثم العودة من القرم إلى استانبول.

(١) انظر: الدراسة الفصل الثاني (المدن والقرى من خلال سياحتنامه القفقاس).

(٢) انظر: الدراسة الفصل الثاني (القلاع من خلال سياحتنامه القفقاس).

(٣) **آق مسجد**/ أي المسجد الأبيض العاصمة الأولى لخانية القرم بعد انفصالها عن الجيش الذهبي وتقع شرق مدينة باغجه سراي ولهذه المدينة اعتبار ومكانة عند شعوب القرم وهي تعد مقرًا لولاة العهدن ويطلق عليهم "القالغاي" وهي تحتوي على ألفين وثلاثمائة وسبعين دارًا وقصرًا كما أن بها خمسة جوامع وأربعة مساجد ومدرستان وغير ذلك من التكايا والحوانيت والحمامات بها من أهم معالمها جامع منگلي كراي والذي بني عام ٩١٣هـ/١٥٠٨م ونزل المسافرين الذي شيده محمد گراي الرابع عام ١٠٦٣هـ/ ١٦٥٢م. انظر: شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، المجلد الثاني، ص: ١٣٢٤، وكذلك انظر: يلماز اوزتونا:تاريخ الدولة، ج٢، ص: ٧١٠، وللمزيد انظر: الدراسة الفصل الثاني (المدن والقرى) من خلال سياحتنامه القفقاس.

وقضـــى أوليا في هذه الرحلة قرابة الخمس أعوام منذ عام ١٠٧٤-١٠٧٨ه /١٦٦٣- ١٦٦٧م، وفي أثناء عودة أوليا من توقف في أدرنـه؛ ليخبر مندوب السلطان للوفاء بوعده للسلطان بأنه سيحضر له النسور التي أسرها في القفقاس كان مكوث السلطان في أدرنه بسبب هواية الصيد وأيضًا لتجنب الوباء الذي انتشر في استانبول، وعندما عاد أوليا إلى وطنه استانبول أُخبر بأن ستة رجال من خدمه قد ماتوا بالطاعون خلال أسبوع واحد، وبعد أن اســتراح بعض الوقت، ســاح بكل بلاد اليونان ثم رجع إلى اســتانبول عام١٠٨١ه/١٦٧٠م، وقرر أن يؤدي فريضــة الحج الذي كان يتحرق شـوقًا إليه منذ أمد وأعد عدته للقيام بالرحلة الأخيرة في حياته وهي رحلة الحجاز ومصر وأعد غلمانه ورافق قافلة الحج التي كانت تضم حجاج من استانبول ودول البلقان، وقد وصف لنا أوليا مراسم توديع القافلة، ووصف الرحلة منذ قيامها من اســتانبول، وحتى الانتهاء من أداء شــعائر الحج، وذلك عام (١٠٨٢ه/ ١٦٧١م) ثم استقر رأيه على مرافقة قافلة الحج المصري وأرسل كتبه وهداياه في إحدى السفن المتجهة إلى السويس وذهب عن طريق العقبة وطور سيناء[١].

---

(١) انظر: أوليا چلبي، الرحلة الحجازية، الصفصافي أحمد المرسي، ص: ٦٧.

ووجد أوليا راعيًا له في مصـر الذي أمر له بمسـكن في قلعة القاهرة، وأقام فيها لمدة سبع سنوات قام خلالها بإعداد قائمة طويلة ذكر فيها علماء الدين في القاهرة والبكوات والأعيان أثناء تلك الفترة قال أوليا: «كانوا يحسـنون إلي وأدين لهم بالفضـل وغالبهم من صـفوة الأمراء والإداريين العثمانيين»، وأول من ذكر اسـمه في القائمة هو «اوزبك بك» أمير الحج لمصـر عام ١٦٧٠؛ حيث ربطته مع أوليا صـداقة قوية أثناء رحلة الحج، وربما لذلك السـبب كان مخطوط سـياحت نامه من المجلد الأول، وحتى المجلد الثامن ضـمن المقتنيات الموجوده بمكتبة «اوزبك بك» منذ تاريخ وفاة أوليا تقريبًا في عام ١٠٩٥ه/١٦٨٤م وإلى أن تم إحضاره إلى استانبول عام ١١٦١ه / ١٧٤٢م وإهدائها إلى مكتبة الحاج بشير أغا»[١].

وقد سنحت الفرصة لأوليا وهو بمصر ليطوف بالمنطقة كلها فذهب إلى السودان والحبشة وخصص لهذه الديار الجزء الأخير من رحلته والذي كتبه في مصر وقضى في هذه المنطقة قرابة العشر سنوات، وعلى أية حال يبدو جليا أن أوليا لم يكن لديه أي افتقار للرعاة والمؤيدين أثناء تلك الفترة؛ حيث كان يكمل التنقيح الأخير لعمله.

---

(١) Dankoff، Robert & Kim، Sooyong ،XXII

وتشـــتمل رحلة أوليا على يومياته في أنحاء الدولة العثمانية؛ والتي امتد نفوذها على قارات ثلاث وضـــمت أصـــحاب الأديان الســـماوية من يهودية ومسيحية وإسلامية وعرقيات مختلفة من الأرمن واليونانيون والصرب والغجر والعرب والأكراد والأتراك.

ومثل ملك أحمد باشـا دورًا مهمًا في رحلات أوليا چلبي عند توليه منصـب الصـدر الأعظم أو شـغله منصـب الوالي في العديد من الولايات مثل: ولاية أوزي، والبوسـنة، والروملي، ووان، وديار بكر، لم يفارقه أوليا في أي من تلك الولايات، وبذلك تمكن من التجول في مناطق كثيرة من الأناضـول والروملي لقد اكتسـب أوليا چلبي من رحلته التي قاربت النصـف قرن من الزمان تجارب ومعارف لانهاية لها[١].

(١) انظر: أوليا چلبي، الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة، (المقدمة) ص: ١٤.

- ثقافته:

واظب أوليا على تلقي العلوم من خلال مدرسة شيخ الإسلام حامد أفندي[1] لمدة سبع سنوات وكان يداوم على حفظ القرآن الكريم؛ حتى أتقنه ودرس التجويد والقراءات، وتعلم فن الخط على يد والده وفنونًا أخرى كصقل الأحجار الكريمة والكتابة عليها، وربما يكون اسم أوليا چلبي نسبة إلى معلمه أوليا محمد أفندي ويقول أوليا چلبي «من أوليا أفندي حفظت وتعلمت ترتيل القرآن» واذكر أني استطعت ترتيله كاملاً في غضون ثمان ساعات دون إضافة أو طرح وبدون خطأ واضح أو خفي،

(١) **المدرسة:** ١- اصطلاح تعليمي: يُطلق على المكان الذي تعلم فيه الدروس الدينية والشرعية ٢- مكان يرتاده الطلبة وبه مكان للإقامة ويذكر منها مدرسة السليمانية التي أنشأها السلطان سليمان القانوني في محيط جامع السليمانية باستانبول، كما توجد مدرسة القضاة، مدرسة الخطاطين ثم مدرسة الأئمة والخطباء التي أنشئت عام ١٩١٣ لتخريج الأئمة وهذه المدرسة ضمت إلى مدرسة الإرشاد وسميت باسم دار الحكمة الإسلامية.

Ferit Devellioĝlu، Osmanlica-TürkÇe Ansiklopadik Lüĝat، ١١. Baski، Aydin Kitab Evi Yayinlari-Ankara،١٩٩٣،S.٥٩٩

والحمد لله منذ الطفولة، وحتى الآن؛ سواء في المنزل أو أثناء رحلاتي لم أهجر تلك العادة، وإن الخوف لا يدخلني مطلقا لقوله تعالى: **التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (١١٢)**[1] ولقد حافظت طوال أربعين عامًا على حدود الله وأداوم على ختم القرآن الكريم في كل يوم جمعة منذ فجر شبابي وبذلك اختمه في كل عام ثمانية وأربعون مرة».

(١) سورة: التوبة، الآية: ١١٢.

فربما يدين أوليا باسـمه إلى أسـتاذه وأبيه الروحي أوليا محمد أفندي، ولقد واصـل تعليمه داخل الأندرون[1] بتعلم اللغة العربية والفارسـية وفنون الخط العربي، وإلى جانب ذلك كان أوليا جلبي مولع بقراءة التاريخ، وعندما دخل أوليا القصـر تسلمه رئيس الأغوات واختار له غرفة قريبة من الجناح السلطاني.

ثم أخذ يتعلم كيفية التحرك والتصرف في حضرة السلطان ويصف أوليا نفسـه وهو في مرحلة السراي بأنه كان في العشرين من عمره، وكان رشيدًا نجيبًا على علم بمجالس الأدب مما جعله ينال عطف السلطان ورعايته،

---

(١) **أندرون**: في الفارسية بمعنى داخل الشيء وقد أطلقها الترك على القصر السلطاني، وأسس السلطان محمد الفاتح في قصره مدرسة عرفت ب"اندرن مكتبي" بمعنى مدرسة القصر أما تلاميذها فكانوا يختارون من أولئك الفتيان الذين يجمعون في كل عام من البلاد التابعة للدولة العثمانية، ومدة تحصيل العلم أربع عشرة سنة، يدرسون فيها القرآن وعلوم الشرع والعربية والفارسية ويتعلمون آداب السلوك، فمن بصق منهم على الأرض أو سعل دون أن يضع منديله على فيه أو اتسخت ثيابه أخذ بعقوبات متفاوتة في الشدة،، وكانت المناصب العالية في الدولة تنتظر المتخرجين في هذه المدرسة، ومن ينسب إليها يعرف بالأندروني.انظر: احمد راسم عثمانلي تاريخي، برنچي جلد، ص: ٣٣٨ استانبول ١٣٣٠ه.

-Ferit Devellioğlu ،Osmanlica-TürkÇe Ansiklopadik Lüĝat، ….S.٢٢٢

يقول روبرت دانكوف: بالرغم من ادعاء أوليا بأنه تخرج إلى سلاح الفرسان إلا أنه لم يتخرج برتبة ضابط التي كانت ستكسبه مسمى أغا أو باشا.

فكان أوليا يؤدي يرتل القرآن في آيا صوفيا مسجد الدولة الرئيسي منذ عام ٨٧٣ه/١٤٥٣م، وفي أحد تلك المناسبات في عام١٠٤٥ه/ ١٦٣٦م جذب أوليا وهو ما زال فتيًا انتباه السلطان مراد الرابع لمهارته في ترتيل القرآن وإنشاده للتواشيح والتي جعلت منه منشد السلطان ثم قضى أوليا في السراي أربعة أعوام تعلم فيها الكثير من الفنون والعلوم ويقول أوليا «الحمد لله بأن والدي كان يشغل وظيفة رئيس الصاغة لكل السلاطين العثمانيين من سليمان القانوني (١٥٢٠/١٥٦٦)، وحتى السلطان إبراهيم الأول (١٠٤٩-١٠٥٧ه/ ١٦٤٠-١٦٤٨م)، وأنا أيضًا شرفت بمصاحبة السلاطين محبي الجهاد، ومنهم مراد خان الغازي[١]، وذلك قبل حملة بغداد في٢٣ ذي الحجة ١٠٤٧ / ٨ مايو ١٦٣٨؛ حيث تلقيت مباركته، وتخرجت من الأندرون إلى سلاح الفرسان بأجر يومي أربعين أقچه»[٢].

---

(١) Dankoff، Robert & Kim، Sooyong، p.: XII.

(٢) **الأقچه**: قطعة نقد فضية شائعة في بيزنطة منذ القرن العاشر واللفظ ترجمة لكلمة aspron اليونانية وتعني البيضاء وهي نقود فضية مماثلة للنقود التي ضربها السلاجقة على الغرار البيزنطي، ضربت هذه السكة لأول مرة في العهد العثماني زمن السلطان أورخان في بورصة سنة ٧٢٩هـ-١٣٢٨م انظر: كات فيلت، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، تعريب أيمن الأرمنازي، مكتبة العبيكان، ١٤٢٥/٢٠٠٤، ص: ٣٣٧.

منهج أوليا في كتابة الرحلة:

من الملاحظ عند قراءة المجلد السابع محل الدراسة أن « أوليا جلبي» كان يضع عدة نقاط بين قوسين بهذا الشكل (...)، وذلك تكرر في الكثير من صفحات المجلد لحين استكمالها فيما بعد كما كان يترك بعض المعلومات دون أن يذكرها رغبة منه في كتابتها في وقت لاحق والواضح أن كان يحتفظ بملاحظاته منظمة بشكل معد ومرتب لحين كتابتها عندما تتاح وتهيئ له الظروف لكتابتها، وذلك أثناء الفترات التي يكون بها في وطنه استانبول أو في القاهرة،

- رصده الظواهر الاجتماعية « العادات والتقاليد » بعين الناقد مثل حادثة عسل الموتى.
- أورد أوليا معظم الأرقام في المجلد السابع محل الدراسة بالأرقام العربية.
- استخدام أوليا جلبي للإضافة الفارسية كثيرة جدا في صفحات المجلد السابع .
- استخدام أوليا لأداة الجمع الخاصة باللغة الفارسية مثال ذلك كلمة مورخان ويقصد بها المؤرخون.

- اســتخدام أوليا لبعض من الآيات القرآنية للتعقيب والشــرح وورود كلمات كثيرة جدًا في المجلد الســابع من اللغة العربية ومعظم ما ورد من عناوين اعتمد فيها أوليا على اللغة العربية .
- تميز أسلوب أوليا جلبي بأنه أسلوب إحصائي خاصة فيما تعلق بوصف بالمدن والقرى والقلاع وكذلك إحصــائه وتعريفه للقوميات والعرقيات وأســماء الأقوام والقبائل بالمنطقة وخطط المدن وأنماط العمران وكافة مناحي الحراك الاجتماعي والانســاني وذلك لا يتوفر لدى كثيرين من الرحال والمؤرخين، كما ســجل الباحث دقة أوليا وحرصــه على عد وإحصــاء الحرفيين وتصــنيف مســتوياتهم ومدى كفاءتهم والحوانيت، وأنشطتها ووصف الأسواق وأحجامها، والأسعار بها والتجار التي تفد إليها من البلدان المختلفة ودور الضــيافة وروادها، والمتابع لأســلوب أوليا في الكتابة يلاحظ أنه كان لا يدع تفصــيلاً بسـيطًا يغيب عنه، ولم يغفل ما يُستملح أو يُستغرب، فوصف في مجمل رحلاته كل ما مر به من مدن وما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المشاهد،

- وبدائع المصـــانع والصـــنائع، وذلك بتتبعه حياة مختلف القطاعات والشـرائح الاجتماعية، مثل قضـاياها وأفكارها وهمومها والمكونات الثقافية والاخلاقية والوجدانية وطرق معيشـــتهم وأنشـــطتهم المهنية والاقتصـادية والعادات والتقاليد وبنية المجتمعات التي زارها والأقوام العديدة المنتشرة في منطقة جغرافية تختلف في كثير من التفاصيل عن بعضها البعض، في الهيئة والعقيدة والأطعمة والمشروبات، وحتى في طرق دفن الموتى مثل ما ذكره عن أقوام البوزدوقه أنهم يدفنون موتاهم في جذوع أشجار ضخمة ويعلقونها في أفنية ديارهم، والحيوانات مثل الخنازير والدواجن التي تربى في حظائر قوم ولا تربى بحظائر أخرى
- شـــغف أوليا جلبي واهتمامه بالتفاصـــيل الصـــغيرة والكبيرة، وقوة ملاحظاته وقدرته على تدوين وتسـجيل مشـاهداته، وهذا سـاعد على ثراء النص واعتبـاره من المصـــادر الهـامـة للبـاحثين في مختلف المجالات من التاريخ الاجتماعي والاقتصـادي والتوصـيف الجغرافي للبلدان والقرى والأنهار، ولقد اعتمدت العديد من الدراسـات الجغرافية والاجتماعية على مشـــاهدات وتســـجيلات أوليا لثرائها ودقتها في المعلومات والتفاصيل.

ويلاحَظ من خلال مشاهداته خلفيته الدينية واعتزازه بالتراث الإسلامي؛ حيث كان جليُ وواضحا في الانطباعات والمشاهدات التي سجلها أوليا من أوجه نقض ومدح، وأسفه وحزنه على مساجد أغلقت وخربت، وبلاد إسلامية سقطت وصارت تابعة للروس؛ مثل مدن قازان الاطرخان وازدرخان وغيرهم، وتصوير ما قابله من ألوان العدل والظلم واللافت أن كتاباته في سياحته حفلت بقوله: الكافر أو الكفار أو لفظة الملحدين وديار نحس وشؤم على المنازل غير المسلمة والدعاء على بلاد الكفار بأن تسقط تحت أيدي المسلمين (العثمانيين).

وقد يأخذ البعض على أوليا في هذه الرحلة عدم اكتراثه بالحقائق التاريخية وهذا نلمسه عند ذكره الملوك والسلاطين فنجده في غالب الأمر لا يذكر العام الذي تولوا فيه أو السلطان الذي سبقهم أو أتى بعدهم

ولا أهم الأحداث التي حدثت أثناء ولايتهم وهذا نلاحظه عند الحديث عن آل كراي الخانات الذين تولوا حكم القرم[1] لم يذكر متى بدأت ولاية أحد منهم أو متى انتهت وممن ذكرهم -الخان بهادر كراي-

---

(١) **الخان**: لقب الحاكم الأعلى ومنه اتخذت الخانية اسمها، ومن المعروف أن حكام الأتراك القدامى، وكذلك العثمانيين قد اتخذوا هذا اللقب والحقوه بأسمائهم. انظر: سهيل صابان، المعجم، ص: ٩٥.

ويتم اختيار الخانات من عائلة كراي التي تعود في نسبها إلى توجاي تيمور الابن الأصغر لجوجي بن جنكيز خان، وقد اعتاد آل كراي الذهاب بأبنائهم إلى القبائل الجركسية لتربيتهم وتعويدهم على الحياة الخشنة ولعل ذلك يعود إلى اتفاق قديم بين قبائل معينة من الجراكسة مثل قبيلتي چانا وبيسليني، أيضا كان الخانات يختارون زوجاتهم من القبائل الجركسية بعكس السلاطين العثمانيين، ولا يتخذ آل كراي زوجاتهم من الجواري إلا فيما ندر انظر: يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة، ج٢، ص: ٢٩١، وذكر أوليا أن أم الخان محمد كراي الرابع كانت من بنات ولاية چانا

والخان صاحب كراي[١]– والخان اسلام كراي[٢] –

---

(١) **صاحب كراي خان/** بن منكلي كراي عرف بشجاعته كما أن حياته كانت حافلة بالمنجزات منذ أن كان والده منكلي كراي خانا على القرم، تولى خانية قازان مدة من الزمن ٩٢٨ه/١٥٢١م ٩٣١ه/١٥٢٤م ويتضح من خلال أعماله سواء في صراعه مع الروس أو في خدماته التي قدمها للعثمانيين، مدى تفانيه في سبيل الصالح العام فقد تغاضى عن ترشح أبناء محمد كراي للحكم رغم أحقيته، واكتفى بحكم قازان دون أن يحصل على دعم عثماني في أول الأمر تولى خانية القرم بدلا من اسلام كراي في عام ٩٣٩ه/ ١٥٣٢م، عمل صاحب كراي بالقضاء على نفوذ زعماء القراجي وزعماء النوغاي وتخلص من كل ما يمكن أن يشكل مصدر ضغط عليه أو على السلطان العثماني وانتهى عهده بقتله وقتل ابنائه وأحفاده وذلك في عام ٩٥٨ه/ ١٥٥١م، ويمكن القول إن سمات قوة الحكم في خانية القرم توفرت في عهد صاحب كراي. انظر. محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية،ص: ٢١٧، وانظر: البيكسى جيفارونسكي: سلطان البرين، كييف-باغجه سراي، ط. ١، ٢٠٠٧م، ص: ١٩٥.

(٢) **إسلام كراي خان الثالث** / عين خانا على القرم ١٠٥٤ه /١٦٤٤م وأعجب به السلطان إبراهيم الأول (١٠٥٠- ١٠٥٨ه/١٦٤٠- ١٦٤٨م) ومنحه صلاحيات واسعة، عرف هذا الخان بثقافته الواسعة ورحمته وسخائه وقد بنى سياسته مع كل من بولندا والقازاق على أساس خبرته التي اكتسبها في الأسر (ظل أسيرًا قي بولندا سبع سنوات ولم يقبل البولنديون بتسليمه إلا بعد وساطة من الدولة العثمانية)، وكان مطلعا على خبايا السياسة الروسية التي انطلت على استانبول، وكانت سياسة التساهل مع الروس سببا في استيائه من السلطان إبراهيم، واستطاع أن يبسط نفوذه على بولندا وأن يخوض حملات تأديبية ضد الشراكسة والروس، وفي عهده كانت الأوضاع في خانية القرم مستقرة، إذ عم الثراء والغيث الضرائب عن الأهالي وتوفي عام ١٠٦٥ /١٦٥٤م، ومن أهم مآثر وانجازات (الخان إسلام كراي خان الثالث) اعتراف بولندا بالحقوق لخانية القرم في اوكرانيا خاصة أنها لم تكن تعترف بتلك الحقوق مطلقًا، وأيضا قبول ملك بولندا بدفع الجزية السنوية بصورة ثابتة ومنتظمة وأعيد محمد كراي الرابع مرة أخرى للحكم، وكان محمد الرابع يميل إلى التصوف والعزلة؛ لكنه استطاع اتباع سياسة خارجية جيدة مع بولندا، وأطفأ نار الفتن بين

والخان محمد كراي، لكن يحسب له تسجيله لما قاموا به من عمارة المساجد وانشاء الحصون والجسور وكتابة تواريخها وأوصافها، فالجانب التاريخي عند أوليا يغلفه بالأسطورة أو في قالب قصصي للتسلية مثل ما أورده عن مؤرخين من الفرس وقصة آل بيت الحسين رضي الله عنهم مع جند يزيد بن معاوية، وما ذكره عن رجل يسمى جبل الهمه وأولاده الذين حكموا الديار الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب، وحديثه عن دخول هولاكو بغداد في عهد المستنصر بالله وانتهاء دولة آل عباس وكان هذا خطأ تاريخي إذ كان دخول التتر في عهد المستعصم وانتهاء دولة آل عباس.

القبائل "المنصورلي والشيرين لي" لكن اعتذاره المتكرر عن الخروج للحملات، اسخط عليه أحمد كوبريللي، ومشكلاته مع القازاق كانت سببًا آخر في عزله عام ١٠٧٧هـ/ ١٦٦٦م، وبخلاف ما هو متوقع وصل حكم الخانية إلى فرع چوبان كراي وذلك بتعيين عادل بن دولت بن فتح كراي خانا وهي المرة الأولى التي يتمكن فيها أحد أبناء هذا الفرع من الوصول إلى الحكم، أما عن تولية الحكم فهو بلا شك قرار عثماني انعكس هذا التعيين سلبًا على الأوضاع الداخلية في القرم، وكانت سببًا في عزله وتعيين سليم كراي خانا على القرم عام ١٠٨٢/١٦٧١م.

- Nazim Muradv: KirimHanliği-Ukranya-Plpnya iliğiklerini yanstmasi Tarihsal yonuvedil özelleriyle، Manzum sefer name Eseri، S. ٢٣١

Ahmet Ayhun: Kirim، …، S. ٧٧.

وقد اتبع أوليا جلبي في تدوين رحلته أنماط سردية تعرج إلى أن تكون فكاهة أو طُرفة وغالبًا ما تنزلق إلى السخرية والخيال مثل حديثه عن الشجرة العظيمة التي زرعها سيدنا الخضر والكهف الموجود بقرية الآدمي والذي به ما لا عين رأت من الكنوز والطلاسم وأيضا من القصص الطريفة ما حكاه عن الأقوام التي تأكل العسل الذي يصنعه النحل من الأموات، وعن السحرة ومعاركهم.

وبتحليل الرحلة نجد أن هدف أوليا الأول: كان إضافة وتدوين رحلة إلى رحلاته بصيغة ضمير المتكلم للرواية والحكاية عن تجواله ومغامراته.

والهدف الآخر: تقديم وصف شامل للدولة العثمانية ومناطقها النائية، ولمتابعة ذلك الهدف كان أسلوبه المفضل هو المسح الطبوغرافي والمكاني، فإن وصف أوليا للمدن عمومًا يسير بنمط متبع يستهل بالموقع الجغرافي والمساحة وعدد المنازل والخانات والتنظيم الإداري وذكر أسماء المدن بلغة أهلها وأقوامها، وتفاصيل في أصل الكلمات مستمرًا في الوصف طبوغرافيا للمدينة مع اهتمام خاص للحصون والقلاع، ومقارنتها مع غيرها مما شاهده في المدن والبلاد الأخرى، ووصفه المنازل، المساجد، المدارس، الحمامات، نوافير المياه، ميادين المدينة، أعداد المباني، المعتقدات الدينية، المناخ، المظهر الملابس والمأكل والمشرب، العادات والتقاليد عند الخاصة وعند العامة، الأسماء الخاصة،

وعادات الحديث عند العلماء والشـعراء الأطباء والنبلاء، ووصـفه الحوانيت والأسـواق وتعدادها وأهم المنتجات، والمتنزهات ومناطقها، وأيضًا القبور والأضرحة مع ذكر السير للمتوفين.

ويرى الباحث أنه لا يوجد مصدر أو مرجع آخر أعطى مسحًا جغرافيا وتاريخيًا وأثريًا ولغويًا وديموغرافي لتلك البلاد في هذه الفترة الزمنية، وكشف الغموض الذي اكتنف تاريخ هذه الأقوام كما فعل أوليا فكتاب سياحتنامه يقدم ثروة معرفية جغرافية وهذا ما سجله المؤرخ «مايكل كيل» عندما قارن وصف أوليا جلبي للمساجد والتكايا والحمامات الموجودة في البلقان إلى المواقع التي ما زالت قائمة؛ حتى الآن فوجد أن أوليا في غاية الدقة وذكر أن سياحتنامه قاموس جغرافي حصيف وموثق وبالأخص لكثير من مدن الألبان.

ومن خلال الدراســة يظهر تأثر أوليا بكتاب: «تحفة النظار في غرائب الأمصـــار وعجائب الأســـفار» للرحالة ابن بطوطة الذي زار الأقطار الإسلامية، في القرن الرابع عشر(١).

---

(١) يظهر تأثر أوليا بابن بطوطة في الحس القصصي عند سرد الأحداث وتسلسلها وامتلاك ناصية الحكاية والرواية، وقوة الملاحظة والرغبة في التحصيل، الاهتمام بأشكال الحديث واللغة بين الناس، البراعة في وصف ما شاهدوه، ورواية ما سمعوه، وتظهر المطابقة والتأثر في طول سنوات الرحلة أو الرحلات، كان ابن بطوطة يسجل تفاصيل رحلاته الطويلة من ذاكرته ولم يكن يدون أحداثها كيوميات، وهذا ما تأثر به أوليا ونجده في الفراغات الموجودة في النص

أما فيما يتعلق بالنواحي الإنسانية كالتاريخ، العادات، الفولكلور وأشياء أخرى كثيرة وكذلك السير الذاتية، فكان مصدره الأساسي ابن بطوطة وكاتب چلبي[1] وكتابه چهان نامه أول عمل عثماني رئيسي لجغرافيا العالم وهذا العمل يضم بعض كتابات ورسومات وخرائط الجغرافيين العرب، ورحلات تجوال الأسطول العثماني والحملات العسكرية.

والمتابع لأوليا يجده يتميز بالحس القصصي في سرد الأحداث وتسلسلها، وامتلاك ناصية الرواية والحكاية، والقدرة على جذب انتباه القارئ كأنه يصاحبه في رحلته لدقة وصفه، وأوليا تتوافر فيه الشروط الواجب توافرها في الرحالة من قوة الملاحظة،

---

(١) **كاتب چلبي:** مصطفى بن عبدالله خليفة الذي ولد عام ١٦٠٩، وتوفي ١٦٥٧م مفهرس عثماني عظيم عاصر أوليا چلبي ولد هذا العالم الجليل والمفكر الكبير في استانبول أصل اسمه مصطفى وعندما ذهب إلى الحج عرف بحاجي وهو نجل ضابط من ضباط الخاصة لم يتم تعليمه المدرسي والتحق بقلم تسجيل السباهية في الأناضول، وهو ما بين الحادي عشر والثاني عشر من عمره، وقد حصل على ميراث عظيم عقب وفاة أبيه وبدد معظم هذه الثروة في شراء أمهات الكتب من أدب وتاريخ، وغير ذلك من العلوم وكون مكتبة خاصة ضخمة وكان يقضي كل وقته في القراءة والكتابة، وكان أكثر اهتمامًا بالتاريخ والجغرافيا والمالية والبحرية والحساب والطب وكان يجيد اللغة العربية والفارسية كما كان يعرف الفرنسية واللاتينية بالقدر الذي يمكنه من الاستفادة وله ما يقرب من ثلاثين مؤلفا أشهرها باسم "چهان نامه" وكشف الظنون باللغة العربية، وله فذلكة في التاريخ العثماني وفي البحرية له: تحفة الكبار وميزان الحق وتقويم التواريخ ودستور العمل وقد ترجم معظمها إلى اللغات الأوربية انظر:

- Ferit Devellioğlu ،Osmanlica-TürkÇe Ansiklopadik Lüğat،...، S. ٤٦٥

وحب التطلع، ويقظة الحواس، وحبه للمحاورة مع الآخرين، والرغبة في التحصيل، وحرصه الدائم على تدوين وتسجيل ما يشاهده في رحلته وما يعلق في ذهنه من نوادر الأخباروما يلقاه من تعامل الأقوام التي يصـــادفها معه وعدم الاكتفاء بالاعتماد على الذاكرة لما قد ينتاباها من نسـيان أو عدم قدرة على وصف كل المشاهد لكثرة الأماكن واتساع المدى الزمني.

كان لأوليا روح رقيقة متصوفة وغالبًا ما كان يصف نفسه داخل النص بكلمة «بو حقير» هذا الحقير أو أوليا بلا ريا، وبسبب رقته وتواضعه التف حوله الكثير من أصـــدقائه؛ حيث غلب على أوليا في كتابته حســن التعبير وأسـلوبه الذي يجذب القراء ويعطي أوليا أهمية خاصـــة لأشـكال الحديث واللغة بين الناس في الأماكن التي طاف بها، كالجمل والمصــطلحات التي أوردها عن أقوام الأفلاق وأقوام التتر وأيضـا النوغايي وأقوام (القبارطاى / الشـــركس) ولغة أقوام القالمق وترجمها إلى لغته «العثمانية» وقد تناول الباحث المفردات والمصــطلحات التي ذكرها أوليا في مجلده الســابع عن جميع هذه الأقوام في الفصـل الثالث من الدراســة مبحث الأوضـاع الثقافية اللغات واللهجات.

فالباحث الذي يعمل على ترجمة أعمال أوليا چلبي يواجه صـــعوبة؛ حيث يستشهد بكلمات من لغات مختلفة بحسب المكان الذي يوجد به فعند وصوله إلى حدود التتر يقول «كرج صله سى» والمعنى قرية كرج وعند وصوله إلى المناطق الشركسية يقول «قباق صوباى» والمعنى قرية صوباى أو بشكو إذا قصد ما هو أكبر من القرية والقلعة يطلق عليها كرمن بلغة التتار، وفي داغستان يقول «طايس»[1] على الملك أو السلطان وفي القرم يطلق على الملك «خان»

---

(١) **الشامهال** / الشامخال: لقب يطلق على حكام داغستان ويسمى لدى الروس سافكال، بينما يلقب نائبه بلقب ياريم شامهال أي نصف شامهال هذا ما ذكره اسماعيل حقي في موسوعة التاريخ العثماني

Ismail hakki: Osmanli Tarihi،TürkTarih kurumu Basim evi، Ankara، ١٩٨٣، ٣. Baski، ٣. Cilt ،S.٤٢

مما يدل على اطلاعه على ثقافات ولغات الشعوب، وأيضًا أثناء حديثه عن اليهود، ومعرفته بالمراســم اليهودية إذ يقول «..... وجملة اليهود من القرائيين[١] لكنهم لا يحبون الچفود؛ لأنهم لا يتحرون في أطعمتهم الحلال[٢]

---

(١) **القراءون**: مصطلح يقابله في العبرية (قرائيم) أو (بني مقرا) أو (بعلي هامقرا) أي أهل الكتاب، وقد سمي القراءون بهذا الاسم لأنهم لا يؤمنون بالشريعة الشفوية (السماعية) وإنما يؤمنون بالتوراة (المقرا) فقط ولذا يمكن القول بأنهم أتباع اليهودية التوراتية مقابل اليهودية التلمودية الحاخامية والقراءون فرقة يهودية اسسها عدنان بن داود في بابل بالعراق في القرن الثامن الميلادي وانتشرت أفكارها ولم تستخدم كلمة قرائيين إلا في القرن التاسع إذ ظل العرب يشيرون إليهم نسبة إلى مؤسس الفرقة، ويقال أن يهود الخزر اعتنقوا يهودية قرانية وأنهم انتشروا في شرق أوروبا بعد سقوط مملكة الخزر، ولذا نجد كثير من القرائيين في روسيا وبولندا يذكرون أن لغتهم هي التركية، وفي الفترة الممتدة بين الثاني عشر والسادس عشر انتشر المذهب القراني بمصر وفلسطين واسبانيا (الاندلس) وفي الامبراطورية البيزنطية قبل الفتح العثماني، ومع حلول القرن السابع عشر انتقل مركز النشاط القرائي إلى ليتوانيا وشبه جزيرة القرم التي يعود استيطان القرائيين بها إلى القرن الثاني عشر، وحاليا يبلغ عدد القرائيين في اسرائيل ٢٠ ألفًا وحاخامهم الأكبر حاييم هاليفي، ويمكن القول أن معظم القرائن في اسرائيل من أصل مصري حيث هاجروا إليها عام ١٩٥٠م انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣١٥/٥) عبد الوهاب المسيري، وانظر: الفرق اليهودية القديمة والمعاصرة، عبد الوهاب محمد الجبوري.

(٢) تقسم الأطعمة وفق الشريعة اليهودية إلى قسمين أطعمة حلال وأخرى حرام الحلال فيها يعرف باسم كوشير (kosher) والحرام باسم (طرفه) وفي الذبائح يجب أن يكون الحيوان من الحيوانات التي تمضغ الطعام وتجتره حتى يصبح أكله حلالاً وعند ذبح الثدييات والطيور فيجب أن تكون سليمة صحيًا ووفق الديانة اليهودية يحرم أكل الدم ولحم الخنزير والسمك اللا حرشفي والمأكولات البحرية مثل الجمبري والاستاكوزا وأنواع من الشحوم، وكلمة كوشر كلمة عبرية الأصل معناها الحرفي يشير إلى كل ما هو صالح وشرعي وتستخدم للدلالة على أن هذا الطعام معد وفقًا لتعاليم الشريعة اليهودية انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية (٣١٥/٥) عبد الوهاب المسيري.

ولا الحرام في الأطعمة فهم قزلباش اليهود، والحقيقة أن الجفود من بني إسرائيل موسويين (أتباع موسى عليه السلام) يقرأون التوراة والزبور، وهم لا يتحادثون بلغة لهم فجميع كلماتهم باللغة التترية، ويعتمرون قلنسوة تترية من الصوف ذات لون بنفسج(1)... وقد لاحظ روبرت دانكوف وسيونج كيم أن القائمين على أعمال أوليا لم تكن مهمتهم سهلة لأن أسلوبه يعمد إلى الإطناب وغزارة المعنى وشمولية الكلمة وتأرجحه بين الواقع والخيال، وأحيانًا يكثر من التفاصيل إلى حد الملل والضجر،

---

(1) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلدالسابع،(منكوب قلعه سى، اشكال قلعه سى، تاريخ جامع سلطان بايزيد بقلعه منكوب) ص:٥٨٤،٥٨٣، ٥٨٥ وانظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع (اوصاف قلعه كوهركرمان) ص:٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، وكذلك انظر: الفصل الثالث من الدراسة (الأوضاع الاجتماعية - الجفود).

وأحيان أخرى إلى حدٍ من المدح والخفة، ويغلفها بالحكمة، كما أنها مليئة بالتضمين بآيات من القرآن الكريم والأقوال الشعبية المأثورة بالعربية والأعمال الكلاسيكية مثل فردوس الشاهنامه[1] وگلستان سعدي[2].

ونظرًا إلى أهمية سياحتنامه فقد ترجمت إلى عدة لغات وأولى محاولات هذه الترجمة «لجوزيف فون هامر» عندما عثر بالمصـــادفة على أول أربع مجلدات في عام ١٨٠٤، واعتقد هامر بأن تلك المجلدات تشـــتمل على السياحتنامه كاملة وقام بنشر بعض المقتطفات والتراجم بألمانيا عام ١٨١٤م

---

(١) **الشاهنامه**: أثر أدبي نفيس يعتز به الفرس كثيرًا وهو كتاب في تاريخ إيران منذ أول العصور إلى الفتح العربي، الذي أمر الفردوسي بنظمه هو السلطان محمود الغزنوي. انظر: تاريخ الأدب التركي، حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠، ص: ١٨.

(٢) **گلستان سعدي**: حديقة سعدي: وسعدي هو الشيخ مصلح الدين الشيرازي من أعظم شعراء إيران وحكمائها المتصوفين ولد في أواخر القرن السادس الهجري بمدينة شيراز في عصر سعد بن زنكي ونسب لهذا الحاكم فاشتهر بسعدي عاش ١٠٣ سنة بعد سن الطفولة قضى ٣٠ عامًا في التعلم و٣٠ سنة في العسكرية والتجول و٣٠ سنة في الزهد والعبادة ثم كتب كتابه المشهور گلستان سعدي، وهو في سن ٦٧ من عمره نالت كتبه بوستان، وكلستان شهرة واسعة في عالم الأدب أثرت في كل من أتى بعده من شعراء الفرس والترك وانتشرت أشعاره في هذه المناطق الشاسعة، وكان يحفظها كل من يشتغل بالفكر والأدب، وشعره معظمه صوفي وتعليمي، ومات سعدى عام ٦٩٤ه. انظر: تاريخ الأدب التركي، المرجع السابق، ص ٦٩.

، ثم توجت تلك الجهود بالترجمة إلى الإنجليزية للمجلدين الأول والثاني، وبالرغم من أن ترجمة هامر كانت مترجمة بشكل متعجل ومختصر وبها أخطاء، إلا أنها ساعدت على جعل أوليا والمخطوط معروفان للعالم الذي يتحدث الإنجليزية وبينما كانت النسخة المنشورة من النص العثماني ما بين أعوام ١٨٩٦/١٩٣٨ من المجلدات الستة الأولى، وكانت تعاني من بعض العبارات غير المستساغة أخلاقيًا، وبعض الأخطاء والحذف والرقابة[١].

لكن المجلدات من السابع إلى العاشر كانت إلى حد كبير أفضل من المجلدات الستة الأولى بالرغم من أنها ما زالت تعاني من قصر التناول النقدي، وهناك نسخ لتراجم جزئية باللغة الإنجليزية والألمانية، وبعيدًا عن تلك التراجم المختلفة نقل إلى اللغة التركية الحديثة المجلدات الستة الأولى والمجلدان التاسع والعاشر تُرجما إلى اللغة العربية وترجم إلى الأرمينية، اليونانية، المجرية، الرومانية، الروسية، والمجرية، والرومانية، والصربية، وغيرها من اللغات الغربية أجزاء اختيارها مبني على أساس الشعب « الدولة « والمعايير الجغرافية[٢].

---

(١) Dankoff ،Robert & Kim ،Sooyong ،p: XXVI.

(٢) Zuhuri Daniş man.Evliya Çelebi Seyahatmamesi ،Istanbul- Dankoff ، Robert & Kim ،Sooyong ،p.: XXVI ،Cafer Erkilic ،Evlliya Çelebi ، Istanbul..

حدود إقليم القفقاس:

إقليم القفقاس مجموعة من المرتفعات والمنخفضات نشأت أصلا في منخفض ضخم من سطح الأرض يعرف بالمنخفض الألبي، وهذا المنخفض تعرض لمحركات القشرة الأرضية مكونًا من بعض أجزاء هذا المنخفض الألتواءات الضخمة التي كونت مرتفعات عظمى، والتي تنتهي جنوبًا بالحدود السياسية الجنوبية للاتحاد السوفيتي السابق مع إيران وتركيا، وإلى شمال هذه المرتفعات غربها وشمالها مرتفعات القفقاس العظمى، والتي تبلغ مساحتها٤٤٠٠٠٠كم٢[١].

ويجب التفريق بين حدود إقليم القفقاس قديمًا وحديثًا فحدود الإقليم القديمة هي التي تعارف عليها الجغرافيون العرب الأوائل، والتي ظلت قائمة؛ حتى نهاية العصور الوسطى أما الحدود الحديثة فنقصد بها تلك الحدود الجديدة والتي خلفها الاستعمار الذي تعاقب على تلك المنطقة؛ حتى العصر الحديث، فقد أوجد على نفس الأرض واقعًا جديدًا، فأقام دولاً، ومحا أخرى من الخريطة، واختزل أخرى في مساحات ضيقة.

---

(١) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الرابع عشر، القسم الأول آسيا –أفريقيا – استراليا – نيوزلندا، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩، الرياض، ص: ٢٩.

حدود إقليم القفقاس قديمًا:

تمتد حدود إقليم القفقاس[1] من بحر الخزر (القزوين)[2]، .... وبلاد الخزر[3] شرقًا إلى البحر الأسود[4] «بنطس»، وحدود بيزنطة غربًا، ومن بلاد الروس[5] والصقالبه[6] شمالاً،

---

(١) القفقاس: اختلف المؤرخون الجغرافيون حول تسمية القفقاس، فسماها الحموي القبق واتفق معه البغدادي في كتابه المراصد، وسماها المسعودي القبج، وأطلق عليها حديثًا اسم القوقاس أو القفقاس، أو القفقاس انظر: الحموي معجم البلدان،٢٨/٧، والبغدادي، مراصد الاطلاع، ص: ١٦٤، المسعودي، مروج الذهب ٢٠٥/١، يوسف عزت باشا، تاريخ القفقاس ص: ١١.

(٢) يقع هذا البحر شرق إقليم القفقاس ويسمى أحيانًا بحر الخزر نسبة إلى أمة الخزر الذين يحيطون به من الشمال انظر: ابن عبد البر النمري القصد والأمم: القاهرة، دار الكتب، ١٩٩٢م، ص: ٤٩٥.

(٣) كانت بلاد الخزر تشتمل على أمة كبيرة، وكانت هذه الأمة كثيرا ما تُغير على الإقليم من ناحية الشمال ولذا قام انو شروان ببناء مدينة الباب لمنعهم وكانت أهم مدن الخزر هي مدن: إتل وتقع إلى الشمال الشرقي من منطقة القفقاس وعلى نهر إتل والبلنجر هي أشهر مدن الخزر وعاصمة البلاد وتقع في شمال إقليم القفقاس. انظر: الاصطخري: المسالك والممالك، القاهرة، وزارة الثقافة، ص: ١٠٨.

(٤) **البحر الأسود**: يقع غرب منطقة القفقاس وكان يُسمى قديما بنطس وهو متصل ببحر الشام (البحر المتوسط) انظر: الاصطخري، المسالك والممالك، ص: ١١١، البغدادي، مراصد الاطلاع، ٢٥٥/١.

(٥) **بلاد الروس**: تقع إلى الشمال الغربي من إقليم القفقاس، ويحيط بها من الجنوب بلاد الكرج، ومن الشرق بلاد الخزر، انظر: اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي ٣٠٢/١.

(٦) **الصقالبة**: تقع إلى الشمال من منطقة القفقاس عند منحدرات جبال القفقاس ومصب نهر الصقالبة (الفولجا) ويتكون الصقالبة من عدة أجناس من الكرج، الروس، الترك، الأرمن. انظر: المسعودي، مروج الذهب، ١٧٦/١، ابن عبد البر النمري، القصد والأمم، ص: ٣٥، ابن النديم، الفهرست، ص: ٢٩.

وتتميز هذه المنطقة بطبيعتها الجبلية الوعرة؛ لوجود مرتفعات جبال القفقاس، كما أنها تتميز بالتنوع والغزارة في السلالات والأعراق البشرية الموجودة بها؛ مما جعلها بوتقة انصهرت بها هذه الأعراق والسلالات البشرية، والديانات السماوية وغير السماوية، كما تميزت بالعوارض والمظاهر الطبيعية الكثيرة الموجودة بها؛ مثل: البحيرات، والبحار، والجبال، والأنهار[1].

التقسيم الإداري لبلاد القفقاس:

طبيعة القفقاس بجبالها الشاهقة ومضايقها وممراتها وشعوبها ودياناتها وقبائلها العديدة التي تختلف عن بعضها من ناحية أصولها العرقية واللغوية ومعتقداتها الدينية استدعت تقسيم القفقاس إلى مقاطعات إدارية منفصلة في مختلف العصور، وخاصة أنه تعاقب على هذه المنطقة اليونان، والرومان، والعرب، والتتار، والفرس، والأتراك، والروس، وعليه فقد اختلفت التقسيمات الإدارية للقوقاز باختلاف العصور التي مرت عليه ونوع الحكم الذي فُرض عليها.

---

(١) ابن الوردي: خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص: ٩٦.

التقسيمات الإدارية لمناطق القفقاس:

إقليم القفقاس يتكون من قسمين رئيسين:

الأول منها: جنوب القفقاس   والثاني: شمال القفقاس

أولاً: جنوب القفقاس:

يشمل (أرمينيا- وأذربيجان– وأران) وقديمًا كانت تسمى هذه المنطقة إقليم الرحاب وذلك في القرن العاشر الميلادي

١- **كان اسم أرمينيا**[١] قديمًا يدل على أواسط البقاع وأكثرها ارتفاعًا من المنطقة الجبلية الواقعة غرب آسيا وشرق أذربيجان ومن الغرب الحدود البيزنطية وكانت أرمينيا إقليم حدود الدولة الإسلامية مع بيزنطة.

---

(١) الأرمن ينتسبون إلى الجنس الآري وكانوا قبل ١٣٠٠سنة قبل الميلاد في جوار أرمن تركيا الحالية وكانوا منتشرين حوالي قونية وبجوار قيصري وبعد استيلاء الكيميريين على آسيا الصغرى تقدموا نحو الشرق وقسم منهم استمر تقدمه واجتاز نهر الفرات وانتشروا في ارارات وعرفوا آنئذ باسم آرما = أرمني

٢- **أذربيجان**[١] يحيطها من الشمال أران ومن الشرق بحر الخزر ومن الغرب أرمينيا وتتميز أذربيجان بعدة ظواهر طبيعية أهمها الجبال الشاهقة وتجرى بها مجموعة أنهار أهمها نهر الرس[٢] شمال أذربيجان ويشترك كل من أرمينيا وأذربيجان وأران في مجرى هذا النهر.

٣- أران: البلد الثالث في منطقة الرحاب ويتميز بكونه أحد أقاليم الحدود الإسلامية الشمالية ويشترك بحدوده الجنوبية مع أذربيجان وأرمينيا من الشرق والغرب وحدوده الشمالية الأبخاز وبلاد الصقالبة، وتطل على بحر القزوين بمساحات كبيرة، وفي الغرب يوجد البحر الأسود،

---

(١) **أذربيجان**: كانت تسمى قديما ألبانيا واسم أذربيجان حديث التسمية أطلق عليها عام ١٩١٨ وليس لهذا الاسم أي مدلول تاريخي سوى الإشارة في الرغبة الفكرية في توحيدها مع أذربيجان الإيرانية وفي عهد العرب سميت أران وهي معروفه في الوقت الحالي باسم أذربيجان. انظر: موسوعة تاريخ القفقاس والجركس، محمد جمال صادق آبه زاو، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦م، ص: ١٧٥.

ويقول ياقوت الحموي أنها سميت بذلك الاسم نسبة إلى آذر بن إيران الأسود بن سام بن نوح عليه السلام وآذر تعني النار وبيجان تعني الخازن باللغة الفهلوية وهذا لكثرة بيوت النار في أذربيجان. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج١، ص: ١٦٠.

(٢) **نهر الرس**: نهر كبير بالإقليم ينبع من غرب أران ثم يسير إلى الشرق ثم يصب في بحر الخزر. انظر: العمري، مسالك الأبصار ج١، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة، دار الكتب، ص: ٨٥.

ويتفق هذا الإقليم مع الإقليمين الآخرين في توافر الظواهر الطبيعية مثل: الأنهار والجبال التي تقع إلى الغرب.

ثانيًا: شمال القفقاس[1]:

في القديم كان يُسمى ممالك وأمم الشمال، وأهم هذه الممالك والأمم[2]:

بلاد الكرج (جورجيا):

تقع بلاد الكرج إلى الشـمال الغربي من أرمينيا، ويحيطها من الشـمال بلاد الخزر واللان، وفي الجنوب جبال القفقاس وإقليم أران وغربًا البحر الأسـود، ومن أهم مدنها تفليس وجرزان، وهذه البلاد متنوعة التضـاريس، ففيها الجبال الوعرة والوديان الخصبة الواسعة،

---

(١) شهدت منطقة القفقاس الشمالي عدة صراعات ومنازعات بين الدول العظمى للسيطرة عليها فمنذ سقوط الاتحاد السوفيتي ظهرت منازعات وصراعات عديدة، وهي محاولة جمهوريات جنوب روسيا (جمهوريات شمال القفقاس) الانفصال عن روسيا مثل الشيشان واشتعال حرب مدمرة في هذه الجمهورية الإسلامية وأيضًا الصراع بين أرمينيا وأذربيجان على إقليم ناجورنو قره باغ والصراع بين جورجيا وأبخازيا المسلم والصراع التاريخي بين أرمينيا وتركيا وبين روسيا وأمريكا والاتحاد الأوروبي وإيران حول ثروات بحر القزوين.

(٢) الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، المجلد الرابع عشر، القسم الأول: آسيا – أفريقيا – استراليا –نيوزلندا، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٩، الرياض، ص: ٢٩.

وهذه الدولة كانت مرتبطة ببيزنطة برابط الدين، والانصهار في الدين المسيحي، فقد وقف الكرجيون كحجر عثرة في طريق الحملات الإسلامية على الإمبراطورية البيزنطية والاقتراب من البحر الأسود[1].

بلاد الخزر (مملكة الخزر):

الخزر أمة تركية تعتبر أكثر حضارة من الأمم التركية التي قامت في العصور الوسطى وحدودها يحيطها من الشمال بلاد الروس ومن الجنوب جبال القفقاس وإقليم الرحاب ومن الغرب بلاد الكرج ومن الشرق بحر القزوين وأهم مدنها إتل والبلنجر واشتهر أهل الخزر من قديم الأزل بشدة البأس والتمرس في الفنون القتالية.

الصقالبة:

تقع أمة الصقالبة إلى الشمال الغربي لمنطقة القفقاس، وعند منحدرات جبال القفقاس، وقد أطلق عليها قديما اسم الصقالبة ثم تغير باسم بلاد الروس والأصول العرقية للصقالبة من البلغار والخزر والكرج والروس، والسبب في امتزاج هذه الأعراق هو تقارب هذه الأمم جغرافيا واتصالها حضاريًا وسياسيًا

---

(١) في ذلك الوقت كان كل اهتمام بيزنطة بعدم سيطرة غيرها من الدول على البحر الأسود ولذلك ساعدت الكرج في صراعها مع المسلمين ومساندتهم ضد المسلمين. انظر: فايز نجيب اسكندر، الفتح الإسلامي لبلاد الكرج، ص: ٣٥.

مملكة اللان:

تقع إلى الشمال الغربي من جبال القفقاس، ويحيط بها من الشمال بلاد الروس ومن الجنوب الكرج، ومن الغرب البحر الأسود، ومن الشرق بلاد الخزر[1].



---

(١) انظر: الموسوعة الجغرافية للعالم الإسلامي، مرجع سابق، ص: ٤٠.

جغرافيا القفقاس الطبيعية

جبال القفقاس:

سلسلة جبلية في القفقاس، والتي تحمل هذا الاسم تمتد من شبه جزيرة آبشيروان على ساحل بحر القزوين شرقًا؛ حتى شبه جزيرة طمان على الساحل بين البحر الأسود وفروعه بحر آزاق في الشمال الغربي بطول ١٣٠٠ كيلومتر تقريبًا، وترتفع في بعض قممها من٣٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ متر وتشكل هذه السلسلة سدًا طبيعيًا بين شمال القفقاس وجنوبه، ولهذه السلسلة امتدادات في الشمال منحدراتها ذات ميل تدريجي، وهذه السلسلة صعبة الاجتياز شديدة الارتفاع تغطي الثلوج مواقع كثيرة منها، ولهذا تشكل وديانًا طويلة حول مسايل الأنهار، ويحد مجرى نهري ترك وقوبان تلك السلسلة الجبلية، وأعلى منطقة في سلسلة القفقاس تبدأ شرقًا من مرتفعات تُسمى ياروبولا؛ وهذا القسم بطول ٣٥٠ كم وهو يحتوي على أعلى القمم ويضم أعلى جبال القفقاس وأهمها مثل قو شتان تاو – شخارا اللذين يبلغ ارتفاع كلاً منهما ٥٢٠٠ متر تقريبًا، وجبل قازبك الشهير،

ويبلغ ارتفاعه ٥٠٤٤ متر، والجليد لا ينقطع عن قمم تلك الشـــاهقات طوال العام، وأعلى جبالها جبل البُرز، وارتفاعه ٥٦٢٩ متر وهو أعلى من جبال أوروبا[١]، ولو قارنا سـلسـلة جبال القفقاس بجبال سـويسـرا لوجدناها تفوقها كثيرًا في النواحي الجمالية للطبيعة فهي تزيد عن جبال سـويسـرا عشر مرات بالمساحة فيها ٢٥ قمة جبلية أعلى مئات الأمتار من جبل مونت بلان أعلى جبال أوربا بين فرنسا وسويسرا وإيطاليا، وفيها من الشـواهق المســتورة بالثلوج عددًا أكبر، وكذلك بالبحيرات الجبلية التي تزيد على الثلاثمائة، والعديد منها يبقى متجمدًا، وقد اشتهرت جبال القفقاس بأن سكانها هم أكثر الناس أعمارًا[٢].

ولقد تحدث أوليا عن أعلى جبال القفقاس «جبل البرز»، فقال: «... جبل البُرز يطلق عليه باللغة العربية أبو الجبال، ولكن عندما قطنت قبائل البُرز عند سـفحه أطلق عليه المؤرخون الفرس اسـم گوه البرزى أى جبل الّبرز وأما الرومان فأطلقوا عليه پتره عچان وبلسان المغول

---

(١) محمد السيد غلاب وآخرون: جغرافية العالم، دراسة إقليمية بآسيا وأوروبا، القاهرة، ١٩٨٩م، مكتبة الانجلو، ص: ١٧٩، وانظر: تاريخ القوقاز، يوسف عزت باشا، مرجع سابق، ص: ١١.

(٢) انظر: تاريخ القوقاز، يوسف عزت باشا، مرجع سابق، المقدمة.

قالوا: تل تاو وبلسان القحطانيين پشته داديان وبلسان اللزكي زحونده، وبلسان القيتاق تاوبان وبلسان الچركس ارى طاو، ولسان التتار چلدرا اوطاق، ولسان الچغتاى گوه ميان، وأما سائر المؤرخون فقد أطلقوا عليه اسم جبل البُرز[1].

(١) أوليا جلبي، سياحتنامه، الجزء السابع، ص: ٧٦٨.

- مسار رحلة أوليا جلبي من القرم إلى القفقاس عام ١٠٧٧/١٦٦٨م:

بدأت رحلة أوليا إلى بلاد القفقاس بعد وصـــول خطاب[١] بعزل الخان محمد كراي من السلطان العثماني محمد الرابع (فترة ولايته ١٦٤٨/١٦٨٧) وليحل محله الخان چوبان كراي[٢]،

---

(١) تكشف الخطابات المتبادلة بين الخان والسلطان عن بعض الجوانب في العلاقات بين الطرفين وهذه الرسائل تتنوع من حيث المضمون، فهي إما أن تكون براءة تعيين أو تهنئة على تولي الخان الحكم، أو بعزله، أو فرمان همايوني يأمر الخان بالدفاع عن القرم إزاء الأعداء، في حين كانت خطابات الخان إلى السلطان عبارة عن تجديد الولاء والإخلاص للدولة العثمانية أو اعتذار عن الخروج إلى الجهاد مع الجيش أو طلب الإذن للحضور إلى الديوان الهمايوني في استانبول، وكغيره من العمال والولاة العثمانيين كانت الخطابات الموجهة إلى الخان تحتوي على ألقاب التفخيم والثناء مثل "جناب صاحب الإمارة ودولة الاكتساب ذو القدر الأتم والفخر الأشم خان القرم.... آدام الله ملكه"

وبعض الخطابات كانت تحمل عبارات استثنائية يخص بها الخان وخاصة إذا كان الخطاب فرمانًا يأمر فيه السلطان بالتوجه إلى الحرب ومن هذه العبارات ولأنكم خير معين لنا في هذا الميدان.

Unan.F:Ferman ve Mektuplarin Iğğinda Osmanli Devletile Kirim Hanliği arasindaki iliş iklerin niteliğ i.٦ (Uluslarasi) S.٣٣

(٢) ترجع بداية ظهور چوبان كرايلر- Çoban Giraylar -نهايات القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي عند ولاية غازي كراي تزوج أخوه فاتح كراي بن دولت كراي من ابنة أحد النبلاء في بولندا وبسبب تمسكها بدينها المسيحي تقرر ارجاعها إلى موطنها، وفي طريق عودتها إلى بولندا وضعت حملها ولكن الخان غازي كراي رفض قبول الطفل وتكفل به أحد العاملين في قصر الخان وسماه مصطفى ونشأ وترعرع مصطفى فاتح كراي بالقرب من مدينة آق مسجد وعمل في الرعي، وفي عهد محمد كراي الثالث فر معظم آل كراي إلى استانبول هربا من القتل على يد الخان، ولم يبقى من آل كراي من يشغل منصب ولي

وطلب من الخان محمد كراي أن يحضر بين يدى السلطان باستانبول لكن مستشاريه أقنعوه بعدم الذهاب خوفا عليه، وأشاروا عليه أن يتجه شرقا إلى داغستان وعند ذلك رافقه أوليا عند توجهه من باغجه سراى بالقرم إلى ولاية داغستان.

وبذلك أتيح لأوليا أن يتجول بالقرى والقصبات والمدن التترية والشركسية وفي ذلك يقول أوليا: «... قلت يا خاني العظيم أنا غريب هنا لمن ستتركني حرام عليً أن أمكث في القرم وأنت غير موجود بها بعد هذه اللحظة وأنا مع الخان إلى أي مكان يسير إليه: «... ويقول بعد موافقة الخان على مرافقته له:

«... بعد ذلك ذهب الحقير ذو التقصير بالاستعداد للرحيل من باغجه سراي متوكلا على الله شرقًا إلى مدينة «آق مسجد» التي تعد من مدن القرم القديمة ومنها إلى « كولچ صله سى ... ».

العهد ولهذا بحث عن ابن عمه وكلفه بهذا المنصب بعد أن بدل اسمه إلى دولت كراي وحصل ابنائه على أسماء "عادل، وفاتح" بينما ظل لقب چوبان Çoban أي الراعي مقترنا بأسمائهم وأسماء أبنائهم. انظر: رضا نور تورك تاريخي رسملي خريطلى، تأليف وترجمة انجمننجه قبول ايدلمشدر، ١٣٤٣ه/١٩٢٥م عدد ٥٤، معارف وكالتي نشريتندن، تركيه جمهوريتى، ج٥، ص: ١٢١.

-Ismail Hakki: Osmanli Tarihi Türk Tarih Kurumu Basimevi، Ankara، ١٩٨٣، ٣. Cilt، S. ١٩.

أول القرى التترية ومنها اتجه شرقا في مسيرة سبع ساعات إلى قرية قيولر ومنها مسير تسع ساعات إلى قلعة كرج ومن هذه القلعة استمر بالاتجاه شرقا؛ حتى نزل بمضيق كنيسة بورنو الذي توجد أمامه جزيرة وقلعة طمان وبعد مكوثه عدة ليال في طمان خرج متجها إلى الشرق مسير خمس ساعات وصلوا إلى قرية تترية واقعة على ضفاف إحدى البحيرات، وهي قرية شولومقاي، وبعد مسير خمس ساعات وصل إلى قرية رمضان بك وبعدها قرية شان مرد، وبعدها توجه إلى قلعة دار البربر أو قلعة تمرك، ثم قيامه بزيارة المقابر الجنود الذين استشهدوا في الحرب بين الروس والعثمانيين بمنطقة تسمى جزيرة الدم، بعد ذلك اتجه جنوبًا مسير ساعتين إلى قرية صوجوق ثم نزل بقلعة قزل طاش، بعد ذلك وبحسب كلام أوليا أن سنابك خيول التتار وطأت بلاد الشركس يرافقهم الخان محمد كراي إلى مكان يسمى خان دبه سي في العاشر من شوال عام ١٠٧٧، وقال أوليا أن أول حدود بلاد الشركس هي قرى الشغاكه؛ حيث نزل بقلعة جوبان مرزه وبعد ذلك قلعة شاتقرى ومنها إلى ولاية جانا وبعدها إلى ولاية الحاتوقاي وبعد مسير خمس ساعات وصل إلى نهر ووبن الذي عبروه

وهم على ظهور خيولهم في مسير ساعة؛ حتى وصلوا إلى قلعة آقوبس وبعدها إلى قصبة صوباى ومن هناك مسير ساعة جهة الشرق؛ حتى نهر شيبز وبعدها وصل إلى قرية بدس التي تقع في إقليم الحاتوقاي، وهي تبعد خمس مراحل عن سهول هيهات.

بعد ذلك نزل أوليا بإحدى القرى الشركسية في نطاق جبل اويوز، ونواحي قرية بدس لم يذكر اسم لها في بعد ذلك اتجه نحو الشرق في مسير خمس ساعات متخطيا طرق جبلية وعرة، والعبور لعدة أنهار، وهم على ظهور خيولهم؛ حتى الوصول لأول حدود ولاية الآدمي وبعد مسير أكثر من عشر ساعات داخل الغابات وصلوا إلى بشكو الآدمي، وبعد الإقامة عدة ليال انفصل أوليا عن الخان بشكل مؤقت، فذهب الخان شرقا وأوليا جنوبا في مسير خمس ساعات، ونزل بولاية تقاقو وبعد المكوث فترة وجيزة ذهب شمالاً مسيرة اليوم داخل الغابات إلى ولاية البولاتقاي وسار بعدها مسير الخمس ساعات في أراضٍ ومناطق وعرة وبعد عبوره نهري «ماتى وبجار» وصل إلى بشكو البولاتقاي الواقع على ضفاف نهر سحاقوش وتقابل في هذا البشكو مع الخان وأكملا مسيرهما ناحية الجنوب في مسير ستة ساعات إلى أن وصلا إلى ولاية البوزدوق، وبعد خروجهم من بشكو البوزدوق اتجهوا صوب الشرق مسير الستة ساعات إلى قرية يارقوى.

وعلى نفس الاتجاه شـرقا وصـلوا لولاية مامشـوع وبعد المسـير أربع ساعات على الاتجاه الشرقي وصلوا لنهر بسفسه ثم مرورهم بمناطق وأنهر تابعة لهذه الولاية، وبعد مسير ستة ساعات ناحية الشرق وصلوا إلى قرية حاترقاى أو بلدة بسـنى ومن هذه القرية ذهبوا شـرقا؛ حتى وصـلوا ولاية القبارطاي ومن هناك مسير السـتة سـاعات سيرًا على الأقدام برفقة الخان إلى أن وصـلوا إلى ضـريح الإمام حسـن رضـي الله عنه وبعد الانتهاء من زيارة مقام الامام الحسن اتجهوا صوب الشرق في مسير الأربع ساعات إلى قرية دورقاي، وبعد مسـير خمس سـاعات نزلوا بقلعة ارسـلان بك وبعدها قلعة شـاد كرمن وبعد مسـير سـاعتين توجهوا بحسـب كلام أوليا إلى قرية قوداني والعبور من نهر القوبان؛ حتى بلغوا ولاية ببردقاج الشـركسـية ثم النزول بقرية صحاك الواقعة في آخر حدود القبارطاى وبعدها، وفي مسير ثمان سـاعات وصـل إلى قلعة بورغوسـان ومنها باتجاه الشـرق إلى منطقة الخمس جبال وبعد مسير خمس ساعات وصلوا إلى ولاية طاوستان، وبعد المرور بجبل البرز تمكنوا من الوصـــول لمدينة دمر قابي وفي الأخير الوصول إلى داغستان.



ترجمة الرحلة

عرش جنكيز خان ودار السلطنة

مدينة باغجه سراي

ولله الحمد التقيت مع أفندينا محمد كراي خان[1] في شــهر شــعبان عام ١٠٧٤ه/ ١٦٦٦ بقصــر مرام باغي[2]، ولقد أحســن اســتقبالي بآلاف من كلمات الترحاب

---

(١) **محمد كراي الرابع**: الملقب بالزاهد المتصوف حاكم القرم ولد ١٦١٠وتوفي ١٦٧٤م ويعرف باسم محمد كراي الصوفي استمر في الحكم مرتين وتولى السلطنة في السنوات (١٦٤١-١٦٤٤) و(١٦٥٤-١٦٦٦) وكان قد عقد اتفاقية حماية ودفاع مع كلاً من إمارتي بولونيا – ليتوانيا، وكان شاعرًا ذو شهرة واسعة وإشعاره كانت تتضمن أفكارًا فلسفية وجوانب دينية وكان يوقع على أشعاره باسم مستعار وأولى كل مجهوداته أثناء توليه إلى إعمار القرم معماريًا وثقافيًا ويعرف عن محمد كراي الصوفي أنه تقابل مع الرحالة أوليا جلبي في زمن ولايته أثناء رحلته إلى القرم وكان في فترة حكمه بالعاصمة (باغجه سراي) وهذه هي المعلومات الأكيدة التي حصلنا انظر: Kırım Hanlığı hakkında ansiklopedik bilgi.

ووصف أوليا محمد كراى فقال: "..... أنه في غاية الصلاح والتدين حليم وخلوق يتجنب الحرمات، تقي يبعد عن الملذات له وجه منير وهو من أهل الوقوف كريم وصاحب الخيرات وملجأ للفقراء والمساكين يضم مجلسه الأتقياء والأولياء وكبار العلماء وأرباب العلوم والرحال الذين جابوا في أصقاع الأرض والبحر وكل من لهم علم الدنيا والدين للمشورة وهو على الدوام منشغل بذكر الله وبالجهاد في سبيله ولا يألوا جهداَ بمحاربة الكفار "الروس" وهو شاعر وله ديوان شعر باللغة الجغتائية كان يوقع عليه باسم "خانى" ولم أرَ بحياتي خانًا بهذا المجد والهيبة والوقار...".

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (محمد كراى خانك اخلاق حميده سى) ص: ٦٠٤، ٦٠٥.

(٢) **مرام باغ/ باغ مرام**: إحدى القرى التي أقيم بها القصر الذي يعيش فيه الخان محمد كراي. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٥٦٨.

« أوليا رفيقي حللت أهلاً، ولقيت منه المعاملة الطيبة واللطيفة، وقال: يا أوليا لتقم هذا الشتاء معنا وقاموا بإعداد غرفة لى ذات فرش وبسط، وأحسن علي باثنين من العبيد، واثين من خيل « اليورغا »، وفي السابق كان بمعيتي في الرحلة ثمانية من الخيل، فأصبح يصرف للعشرة خيول العلف بزيادة بالغة، وكان كل الأمراء والأعيان وأقارب وخدم وأغوات الخان في صحبتنا، وقد كانوا فى منتهى اللطف والكرم، فكان ليلنا مثل ليلة القدر ونهارنا مثل صباح عيد الأضحى «أدام الله دولتهم»، وكأننا كنا في صحبة ومعية السلطان حسين بيقرا[١]، وعندما بلغنا شهر رمضان الشريف جاء لصحبة الخان طوال شهر رمضان سلطان القازاق، وولي النعم سليم كراي سلطان، وحل العيد الشريف، وكان القادمون للتهنئة يأتون من كل حدب وصوب سلاطين وأعيان وكبار الأغوات ومندوبوا السلاطين إظهارا لولائهم للخان.

---

(١) **حسين بيقرا:** (٨٤٢-٩١١) (١٤٣٨-١٥٠٦) من أواخر السلاطين التيموريين والده منصور بن بيقرا بن عمر شيخ ويرجع نسب جدته لوالده إلى جنكيز خان شهدت هرات عاصمة خراسان في عهده أزهى عصورها وقيل لم تكن مدينة على وجه الأرض تماثلها إذ ذاك لارتفاع مستوى المعيشة فيها، وقام حسين بيقرا بتأسيس مكتبة وبناء مدرسة كبيرة، وتميز النشاط الفكري في عصره بازدهار قرض الشعر باللغة التركية الجغتائية وكان من طلائع شعراء التركية الجغتائية " مير علي شيرنوائي " ووضع مؤلفات باللغة التركية في التاريخ والأدب واشتهر من الخطاطين "مير علي التبريزي " الذي عاش عصر السلطان حسين بيقرا وابتكر اسلوب خط النستعليق. انظر: الموسوعة العربية، سوريا، دمشق، المجلد الرابع، ١٩٨٤.

من بدايع الغرايب الرؤيا الصالحة:

حكمة الله أن أرى تلك الرؤيا في ثالث أيام العيد وكنت بقرية قرا ألب[1] وظهر في الرؤية مضيفنا يقول

(١) منزل قريه قره آلب وصفها أوليا فقال "... قرية كبيرة عامرة... جميع أهلها من التتار وهم مريدون للشيخ أحمد أفندي كوچلی وهم حليق الشارب ولحاهم غايتها أربع أو خمس أيام وهم تتار صوفيون والقرية عمومها صوفية ولديهم مسئول وكفيل عن الجامع والحمام وبها بعض الحوانيت والبساتين المثمرة من فاكهة البرقوق والتفاح... انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (منزل قريه قره آلب) ص: ٦٨٨.

اذهب مع الخان إلى سلطان داغستان[1]، ثم عبرنا النهر وهو يُلوح إلى الحقير بيديه، ثم مرة أخرى وهو يقول لي انهض ولا تتمرد على الدولة العثمانية واذهب مع الخان في الصباح إلى داغستان بكل أمن وسلام وبعد ذلك تعود إلى القرم ويبقى الخان في داغستان،

---

(١) **داغستان**: وصفها أوليا فقال: ".. هذه البلاد لا يطلقون على القرى كلمة قباق كما هو الحال في بلاد الچركس بل يسمونها (....) (....) (....) بل مدينة وقآل، وهذه البلاد بها نعمة الأمن والأمان أيما امرأة أو فتاة أو شاب به وسامة بإمكانهم التجول وحدهم بكل أرجاء المدينة أو على الجبال وهن مرتدين حليهم المرصعة بالجواهر والياقوت وكل ذي قيمة دون خوف حتى أن أهلها لا يرفعون أعينهم ورؤوسهم على أي من النسوة اللائي يسيرون بجانبهن، فجميع أهلها مؤمنون وموحدون، شافعيي المذهب في جميع الأزمنة؛ لا يأكلون حراما ويحرمون ارتداء الحرير.. وبلدة داغستان تشتمل على سبع خانات وبها عدد سبعة أقضية والمدن العامرة بها احدى وأربعون وبها خمسة وستون قلعة وعدد الجنود بتلك القلاع ٨٧ الف جندي...

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (داغستان ولايتنده كاه وكاه غربه كتديكمز قلاع وشهرلرى بيان ايدر) ص: ٧٨٢.

وداغستان حاليا إحدى جمهوريات روسيا الاتحادية الواحدة والعشرين، والتي تقع في جنوب الجزء الأوروبي من روسيا الاتحادية في منطقة القوقاز على طول ساحل بحر قزوين. تحدها في الجنوب وجنوب الغرب الجمهوريتان السوفيتيتان السابقتان أذربيجان وجورجيا. وتحدها غربا وشمالاً أقاليم روسيا الاتحادية، وهي جمهورية الشيشان وإقليم سْتَافْرُوبُولْ وجمهورية كَالمِيكِيَا، أما حدودها في الشرق فيحدها بحر قزوين.، وتبلغ مساحة داغستان ٥٠,٣ ألف كم٢ وتغطي جبال القوقاز النصف الجنوبي من داغستان، وهي جبال تمتد من بحر قزوين حتى البحر الأسود، ومن أهم القوميات الأخرى "الدَّارْغِينْ" و"القُومُوقْ" و"اللّزْغِينْ" و"الرُّوسْ" و"اللّكّسْ" و"الطَبَسَرَانْ" و"النُوغَايْ" "الرُّوتُولْ" و" الأغُولْ "، مع وجود نسبة قليلة من "الأذَرِيِّينَ" و"الشيشانيين" والعاصمة هي محج قلعة.

وإذا مات الخان تأتون بجثته إلى القرم[1] ليدفن بها، وعندما شعرت كأن روحي تخرج من جسدي استيقظت من نومي، وكان ذلك قبيل وقت السحر في ليلة العيد، وعندما ذهبت إلى الخان قصصت له الرؤيا بكل التفاصيل وقال الخان: خيرًا إن شاء الله بعد ذلك أرسل لإحضار إمام مسجد

(١) شبه جزيرة القرم: جمهورية ذات حكم ذاتي ضمن جمهورية أوكرانيا حيث تقع جنوب البلاد ويحيط بها البحر الأسود من الجنوب والغرب، ويحدها من الشرق بحر أزوف، ومساحتها ٢٧٠٠ كم، وسكانها ٢,٥ مليون نسمة، ويشكل الروس حوالي ٥٠% منهم، والأوكران ٣٠%، والباقي من التتار المسلمين، وأهم مدنها هي العاصمة سيمفروبل، وكان اسمها فيما مضى "آق مسجد" أي المسجد الأبيض قبل أن يستولي عليها الروس.

«اولو جامع»[1]، وكان إمام عربي ثم قصصت الرؤيا للشيخ بكل دقة «وقال الشيخ الله ورسوله الخاتم أعلم أنكم و الخان ستسافرون إلى أطراف داغستان للسياحة

---

(١) (اولوجامع) تحدث عنه أوليا فقال " كتب حول بابه بخط جليٍ (الحمد لله على آلائه وصلى الله على محمد وعلى البرية وخلفائه امير هذا العمارت المسجد المبارك في أيام دولة الخان الأعظم محمد أوزبك كراى خان" وكتب حول المنبر: " قد أمر بانشاء هذا المنبر الشريف المكرم ذرية السلاطين منكلى كراى خان بن حاجي كراى خان خلد الله تعالى ملكه سنة ٩١٨ (١٥٢١) وذكر أن بداخل الجامع أربعة من القوائم العالية منقوشة ومزخرفة والسقف مغطى بالقراميد ويوجد باب باتجاه الجنوب يبعد عن المنبر مسافة ٢٠٠ قدم طولاً والعرض ١٥٠ قدمًا والنقوش التي على المحراب والمنبر على الطراز القديم ذات سحرٍ مبين، وفي مقابل الجامع مدرسة انجى بك خاتون كتب حول بابها "امر بعمارة المدرسة المباركة في زمن السلطان العادل محمد كراى خان خلد ملكه الخير المحريه سيد الدنيا وامين العافى انجى بك خاتون بنت قيل بورون بك الامير الامراء المرحوم المغفور نور الله قبره في سنه ثلاث وثلاثين وسبعمائه (١٣٣٣م) والباب ذو نقوش غاية الروعة وبجوار هذه المرسة تكية طاهر بك كتب حول وسط بابها " بسم الله الرحمن الرحيم بنيت هذه العمارة على اسمه السلاطين الاعظم سلطان البر والعجم... خان بن طاهر بك خان ادام بركته ويزيد سلطنته في العالمين باى بوغلى خاتون ذات معظمه وامر الله المعثره ابن تنقطاى بن قوتلغ بن تيمور بن بوغاباي " لكن بعد ذلك أقيم مكان تلك التكية مسجد في جوانبه الأربعة جدران من المرمر الأبيض كتب على أحد هذه الجدران بخطٍ مستعصمي" بنى عمارت هذه البقعة بعون الله وتوفيقه على اسم الشيخ علي الباقري نور الله روحه العزيز، وكان في التاريخ وفى سنه شهر جمادى الآخر، وفي اليوم الخامس والعشرين ثمان مائة (١٥ مارس، ١٣٩٨).

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (اوصاف تخت كاه قديم يعنى قلعه اسكى قريم)، ص: ٦٦٢، ٦٦٣.

أو للقيام بعمليات صـيد في المناطق الجبلية في جزيرة القرم وأنا أراها رؤيا خير وهذا تأويلي ســلمكم الله من المكاره والآفات و قرأنا الفاتحة ثم انصرف الإمام».

عزل محمد كراى خان ابن سلامت كراى خان:

من حكمة البارئ أن أرى تلك الرؤيا صـباح ثالث أيام العيد وفي هذا اليوم كان جمع من الأعيان والسادة والأغوات وآخرين قادمون من الآستانة أغوات من طرف الوزير «بابا داغلى وهم التتار سليمان أغا التتري ولقبه اليساري الأكتع وكوبرلى أوغلو فاضل احمد باشا ناقلي الرسائل من طرف السلطان العثماني وبعد مقابلة الخان لهم في الديوان[1] قُرأ الخطاب وكان هذا فحواه « محمد كراى خان حاكم القرم سـابقًا من جلالة خادم الحرمين الشريفين مكة والمدينة لقد عزلتكم من خانية القرم وأنعمت بها إلى «چوبان كراى أوغلو... كراى ومساعديه الوزراء غازي إسلام أغا ابن المرحوم الشهيد سعيد غازي أوغلو ومبارك كراى سلطان نور الدين،

---

(١) ديوان الخان / ديوان خانه مقره العاصمة باغجه سراي وهو المكان الذي يجتمع فيه الأعضاء برئاسة الخان ليبحث الشئون المتعلقة بالخانية ويطلق على القصور التي تعقد بها جلسات الديوان مسمى Görünüş ومن أعضاء الديوان: الخان- الكالغاي- نور اللدين سلطان- ميرزاوات الكراجي- العلماء- العسكر-آغا الخان - الدفتر دار Ahmet Ayhun: Kirim، S. ٣٦

وســـيصـــلون إلى القرم ومعهم جنود من ولايات اوز ومن الأفلاق والبغدان[1]»، وعندما يصلكم خطابي عليكم الامتثال والطاعة لأمر السلطان، وتأتون طائعين إلى الآســتانة، أو إلى جزيرة كريت واللحاق بالأســطول العثماني وتعلمونا بوجهتكم وترسلوا لنا خبرًا شافيًا والسلام.

ولمَا قُرئ هذا الخطاب الموحش بالديوان وانطلق الخبر في جميع نواحي القرم حدثت مداولات ومشــاورات كثيرة وحدث هرج وإثارة لجنود القرم وجميع شــعب القراجي كانوا كبحر من البشــر الهائج أمواج وأمواج متجاوزون كل حد من فرط الحماس والهياج، وبدأت المشاورات بينهم وبين جميع فرق وعسكر الجيوش القرمية فمنهم من قال نحن عبيد الخان الذي لا يمت، وعددنا أثني عشر ألف من الجنود تابعين للخان الذي يُعين من طرف آل عثمان ونحن على ذلك منذ زمن السلطان بايزيد والخان الذي يتولى نحن في خدمته ومبارك عليه الخانية،

---

(١) الافلاق والبغدان: تحدث أوليا في المجلد السابع عن الأفلاق والبغدان وعن حدود كل منهما وعن جبال البغدان وأقوام البغدان وملوكهم يقول: " إن أول فتح لولاية الأفلاق كان على يد يلدريم بايزيد ولكن اعمار المدينة والتنظيم الإداري كان في عهد السلطان سليمان... وتحدث أوليا عن التعريف بلسان ولغة الأفلاق فقال " انهم أقوام عيسويون (نصارى) وهم يختلفون بعض الشيء في المذاهب ولكن اللغة واحدة وإن كان يوجد اختلاف في بعض الكلمات عن بعضهم البعض، وتعاملهم وحسابهم يكون بالأقجه.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (بوغدان ولايتي) ص: ٤٩٠، (افلاق ولايتى)، ص: ٤٥٧، (افلاق لساننده نمونه) ص: ٤٨٢.

وحدثت مشاورات ومناقشات طويلة بين كل الأقوام القره جي والبادراق والنوغاي والشـــيرينلى والمنصـــور لى، وفي نهاية تلك المشـــاورات قال البعض لنذهب إلى قلعة كفه[1]،

(١) **قلعة كفه:** وصفها اوليا فقال:... شامخة في وسط الجبل بمكان منخفض لكنه واسع ومستوى وأن أرضية القلعة من الناحية الغربية إلى الناحية الشرقية مائلة إلى الحمرة وهي وحجم القلعة (محيطها) ١٧ الف قدم على شكل مربع وهي كائنة منذ قديم الزمان وإن كان يظهر بها بعض الجدران المتهدمة.. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (دربيان أشكال زمين قلعه كفه) ص: ٦٧١.

ونتحصــن بها وآخرون قالوا نحشــد قواتنا في «قلعة أور»[1] وعندما يصــل الخان الجديد ووزيره إســلام أغا، وأتباعه نتشــابك معهم ونحاربهم ونجبرهم على العودة ولا نجعلهم يدخلون إلى القرم،

(١) **قلعة أور:** شيد هذه القلعة الخان صاحب كراي سنة (...) وهي من طابقين وشيدت من أحجار ضخمة كأنها من العصر الحجري ويبلغ الارتفاع عن سطح الأرض، كما يبلغ استدارة محيط اسوار القلعة ثلاثة آلاف قدم والقلعة لها خمس زوايا توجد باربع زوايا أبراج عالية يراها القادم من سهول هيهات على بُعد ومسافة خمسة قوناق، وجميع الأبراج مغطاة بالقراميد الأحمر والأبراج المنخفضة مغطاة بالخشب وبداخل القلعة يوجد قرابة ثمانون منزل تتري جميعها مغطى بالرمال والقلعة لها محافظ وفرقة من الجنود ببنادقهم مقدارها ٥٠٠ فرد جميعهم من الروم الشجعان والسبب في ذلك أن التتار لا يُجيدون استخدام البنادق ويسمونها "ملطق" كما أن بها عدد ٥٠٠ فارس من التتار من أصحاب الشجاعة والقرة القتالية العالية وعدد ١٥ اغا، ورئيس لجند المدفعية، ورئيس الجنود القائمين على إصلاح المدافع والبنادق، والقلعة حولها خندق يبلغ عمقه (١٥ قولج) قامه والقلعة تحتوي على ثلاثة ابواب متينة وقوية وبداخل قلعة اور مسجد صاحب كراى ومستودع للدقيق وعدة غرف للأسلحة كما يوجد بها آبار للمياه ولا شيء غير ذلك والقلعة من الخارج بها عدد ١٠٠ منزل سقفها مغطاة لكن لا يوجد بها أسواق وحوانيت وحمامات لكن يوجد جامع صاحب كراى ويبلغ طوله (١٥٠ اياق) قدم وأما العرض (١٠٠ اياق)، وكتب عند محرابه "لا إله إلا الله محمد رسول الله" ثم آية الكرسي والجامع له منارة منخفضة شيدت من حجر أبيض اللون بديع الشكل على الطراز القديم وهو مغطى بالرمال وقد أقيمت مكان معبد.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (اور قلعه سنك اوصافى)، ص: ٥١٢، ٥١٣.

ومنهم من قال: إن رجال من آل عثمان يأتون إلى مدن « يانبولى واسلميه»[1] وجبال مدينة «براوي» لصيد الأرانب، ونحن أيضًا نمضي من القرم إلى مدينة «أدرنه أو سلانيك» ونصطاد رجالهم هناك وكثير من هذا الهرج والمرج، ولكن العقلاء منهم لم يشـــاركوا في هذه الحوارات ولم يعيروها اهتمامًا، وقالوا للخان: «سلطاننا الخان المنصب في هذه الدنيا مثل المنديل، وأنتم عُزلتم مرتين، والدولة العثمانية أتت بكم، وأحسنت أليكم بهذا المنصب لنمضي إلى أدرنه، وليكن ما يكون، وخيرًا بمشيئة الله».

واعترضـــت أقوام «القرا جي» على هذا، وقالوا لو ذهب الخان بهذا السـلم من الممكن أن لا يقبل منه وينصـب له فخا ويقتل لكن بالنهاية قالوا «العبد يريد والله عليه التقدير» هذا كان فحوى كلامهم، وتردد الخان وقال أنا رجل مؤمن وموحد بالله ولا أتحمل أن أرى نفسي متمردًا مارقًا وعاصيًا للدولة آل عثمان ولكن حاشـني أن أكون ناكرًا للجميل لتلك الأقوام وأخفي صوت العقل واستقر رأيه على عدم الذهاب، ولقي هذا الرأي ارتياح كبير لدى جميع أقوام القرم.

---

(١) يانبولى واسلميه: عرفهم أوليا بأنهما مدينتان قريبتان من ادرنه. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (بوقرش شهرى) ص: ٣٦١.

وذات ليلة كان الخان في مجلسه ومعه أصدقائه المقربين من الأمناء سره وأهل المشورة والرأي وقال قبل سبع وعشرون عام كنت قد رأيت بأني أُقبل أطراف ثوب سلطان داغستان، ولقد قصصت تلك الرؤية إلى أوليا جلبي وأولها لي، وقال: ربما يا سلطاني سنذهب إلى داغستان والآن هذه الرؤية تتحقق سأذهب إلى خان القوموق، ثم سحب عمامته من على رأسه وقال الآن أنا بلا تاج، ولا منصب، ولا عرش، وكان قبل عدة ليالٍ قام الخان بفتح خزائنه، وملأ مائة خرج بالأشياء الثمينة والأموال، ولكنه أبقى على الأشياءِ الثمينة والغالية كماعين ابنه الأكبر أحمد كراى محله،

وأخذ أبنائه سليم كراى وأعوض كراى وجناب كراى ومبارك كراى

وعدد ثلاثمائة فارس من الأكفاء الشجعان معهم خيلهم وذهب إلى قلعة « الجفود »[1] وأخرج منها الأسير الكافر شره مت

---

(١) **الجفود:** تحدث أوليا عن الچفود بالمجلد السابع في موقعين:

الموقع الأول: أثناء حديثه عن قلعة منكوب ووصفه لجامع بايزيد الموجود داخل قلعة منكوب فقال: لا يوجد بالجامع إلا باب واحد ولا توجد بأطرافه ونواحيه أي منازل وهذا الجامع بني مكان معبد قديم عند مرج واسع ويوجد عند آخر هذا المرج حي للمسلمين به مسجد وعدد ١٠٠ منزل مغطاة بأحجار القراميد وحمام صغير وعينين للماء ولا يوجد غير ذلك من بنيات أخرى وهذه المنطقة من رأسها إلى عقبها خاصة بالجفود وبها ٧ أحياء وجملة منازلهم النجسة ١٠٠٠ منزل كلها مغطاة بأحجار القراميد وعدد ٨٠ حانوت بعدة طوابق وجميع اليهود يعملون بالصناعات الجلدية المأخوذة من الغزلان وغيره (الأبقار والثعالب والنمور والسمور) وبخاصة أن منكوب لها شهرة في القرم بالصناعة الجلدية كما أن بها محلين للقصابة ومحل لصنع البوظة وجملة اليهود هنا من القرائين وسائر اليهود من القرائيين لكنهم لا يحبون الچفود لأنهم لا يتحرون في أطعمتهم قشر "الحلال" ولا "طرفه " الحرام وكل نعمة تصل إليهم من "صاي ياغلى" والعرق المسكر واي من أنواع اللحوم هي أطعمة يأكلونها فهم قزلباش اليهود، ومما لا شك فيه أن الجفود من بني إسرائيل موسويين (أتباع موسى عليه السلام) يقرأون التوراة والزبور، وهم لا يتحادثون بلغة لهم فجميع كلماتهم باللغة التترية، ويعتمرون القلنسوة التترية من الصوف و لونها بنفسج، ولا يعتمرون القبعات وفي منكوب الماء الزلال والنسيم العليل ولهذا يكثر بها العاشقين.. وتحدث أوليا عن قلعة منكوب.. ولقلعة منكوب بابين من الخارج أحدهم للجفود وهو باب صغير من الجانب الشمالي للقلعة ودائما مفتوح والعربات والخيول المحملة لا تمر منه، الباب الآخر من الناحية الشرقية بمكان شاهق شديد الانحدار وهو باب خاص للمسلمين شق له طريق وسط الصخور ويوجد بهذا الطريق كنيسة جدران بابها صنع من المرمر الأبيض وعلى هذا الجدار رسم لإنسان بيده حربة يقتل بها تنينا وهو على ظهر حصاناً واقفا على قوائمه الخلفية ومنظر هذه التصاوير على الحجر كأنه سحر معجز، وفي داخل هذه القلعة وخارجها توجد آلاف المغارات يتعجب الناظر من رؤيتها، جميع أهل ولاية القرم يقومون بحفظ أموالهم وما له قيمة بالكهوف والمغارات الموجودة في قلعة منكوب، وقلعة منكوب لا يوجد ما يشبهها من القلاع في مدن

مثل ماردين ونشبين وفانا وعماديه وعقريه ولا قلعة ماكوبه في بلاد العجم ولا قلعة قهقها وزندانية وشقف ولا القلاع الموجودة بديار موره وأفيون والحاصل أن كل القلاع التي ذكرناها من غير المحتمل تشابهها بهذه القلعة.

الموقع الثاني: أثناء حديثه عن اوصاف قلعه كوهر كرمان... " فتحت هذه القلعة على يد جوجى ماهان خان من آل جنكيز خان واستولى عليها من البيزنطيين وبعد الفتح وضع لها علماء التتار اسم "كوهر كرمان" وفي حقيقة الحال هذه القلعة عندما فتحت كان على جدرانها وأبوابها الجواهر والأحجار الكريمة والأركان كلها مذهبة وبعد فترة استولى عليها الفرنج في فترة منكلى كراى خان ولمكن ساعده كدك أحمد باشا على استردادها ودخلت في تبعية خانية القرم، واستعادت عمارتها، وجعل عليها أفضل الجنود... والقلعة من داخلها بعض منازل الجفود وعند بعض المغارات الموجودة يقطن فقير الحال من اليهود كما بالقلعة منازل للجفود مهيئة ومزينة ومغطاة بأحجار من القراميد وهي نحو الف وخمسمائة وثلاثون منزلا ليس فيها مسلمين.

كما أن مسئول القلعة وجنودها وحراسها جميعهم من اليهود وبين أبواب القلعة توجد آلات حربية وأسلحة كثيرة وهذه الأسلحة لا تستخدم لأنه لا توجد شجاعة عند الجفود لحملها ومن أجل هذا أطلق على القلعة اسم جفود "قلعه سى" قلعة الجفود ولكن اسم القلعة كوهر كرمان أما المدافع والبنادق ليست موجودة بالقلعة لأنه لا توجد جسارة عند الجفود لسماع دوي المدافع والبنادق وفي الحقيقة قليل في الديار والبلاد مثل هذه القلعة في الخصوصية ففي ولاية القرم ومدينة باغجه سراى جميع أصحاب الحوانيت وتجار الأقمشة من الجفود فالقاطنون من اليهود في قلعتي الجفود ومنكوب صباح كل يوم في نزول وصعود مسير الساعة إلى حوانيتهم القائمة في باغجه سراى والجفود يحيطون القلعة من الأربع جهات بتكديس الصخور مثل الجبال لقذفها في وجه اعدائهم إن اضطروا لذلك.

ويوجد داخل القلعة مسجد مقام على الطراز القديم للخان حاجى كراى كتب حول بابه بخط جلى مع تاريخ بنائه " بنى هذا المسجد المبارك السلطان الأعظم والخاقان المعظم مولى ملوك العرب والعجم السلطان حاجى كراى خان بن غياث الدين خان بن اردوغم خان طول الله عمره وأيد دولته سنه ٨٥٩ "الموافق (١٤٥٥)، والجامع بابه على الدوام مغلق لعدم وجود مسلمين ناحيته ولمنع الجفود من المكوث داخله، والقلعة ليس بها أسواق وحوانيت

بان[1]، ثم وضع الحديد بيديه، وقيدهم خلف رأسه،

وحمامات ولا مياه وجميع المياه تحمل إلى القلعة بواسطة الحمير من الجداول الموجودة في اسفل القلعة وبالماضي كانت توجد صهاريج المياه.

أما حاليًا فهي معطلة وبداخل هذه القلعة زنزانة للأسرى كأنها دار جحيم للسجناء وهي ليست مثل الزنازين الموجودة في ديار طشوار ولا التي في سولموس ولا التي في يانق قلعة هذه الزنزانة لا يمكن لأحد الخلاص بروحه منها إلا بخروجه في تابوت. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (منكوب قلعه سى، أشكال قلعه سى، تاريخ جامع سلطان بايزيد بقلعه منكوب) ص: ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥ وانظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (اوصاف قلعه كوهركرمان) ص: ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩.

(١) **شره مت بان:** ذكر اسم هذا الأسير أثناء حديث أوليا عن مواجهة الخان محمد كراي مع الروس فقال: "... نحمد الخالق على نعمة النصر لهذه الحرب (...) لم يبقى من المعركة سوى جثث الروس النجسة وأشلائهم المنتشرة في ميدان الحرب والإحصاءات ٧٧ ألف كافر طريح في صحراء تيه، وأيضا ٦٦ ألف أسير و١٠٠ ألف غريق في نهر سوت بالإضافة إلى أسر شره مت بان رئيس وزراء الروس يرافقه ثلاث وزراء آخرين والكثير من النساء والغلمان ذوو الوجوه المشرقة الناعمة والذين بلغ عددهم ٢٦ ألف، ومن ضمنهم فتيات أبكار وأسر زوجة شره مت بدهشان وعندما أحضروها إلى الخان كانت مقيدة اليدين وبقدميها طبقتين من السلاسل الحديدية وجراحها تنزف وقيدت مع زوجها بعربة واحدة بعدما أخذ منها الجواهر والألماس وكان في حوزتها ٣٠٠ قطعة من الألماس و٧٠ درة يتيمة، ذلك في الوقت الذي كان يقوم فيه جند التتار بدحرجة وتفتيش رؤوس الجثث للبحث عن أي مصاغ فكل جثة من ال ٧٧ الف تحمل من أنواع الجواهر الكثير كالزمرد والياقوت والأحجار الكريمة والقطع الذهبية وصار جند التتار من الأسياد والأعيان وبعدما انتهوا القوا بالجثث بوادي تيه للسباع والطيور والهوام والديدان فالغنائم كانت كثيرة بعد هذه الحرب وتقدر ٤٣ ألف عربة من البضائع المتنوعة من فراء السمور بأنواعه الأبيض والأسود وفراء الثعالب وعدد ٣٠٠ من أكياس الذهب و٨٠٠ كيسًا من الأقجوات.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (محمد كراى خانك مصقو مملكتنه غزاسى) (روس تهلكه سنه قارشو...) ص: ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩.

وأجلسوه على الفرس ليسير برفقتهم.

وعندما رأى الحقير –المؤلف- هذا قلت أنا لست موفق في رحلة القرم هذه وستكون أيامي القادمة أصعب فقلت «يا خاني العظيم أنا غريب هنا لمن ستتركني حرام عليً أن أمكث في القرم وأنت غير موجود بها بعد هذه اللحظة’ وأنا مع الخان إلى أي مكان يسير إليه فأجابني: «أوليا أنا انفصلت عن عرشي وحظوتي وتاجي، ولم يبقَ لي إلا الغم والكدر تريد الذهاب معي لنذهب، وأعطى الحقير معطف من فراء السمور[1]، وسبع خيول وثلاثة مائة قطعة ذهبية لنفقة الطريق وقال اتبعني يا أوليا، وفي الصباح توكلنا على الله؛ حيث بدأ التحرك في معية الخان

---

(١) **السمور**: حيوان يعيش في شمال اوروبا وفرائه ذو قيمة عالية.

وفرســـانه الثلاثمائة الشـــجعان الذين اختارهم وتركنا مدينة الباغجه سراي[1] وهجر الخان ماله وعرشه وتاجه

---

(١) **باغجه سراي** Bahçesaray: ذكر اوليا " أن أرض هذه المدينة واسعة وغنية جدًا ولا يوجد لها مثيل إلا سهول حوران بسوريا كما ذكر أن بها الكثير من المساجد ويبلغ عددهم ٢٤ مسجد ذات قباب ومنارات جميلة وأشهر تلك المساجد "جامع الخان صاحب كراي" (تولى خانية القرم ١٥٣٢/١٥٥١) وجامع القبة ومسجد سفر غازي وجامع أورطه ومسجد تختالى، وذكر انتشار المدارس والتكايا بها، وقال أن عدد المدارس لتعليم الصبية ١٧ مدرسة وعدد التكايا ٩ ويبلغ عدد الأسبلة في المدينة ٤٧ سبيل أقيمت على أرواح شهداء كربلاء وسمى بعض الأسبلة مثل سبيل الخان اسلام كراي(تولى خانية القرم ١٥٨٤/١٥٨٨) وسبيل سفر غازي "وزير الخان" وسبيل رمضان أغا وأن بها "دور الضيافة" للتجار القادمين من الأقاليم المختلفة وعددهم ب ٧٠ من الدور وأكبر تلك الدور التي بداخل السوق المغطى وهي باسم الوزير سفر غازي وهذه الدار تشتمل على ١٦٧ غرفة وهو من طابقين من طوب القراميد ويقيم في هذه الدار تجار من أوروبا والأناضول والعرب والعجم وكتب على باب هذه الدار تاريخ الإنشاء عام ١٠٧١/(١٦٩٥م) كما ذكر أعداد الحوانيت الموجودة في باغجه سراي وقال " يوجد بالمدينة بحسب احصائية شاه بندر التجار عدد ١١٠٠ حانوت يوجد بها جميع أنواع البضائع والمتاع والحرفيين من الحائكين وصانعي الأحذية والنَحاسين وصانعي ومقدمي المشروبات وبائعي البوظه وغيرهم كثيرين، وتحدث عن حمامات المدينة وسماها بالمشرقة وعدد منها أشهر أربع حمامات وقال هي منتجعات صحية وكلها مزينة ومجهزة بالمياه والينابيع الساخنة ويوجد بالمدينة حمام باسم "حمام محمد كراى" وهو مغطى بالكامل من أحجار القراميد الأحمر، ولامثيل لهذا الحمام إلا حمام حيدر باشا الموجود في استانبول وقد كتب على بابه بخط جلي بماء الذهب واللازوردي "صاحب الخيرات والحسنات السلطان غازي محمد كراى خان بن السلطان سلامات كراى خان ابن دولت كراى خان دام عمره ودولته إلى نهاية الزمان، ونهاية الدور آمين يا معين ويا مستعين في سنة ١٠٧٠ه"(١٦٦٠) كما ذكر حمام "صاحب كراى خان" وقال أنه قريب من السراي وكتب على عتبته العليا " هذا المقام العالي للسلطان العادل صاحب كراى ابن منجلى كراى خان ابن حاج كراى سنة ٩٣٩ه (١٥٣٢).

وبعضًا من أهله وعياله، وكان يتمتم متضرعًا ومبتهلاً إلى الله، ووقف أمام القصر؛ حيث توجد ساحةٌ تُسمى بساحة الإعدام نزل من على فرسه وصلى ركعتان وكان يدعو ويقول يا ربي لقد فارقت مُلكي وتاجي وجاهي، وقد بلغت من العمر أرذله وأنت ملك الملوك، يا رب من تسبب بإيذائي أصبه مثل مصابي، وهم القاي مقام الدفتردار حسين باشا ورئيس الديوان خليل أغا الذين خلت قلوبهم من الإيمان والتقوى، أرني فيهم مثل ما فعلوا بي عن قريب ولتطل عمري حتى أرى فيهم قدرتك، ثم امتطى جواده وخرج إلى الطريق وكان كل من أقوام القره جي والبادراق قد تزاحموا لتوديعه وقد عزموا على إغلاق قلعة كفه وقطع المياه عنها، وحشد القوات في آق قايا استعدادا لمن يأتي خلفا للخان.

ولقد كانت أقوام القره جي تناصر الخان وتتمسك بما تعاهدت عليه من نصرته وقال زعمائهم: « والآن أيها الخان لو أننا سنتعارك مع آل عثمان فلتعطِ إلى أقوام القراجي مئة كيس من الأموال، وحينئذ نشتبك معهم»،

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (ينه ستايش تخت كاه آل جنكيز خان شهر باغجه سراى دار سلاطين) ص: ٥٩٦، ٥٩٧، ٦٩١.

وقال الخان لنذهب إلى مكان في آق قايا، ونتحدث ثم نضـع الكلم في مواضعه، وبعدها نعطيكم المال، وعندما وصل الخان إلى آق مسجد[1]

---

(١) **آق مسجد**: وصفها اوليا فقال " المدينة واسعة وجميلة على جوانبها المروج الخضراء ويظهر جبل جادر في منتصفها تماما ويرى الجبل من أي اتجاه من مسافة خمسة قوناق (والقوناق والمرحلة والمنزل قياسات طولية تعادل ستة فراسخ وثلثا فرسخ والفرسخ يساوي ثلاث وعشرة ميلا)، والبلدة لا ينقطع عنها نزول الثلج وهذا الثلج ماءه زلال، وأراضي هذه المدينة شديدة الخصوبة والمدينة عامرة بالمنازل الواسعة ذو الطابق والطابقين وجدرانها من الحجر والأسقف المغطاة بأحجار من القراميد، كما يوجد بالمدينة مئتي حانوت وفيها الأسواق المغلقة ويوجد بها خان للتجار العجم كما أن بها عدد خمسة محاريب ومنهم جامع منجلي كراي (١٤٦٩/ ١٤٧٥) الذي أقيم في وسط القصر وهو مقام على الطراز القديم منارته مغطاة بأحجار من القراميد، وفي خارج المدينة يوجد جامع عبد الرحمن بك هو الأخر مغطى بأحجار من القراميد ومنارته من الحجر، وكان في الماضي معبدًا وكتب على بابه " بنى هذا المسجد المبارك في أيام دولة السلطان منجلى كراى خان وأضعف العباد عبدالرحمن ابن علي بك غفر الله له ولوالديه في شهر محرم الحرام الرابع عشر وتسعمائة " ٩١٤ (١٥٠٨) ويوجد غير هذان المسجدان ثلاث آخرين ومدرستان وثلاثة تكايا للطريقة الخلوتية وبها الصوفيون يعتمرون القلنسوات من أعواد الآراك حليقوا الشوارب واللحى والسبب حتى لا تدنس عند شربهم البوظة هذا ما قالوه وهم يذهبون إلى المحلق لحفها تمامًا في منظر عجيب وهم بهم جهالة وعند سؤالي لأحدهم هل أنت مسلم ؟ رد قائلاً: لا أنا صوفي. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (آق مسجد ص: ٦٣٨).

، قام بإرســـال أربعين رجل من الأمراء والأقارب إلى « بالق لوا»[1] للحاق بالسفن الموجودة للذهاب إلى الآستانة وبعد ذلك أخذ الحقير في جمع خدامه وأشيائه وارتدى معطفه الفرو وواصل طريقه:

«... سنه ١٠٧٧ تاريخى غره سنده باغجه سراي دن داغستان بادشاهى ولايتنه كتديكمز قناقلرى بيان ايدر[2] در بيان ســـبب عزل محمد كراى خان....».

---

(١) **بالق لوا**: بلدة بها ميناء يأخذ أعداد كثيرة من السفن وهو آمن تماما ضد الرياح والميناء لا تنقطع عنه الأسماك على مدار العام ولهذا سمي بالق لوا وجميع سكان البلدة يعملون بصيد وبيع الأسماك أو كبحارة على السفن وعامة أهلها مسلمون وهم من أقوام اللاز، والميناء الدخول والخروج منه شديد الصعوبة لضيق الممرات به وتتعرض بعض السفن القادمة من خارج البحر الأسود إلى الارتطام أثناء الخروج والدخول فهو ميناء عجيب وغريب جدًا.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (بالقلوا قلعه سى) ص: ٥٧٩.

(٢) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٦٩٦.

بيان بالقرى والقصبات أثناء ذهابنا من مدينة باغجه سراي إلى داغستان سنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م وبيان سبب عزل محمد كراى خان:

أولا: في عام (...) أثناء توجه كوبرلى قوجه محمد باشـــا للقتال في «يانووه» وأيضـــا صـــدور الأمر للخان محمد كراى بالذهاب إلى يانووه وعندما حدث من الخان تأخير وعوق عند الذهاب وعودة الوزير كوبرلى من يانووه والذهاب إلى استانبول بسبب مقتل جلالى حسن باشا غدرًا، فلم يكن هناك من نصـيب في مقابلة الخان بالوزير كوبرلى زاده مما ترك أثرا سيئًا عند الوزير وعداوة منه للخان، والأمر الثاني عندما أُمر كوبرلى زاده فاضل والوزير أحمد باشا في عام ١٠٧٣/١٦٦٣م بالسفر لغزو «ايوار»[1] وأيضًا صدور نفس الأمر للخان محمد كراى، وأثناء استعداد وتأهب الخان للحضور وإحضار الباش جاويش ابراهيم للخان عدد ١٢

---

(١) **اويفار** (Uyvar) تقع شمال غرب بودابست على الشرق من فيينا مسافة ١١٠ كم، وتسمى بالألمانية نوهزل Neuhausal.

انظر: اسـماعيل سـرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، د. ن، القاهرة، ١٩٤٦م ص: ٩٠٧.

ألف قطعة ذهبية للخان، دخل كفار القالمق إلى نواحي القرم وقاموا فيها بالسلب والنهب والهروب سالمين معافين إلى سهول هيهات مما جعل الخان يفضل المكوث خوفا من تكرار ذلك ولم يذهب إلى «ايوار» وارسل ابنه أحمد كراى[1] سلطان على رأس جيش قوامه ٤٠ ألف جندي تتري من أكفأ الجنود، لكن المنافقون من الجند أوعزوا إلى كوبرلي زاده بأن الخان أرسل ابنه تكبرا وهو في عمر ابنكم وبعد ذلك لم يقل كوبرلي زاده شيئًا إلا أن قال خير.

بعد ذلك ذهب الحقير ذو التقصير بالاستعداد للرحيل من باغجه سراي متوكلا على الله شرقًا إلى مدينة « آق مسجد» التي تعد من مدن القرم القديمة ومنها إلى:

---

(١) أصدر الصدر الأعظم أوامره إلى محمد كراي الرابع بالتوجه إلى المجر في ١٠٧٤ه/١٦٦٣م لكن محمد كراي لم يكن يذهب بنفسه إلى المجر تاركا خانيته معرضة لهجوم الروس والقازاق فكلف ابنه بذلك وقد ضم جيش احمد كراي عدد لا يستهان به من جنود القرم والقازاق؛ إذ وصل مجموعهم مائة ألف جندي وكان لهذه القوات دور كبير في النجاح الذي حققه العثمانيون في حملة اويفار وعلى أثرها وسع العثمانيون حدودهم في الغرب وأقرت معاهدة سيادة العثمانيين على ترانسلفانيا

٣. ، Istanbul،- Ismail Hami Daniș mend: Izhali Osmanli Tarihi Kronolejlisi s. ٩٧٥. ،cilt

منازل قرية كولچ (التترية):

هي قرية موجودة بالقرب من قلعة كفه وبها حوالي مئتي منزل تتاري وبها مســـجد ذو قبة عالية مبنيًا بالحجر وبها حمام أيضًـــا وعمارة القبة مصبوبة من مادة الرصاص، والقرية بها الحدائق العامرة والبساتين كما أن القرية بها وليًا من أولياء الله الصــالحين وصــاحب كرامات الشـيخ «أحمد أفندي كولچلى»، ولهذا الشيخ قرابة الأربعين ألف مُريد كلهم حليقي الشارب وهم يتبعون الطريقة الخلوتية[1] وكل هؤلاء المريدين يقيمون داخل القرم في جوار الشـــيخ والتكية مفتوحة دوما وعلى مدار اليوم لكل الناس أثرياء وفقراء، فهم موجودون ليلاً ونهار ومن هذه القرية اتجهت لناحية الشرق في مسير سبع ساعات.

---

(١) **الخَلوتِية**: فرقة من الدراويش ينتسبون إلى الخلوة وهي عند الصوفية المكان الذي يختلي فيه المريد بنفسه متعبدًا بعيدًا عن الناس حتى تصفو روحه والخَلوتِية يقضون بها اثني عشر يومًا على الماء والخبز إكرامًا لذكرى الأئمة وعددهم إثنا عشر. انظر: تاريخ الأدب التركي، مرجع سابق، ص: ٣٨.

قرية قيولر:

يسـتخرجون زيت النفط من تلك القرية ويأتون بأدوات تشـبه المصـافي (كپچه لر) من على صـفحة الماء ويسـتخدمونه في إشـعال القناديل ولو وُجد هذا النفط في الأراضـي العثمانية لذهبت عائداته إلى خزينة الدولة، ثم تسللنا بالخروج من هناك في غفلة من جند التتار الذين كانوا يحاصرون كل محيط القرية واتجهت مسير تسع ساعات.

قلعة كرچ(١): كنا تحدثنا عنها في السابق[٢]،

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع ص: ٦٩٨

(٢) **قلعة كرچ:** يطلق عليها أقوام التتار كرش وسبب التسمية (...) شيدها البيزنطيين، وفتحت على يد كدك أحمد باشا في عهد السلطان بايزيد وبالوقت الحالي تابعة لولاية كفه ويدير شئونها المحتسب من خلال إقامته بها ويقع بأنحائها عدد (...) قرية وميناء على شكل مربع مشيدا بأحجار ضخمه قوية على جزء كبير من الخليج الذي بجوار القلعة، ومساحة القلعة دائرًا ما دار ألف قدم وبأطرافها اثنان من الأبواب فمن الجانب الشرقي باب صغير لا تمر منه العربات المحملة، وكتب على إطار الباب " هذا حصن الكرج عمره السلطان بايزيد خان ابن محمد خان خلد الله ملكه" وفي الجانب الأيسر من الباب زاوية بها أربع جدران من المرمر عليها رسم وأشكال لصورة جناح ورأس جمل ورسم لأربع اقدام ولما سئل المنجمين الكفرة أصحاب العلم الواسع بهذا المجال قالوا أنها رموز تدل على قدوم التتار والحقيقة هو رسم بمنتهى البراعة والجمال وهذا الباب مكون من طابقين ولا يوجد أمامه أي خنادق والميناء بكرج ميناء عظيم تأتي إليه جميع السفن الموجودة بالبحر الأسود وبحر آزاق لأنه آمن تماما ضد جميع أنواع الرياح النجمية والجنوبية والغربية والميناء يتسع لقرابة الألف سفينة ضخمة والباب الثاني من الجانب الغربي وهو باب ضخم كتب حوله:

" قد بنى هذا البنا امامنا *** قطب الدين سلطان سليمان ذو الصبا

قلت في الاتمام تاريخا له *** ادخلوها بسلام آمنين سنه (...)

هذا الباب أيضًا من طابقين وبين الطابقين من الواجهة يوجد رسم لأسد على جدران المرمر وقعت باسم "بهزاد شاه واغا رضا ويظهر الرسم مدى براعة الرسامين وتشعر من الوهلة الأولى أنه غضنفر أو سبع له روح، وهذا الباب به خندق من البحر إلى البحر والقلعة شديدة المناعة والقوة وأبراجها الخمسون على نفس الدرجة من التحصين والمتانة اما في داخل القلعة فيوجد جامع بني في عهد السلطان بايزيد وهو مشيد على الطراز القديم جداَ وسقفه مغطى بأحجار القرميد وهو بالأصل كان معبدًا والجدران الخارجية للمحراب من الأربع زوايا من المرمر كتب عليها "عمر هذا الجامع الشريف السلطان بايزيد بن محمد خان خلد الله ملكه سنه ٨٤٣ه (١٤٨٤)" وللجامع منارة سقطت على إثر زلال عظيم ولكن تم تعميرها من جديد بأموال من الوقف وكتب على أساسها المرتفع قدر قامة إنسان بخط جلي " عمر هذا الجامع بقلعة الكرج صاحب الخيرات والحسنات خديجة خاتون بنت مراد خان سنه سبع والف من الهجرة" ١٠٠٧ه/١٥٩٨م) ويوجد بالقلعة من الداخل عدد مئتي من حوانيت ومنازل ذوي أسقف مغطاة بالقراميد وبالرمال، وعشر حوانيت أخرى صغيرة

وكانت القلعة مغلقة من قبل دزدار القلعة، فلم يدخلها الخان ثم اتجهنا ناحية الشرق إلى

نزل كنيسة بورني(١):

في هذه المناطق جميع السفن مؤمنة بشكل تام لإحاطتها بالعسكر، والحوانيت على طول المضيق بالبحر الأسود مسافة ثمان عشر ميل وعلى مد البصر توجد السفن وأمام هذه النزل توجد جزيرة شاهي

وخمسون مخزنًا تحت الأرض وحمام وكنيسة قديم للكفرة تسمى كنيسة جنوز فرنكى.. والمدينة ماءها وطقسها شديدا البرودة ولذا تقل البساتين والحدائق والمدينة تشتهر بالأسماك والبوظة التترية وفي غرب المدينة توجد الكثير من التلال المتراصة هي مدافن للملوك والبعض يقول أن بها دفائن وأشياء قيمة ومن الجانب الشرقي للقلعة باتجاه الشمال مسير أربع ساعات توجد (قريه جركس) قرية جركس التابعة لخانات التتار وهي قرية عامرة وشرق هذه القرية مسير الساعة تقع (قلعه ويران كلسه جك) قلعة الكنيسة المهدمة.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (اوصاف قلعه شيرين كرج، كرج قلعه سى) ص: ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦.

(١) منزل كلسه جك بورنى: ولقد تحدث عنها أوليا في موضع آخر فقال: "... كانت بزمن الكفار في غاية المناعة والاستحكام، وعندما سقطت قلعة كرج في أيدي العثمانيين قام القزاق بهدمها وتخريبها وفي الماضي كانت أيضًا غير عامرة، أما المضيق فليس به تهدم، هو يربط بين بحر آزاق والبحر الأسود وتوجد مقابل المضيق جزيرة طمان، ولذا أطلقت عليها (قلعة الكنيسة المهدمة) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع (قلعه ويران كلسه جك) ص: ٦٨٧

أوصاف قلعة طمان دار الأمان العتيقة (١):

يوجد بدفتر الخاقانيه[٢] أن جزيرة شاهي مساحتها سبع وستون ميل، وتقع على مضيق[٣] ضيق بالبحر الأسود الذي يحيطها من أطرافها الثلاثة ومن ناحية القبلة توجد سهول هيهات[٤] الچركسية التي يمر منها نهر قوبان وهو على شكل مسدس، والجزيرة جميلة ورائعة والناس فيها يغمرهم السعادة والسرور، ويوجد فيها ثمانين قرية چركسية وعندما مرَ محمد گراى خان من هذه المنطقة كان سيسقط في أيدي جنود التتار ولكنه استطاع أن ينجو ويهرب من أيديهم، والتجأ إلى قلعة طمان واستقر بها.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٦٩٨

(٢) **دفتر خاقان:** Defter Hakan وهي بمعنى دفتر خانه Defter Hane، وهي الإدارة المنوط بها توثيق الملكيات، ومساحات الأملاك العامة والأراضي الزراعية

Ferit Devellioğ lu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at ،(a.g.e)

(٣) **المضيق**: هو عبارة عن ممر مائي ضيق يفصل بين مسطحين مائين كبيرين، والمضيق الذي يفصل بين شبه جزيرة القرم وروسيا في البحر الأسود يُسمى الآن مضيق كيرش، ومضيق منيتش هو القناة البحرية بين بحر القزوين وبحر آزوف

(٤) **هيهات صحراسى**: هيهات سهل كبير يبلغ طوله من الشرق إلى الغرب مسافة ٩٧ قوناق ويقع بحر الخزر ناحية الشرق وناحية الغرب قالبور يطلق عليها المؤرخين العجم اسم "دشت قبجاق" والسهل ملاصق لولاية موسكو عبر طريق مستوٍ يتصل من خلاله بولايات الصين وفغفور والماجين والقوزاق وفي براري هيهات تجد أناس من آكلي لحوم البشر والغول والمخلوقات الغريبة والخيول البرية والإبل والآلاف من الحشرات والمخلوقات وإن شاء الله إذا سنحت لنا الفرصة سنكتب عن ذلك.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (قوب قيو واديسى، صارقامش ص: ٥٠٣، ٥٠٤).

وصف قلعة طمان:

فتح قلعة طمان گدك أحمد باشا في عهد السلطان بايزيد[1] والذي استولى عليها من البيزنطيين وبهذه الجزيرة القرى بأحلى زينتها والمزارع جميلة المنظر، بها ثلاثة قلاع عامرة ولكن قلعة طمان جميعها عامرة

---

(١) **السلطان بايزيد الأول:** بن مراد الأول بن أورخان غازي بن عثمان بن أرطغرل، (ولد عام١٣٦٠ وتوفي ٨ مارس ١٤٠٣، رابع سلاطين الدولة العثمانية حكم بين عام ١٣٨٩ و ١٤٠٣؛ أي ثلاث وعشر سنوات اعتلى العرش بعد مقتل أبيه السلطان مراد الأول، ومباشرة قضى على أخيه يعقوب خنقًا ليمنعه من القيام بانقلاب عليه. لقب باسم يلدرم أي الصاعقة باللغة التركية نظرًا لحركته السريعة بجيوشه وتنقله بين عدة جهات بمنتهى السرعة وخلفه أبنه السلطان محمد الأول جلبي، ومما يذكر أنه في عهده فتحت عدة قلاع بالقرم والواقعغة على ساحل البحر الأسود مثل قلعة كرج وقلعة تمرك. انظر:

Osmanlilar Albümü: Birinci Kitap، hazirlayan، abdülkadir dedoğ lu، Osmanli yayinevi

وهي تعد سنجقًا من ولاية كفه[1] وتدفع ساليانه[2] ٣٢٠ ألف أقچه، كما يؤخذ من أصحاب المناصب ١٥٠ أقچه وبخلاف ذلك ليس لولاية كفه حق في أي منافع منها أو زعامة عليها(فوي فودالق)[3].

---

(١) **ولاية كفه:** قال أوليا يوجد بولاية كفه سبعة أقضية وهم الطاط، بالقلوا، صوداق، منكوب، كرش أو كرج، طمان، تمرك وإذا تم إضافة الآزاق تصبح ثمان أقضية.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (كفه ايالتنده اولان قضالرى عيان ايدر) ص: ٧٧٠.

(٢) **ساليان/ساليانه:** يطلق هذا اللفظ على الرواتب السنوية المخصصة للولاة وأمراء السناجق وأفراد البحرية في الدولة العثمانية قبل عهد التنظيمات، وقد يطلق على الضرائب التي تحصلها الدولة من بعض ولاياتها مرة واحدة في العام على سبيل الإقطاع وبعد دفع رواتب موظفي الولاية يرسل المبلغ المتبقي إلى الإدارة المركزية في استانبول. انظر سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرازق محمد بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م، ص: ١١٣.

Ferit Devellioğ lu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at ،S.٦٣٢

(٣) **فوي فودالق**- Voyvodalik: يكشف لنا الحكم العثماني عن أحد الأنماط المتبعة من قبل العثمانيين مع بعض الأقاليم التي تعد ضمن النفوذ العثماني، إذ تكون السلطة في هذه الأقاليم ثنائية بين الحكام المحليين والسلاطين العثمانيين، فالحرمان الشريفان لا يتبعان المركز بصفة مباشرة عن طريق نظام الإيالة؛ بل كانا عبارة عن إمارة يحكمها الأشراف، أما إمارات الدانوب والأفلاق والبغدان فقد كانت تحكم بنظام مشابه وتسمى فوي فودالقVoyvodalik، ويتم انتخاب حكامها من العائلات النصرانية المحلية التي يثق بها الأهالي، وقد ذكر أوليا أن جزيرة طمان تحكم بهذه النمطية

Yilmaz Őztuna: Devletl ve hanedanlar (١٠٧٤-١٩٩٠) kultur bakanliğ i yayinlari ٢. cilt، S. ٥٣٤.

والقلعة تطل علي ثلاث جهات (...) وناحية (...) وقلعة طمان مشـيدة على أرض رملية على الطراز القديم، ذات شكل خماسي.

والقلعة لها طله رائعة فقد شيدت على منحدر رملي على ساحل البحر الأسود بأحجار القراميد القديم، والمساحة الكلية لتلك القلعة الصغيرة ستمائة قدم وفي أعلى محيط أطرافها يوجد عشر أبراج وتلك الأبراج مغطاة أيضًا بأحجارٍ من القرميد والخشب، ما عدا أحد الأبراج سقفه مكشوف.

وبأعلى جانب من الناحية الغربية للقلعة يوجد برج ضـــخم في إحدى أركانة مستودع للذخيرة والسـلاح، ولا يوجد بالداخل منازل، ولكن أبراج صمم لها فتحات لتطل على الميناء ولكي تخرج منها فوهات المدافع الطويلة والنحيفة.

شكل القلعة الخارجي(١):

من الناحية الغربية للقلعة يوجد بوابتين صـــغيرتين من الحديد بوابة وخلفها بوابة أخرى لأن بهذه القلعة جدارين لذا توجب عمل بابان من الحديد ومن أمامهم يوجد خندق وحوله جسور خشبية مُعلقة وفي الطرف الأخر من تلك الجسور يوجد السياج الخارجي للقلعة ويتم الدخول والخروج من تلك البوابات عبر طرق ضيقة جدًا من داخل المدينة.

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٦٩٩.

ومن ناحية الشمال للقلعة توجد بوابة أخرى قوية تسيطر على الحركة والمرور إلى داخل القلعة، وعندها أيضًا ترسو السفن؛ لأن هذا الطرف مؤمن تمامًا من العواصف والرياح، كما يوجد بداخل القلعة عند تلك البوابة بئر به ماءُ الحياة كل من في القلعة يذهب إليه للسقاية ودفع العطش، وعند هذا الباب في الجهة الداخلية للقلعة توجد أماكن للجلوس بجانب الأسوار، وفي هذا المنطقة يوجد عشرون مدفعًا فوهاتهم مصوبة إلى الأسفل.

وصف القلعة من الأسفل:

يوجد بها خندق آخر ومن ناحية الغرب للقلعة باب من الحديد وثلاث منازل صغيرة في الداخل كأنها قلاع ويوجد باب للميناء على ساحل البحر موجود منذ أيام الكفار لكن هذا الباب مغلق الآن، وعلى جانبيه أسدان مٌصنعان من المرمر(١) الأبيض كما يوجد بها ثلاثة أبراج كبيرة من الداخل.

عمارة القلعة من الداخل:

القلعة بها مسجد على الطراز القديم وسقفه مٌغطى بالرمال يطلق عليه مسجد قاسم باشا، ولهذا المسجد الصغير منارة مصنعة من الخشب

---

(١) **المرمر**: يتكون المرمر على شكل أوردة تظهر في نتوءات على سطح الأرض أو في باطنها وهو نوع من الرخام شديد الصلابة ويجمع المرمر بين الخصائص الشفافة للزجاج والبنية الطبيعية للأحجار، ومن خصائصه أنه يسمح بمورو الضوء. انظر: الموسوعة العربية الميسرة، مرجع سابق، ج٥، ص: ٢٠١٢٦.

مشـغولة بشـكل رائع وبه عمودان طويلان من المرمر الأبيض شـديدا اللمعان والبريق تشعر كأنهما خرجا للتو من يد الجلايين، وجدران القبلة من الجهات الأربع مصـنعة أيضًـا من المرمر وكتب عليها بالخط العربي (بنى هذا الجامع حاجى كراي خان) « لكنهم يطلقون عليه جامع «قاسـم باشـا »، وأمام باب هذا الجامع يوجد حمام قاسـم باشـا كما يوجد حمام آخر كثيف البخار[1]، ويطلق على هذه المنطقة والمنازل « قاسـم باشـا » وهذه المنطقة جملة ما بها من منازل ذات الطوابق، والمسـقوفة بالرمال عدد مئتي منزل، وجملة ما بها من حوانيت خمسون حانوتًا وكذلك يوجد بها محكمة على شرع رسول الله، وجملة الأزقة بها ضيقة جدًا ولا يوجد بها أرصفة ومن درجة هذا الضـيق السيارة لا تمر من هذه الشـوارع، ولو تصـادف مرور اثنان يمتطيان خيلهما لا يستطيعا المرور ولا الرجوع،

---

(١) **أنواع الحمامات:** ١- حمام حار hammam I harr- درجة حرارته من موجب ٣٧/٢٥.

٢- حمام معتدل hammam I mutedil- ودرجة حرارته من موجب ٢٥/١٨.

٣- حمام تنوري رطب hammam tennuri ratib- التسخين يكون على بخار الماء ودرجة حرارته من ٤٥/٤٠

٤- حمام تنوري جاف hammam tennuri yabis- وحرارته من ٥٠/٣٧.

٥- حمام مارى hammam mari – حمام مع البانيو

Ferit Devellioglu، Osmanlica-Turce Ansiklopedik Lugat، (a.g.e)

ولأجل هذا لا يمكن الدخول إلى القلعة بالخيل لأن أبوابها ضـــيقة جدًا. وفي القلعة توجد مدرسة(١)، وتكية، ومكتبان(٢) ولا يوجد غير ذلك من منافع.

صفات القلعة وأشكالها من الخارج(٣):

وفي خـارج قلعة طمان من الناحية الغربية توجد بحيرة بها بئر ماء عذبة، ولكن مياه هذه البحيرة لا يســتخدمونها في الشــرب، وعلى غرب البحيرة منازل مسقوفة بالرمال وهي منازل ذات طابق واحد وكلها مفروشة ويســتخدم ماء البحيرة لخدمة المنازل وســقاية الدواب وغســل الملابس والاغتسال، ولكن لا يستخدم ماءها للشرب

---

(١) مدرسة (medrese) كانت في الماضي مكان لتعليم المواد الشرعية، وتوجد مدرسة الأئمة والخطباء التي أنشــئت عام ١٩١٣ وكذلك مدرســة الخطاطين أنشــئت عام ١٩١٤ ومدرســة القضاة ومدرسة الإرشاد لتخريج الأئمة والخطباء.

Ferit Devellioglu، Osmanlica-Turce Ansiklopedik Lugat ،(a.g.e)

(٢) أنواع المكاتب: مكتب (Mekteb) يعني: ١- مدرسة ٢- مكتب ابتدائى ekteb-I ibtidai أي مدرسة ابتدائية ٣- مكتب رشدى (mekteb-I rusdi) المدرسة الإعدادية ٤- مكتب اعدادي (mekteb-I dadi) المدرسة الثانوية ٥- مكتب خصوصى (mekteb-I hsusi) المدرسة الخاصة ٦- مكتب ليلي (mekteb- I leyli) مدرسة داخلية ٧- مكتب صبيان (mekteb-I sibyan) مدرسة ابتدائية "الصف الأول" ٨- مكتب عثماني (mekteb-I Osmani) لتحصيل العلوم العسكرية.

Ferit Devellioğ lu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüçğ at،S.٥٦٢

(٣) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠٠.

وعند هطول الأمطار تتجمع المياه في تلك البحيرة لمساحة ميل ووسط تلك البحيرة توجد صخور حادة ومسننة وعلى غرب البحيرة أيضًا هناك جامع يُسمى حاجي فرهاد ذو منارة بيضاء واتجهنا إلى ناحية الشرق.

أسواق الكفار في **القاروش:**

هذا السوق مزين وفيه جامع ذو منارة مستوية وسقفه مغطى بالرمال وهذا السوق به أناس كثيرين ومزدحم على الدوام بسبب تجار الزيوت والجامع يُطلق عليه جامع حاجى أغا[1] وجملة عدد الحوانيت بهذا السوق تماما مائة وخمسين حانوت وأكثر القاطنين فيه من كفرة الطاط والرومان والأرمن، وفي أطراف هذا السوق بحيرة عندها اثنان من المساكن العشوائية ولكن لا يوجد عندها سياج أو خنادق وما شابه ذلك.

---

(١) **أغا**: كلمة تركية من المصدر "آغمق" بمعنى الصعود أو الارتفاع، وتطلق في التركية على الرئيس والقائد وشيخ القبيلة، وعلى الخادم الخصي الذي يؤذن له بدخول غرف النساء، والمقصود بالأغوات هنا هم قادة الفرق العسكرية. راجع: أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٦، ص: ١٧.

والخلاصـــة: أن قلعة طمان يوجد في داخلها وخارجها عدد تســـع محاريب خمســـة منهم جوامع تقام فيهم صـــلاة الجمعة والأربع الآخرون مساجد، وإجمالي المنازل المسقوفة من الرمال ألف ومائة، وثلاثة مدارس وعدد سبع مكاتب،

وثلاثة تكايا وحمامان كل هذا موجود بالقلعة بالإضافة إلى دور ضيافة صغيرة للمسافرين تُسمى حسب اللغة التتارية أو الاصطلاح التتري لتلك الأبنية (كشكنكلر)،

ولا يوجد مفتي ولا نقيب للأشــراف [1] بها؛ بل يوجد محافظ للقلعة، و٣٠٠ جندي يحيطون بها، كما يوجد المحتسب[2]،

---

(١) **نقيب الأشراف والسادات**: لقب ومنصب عرفته الحضارة الإسلامية ويطلق على المتولي لأمور المنتسبين إلى آل بيت رسول الله من السادات، والأشراف، والتثبت من نسبهم ويقوم على سجلاتهم وتوزيع حصصهم من الغنائم، وقد كان بمثابة الوصي على المنتسبين إلى آل البيت، ويثبت مواليدهم ويسقط وفياهم ورث هذا المنصب العثمانيون من المماليك وأصبح من المناصب الرفيعة في الدولة العثمانية ومكانه في التشريفات بعد السلطان ثم أخذ بهذا النظام منذ عهد بايزيد (٧٦٢: ٨٠٦هـ ١٣٦٠: ١٤٠٣م) ومنذ عهد بايزيد الثاني (٨١٥: ٩١٨هـ/١٤٤٧: ١٥١٢م) صار يعين وكيلاً للنقيب في الولايات والمقاطعات الأخرى ويطلق عليه وكيل نقيب الأشراف وقد كان نقيب الأشراف هو الذي يقلد السلطان سيف السلطنة ويقوم بمراسم تتويجه في الاحتفال الذي كان يقام في مسجد أبي أيوب الأنصاري وإعلان السلطان الجديد وهو الذي كان يقوم بالدعاء للسلطان في المناسبات الدينية وغيرها.

وأول من عُين في هذا المنصب هو العالم البغدادي الشهير سيد علي نطاع بن محمد وكان تلميذًا للأمير البخاري وتولى إلى جانب النظارة على الأشراف وعقب هزيمة العثمانيين على يد تيمورلنك وتشتت الدولة العثمانية تم حبس سيد علي نطاع فترة ثم أطلق سراحه فذهب إلى الحجاز ثم عاد إلى بورصة في زمن السلطان مراد الثاني (٨٢٤: ٨٥٥ ـ ١٤٢١: ١٤٥١).

Ferit Devellioğ lu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at ،Aydin Kitab Evi Yayinlari، Ikinci Baski، Ankara (١٩٩٣)،S.٤٩٨

(٢) **محتسب (muhtesib)** ١- الموظف القائم بأعمال الشئون البلدية ٢- رجل الشرطة وموظف البلدية معًا موظف الانضباط Ferit ،Osmanlica-Türkçe Ansiklopedik Lüğ at Devellioğ lu

والأمين، وباجدارى[1]، وانكشـاري، وسـردار Serdar[2] والكتخدا[3] هو الحاكم، ولا توجد أرصـفة بالطرقات العامة، والحدائق والبسـاتين لا وجود لها في الجزيرة ولا المدينة، والسـبب هو أن المناخ في غاية البرودة والماء مر جدًا غير عذب والجميع يلجأ للآبار من أجل مياه الشرب،

(١) **باجدار/ باجبان / باجكير**: bacdar/bacban/bacgir وهو القائم على تحصيل الضرائب

Ferit Devellioğ lu‹Osmanlica-Türkçe Ansiklopedik Lüğ at ‹(A.G.E)

(٢) **سردار**: سر عسكر- مصطلح عسكري يعني رئيس الجيش القائد الأعلى للجيش(başkomutan) وتلقب قائد الجيش بهذا اللقب بعد إلغاء الانكشارية وإذا عينه الصدر الأعظم كان يُسمى"سردار أكرم" وكثيرا ما كان الصدر الأعظم يجمع بين اللقبين إذا ما قاد الجيش بنفسه وكان يطلق عليه آنذاك "وزيرى آعظم وسردار اكرم" انظر محمد ذكى بالقين، عثمانلى تاريخ ديملرى وتريملرى، سوزلكى، استانبول، ١٩٧١م.

Mustafa Nihat ‹Büyük Osmanlîca-Türkçe Sözlük Ak kitabevleri

(٣) **كتخدا**: **kethüda** كلمة فارسية الأصل (كدخدا) بمعنى صاحب المنزل، وكانت ترسم في العثمانية (كخيا) وكيل معتمد لقب كان يطلق على من يقوم مقام الأغنياء أو رجالات الدولة، وبعد ذلك أصبح لقبًا إداريًا يطلق على معاوني الصدر الأعظم وكانوا بالبداية رجالاً خاصين للصدر الأعظم ثم أصبحوا من موظفي الدولة ومن يترقى منهم، أو يقدم خدمات جليلة للدولة كان يطلق عليه كتخدا بك، وفي عهد السلطان أحمد الثالث أصبح معاونا للصدر الأعظم في الأمور الداخلية، ومن هنا أصبح له كتبته وقلمه الخاص به. أما عسكريًا فقد كان يطلق على كل ضباط الانكشارية، وكان أحيانًا يسمى كتخدا القول أو كتخدا العسكر وكان يعهد إليه بمعاونة أغا الانكشارية وفي بعض العصور زاد نفوذهم حتى غطى على نفوذ آغا المعسكر. انظر: محمد ذكى بك الين، مرجع سابق.

ومن الأشياء الجميلة في طمان هو معجنات طمان «تتارجه»، و»بوره كى»، و»صارى ياغى»، و»تره ياغى» و«طوقماق قايشى» و«تاتار قامچسى»، وكلها أكلات مشهورة.

وأنا العزيز صاحب المال والحظوة تركت هذا لأجل التفرغ للتجوال والسياحة والتعرف على العالم، ومن أجل تجميع الجنود للخان وأقمنا عدة أيام في طمان وكنا نخرج للنزهة والتجول وبعد خروجنا من جزيرة طمان سرنا في اتجاه الشرق بمقدار الخمس ساعات داخل الجزيرة.

«منزل شولومقاى صله سى

منازل قرية شولومقاى(١):

قرية شولومقاى يُطلق عليها قرية جان أرسلان باشا، وهي أيضًا موجودة على ضفاف إحدى البحيرات، ومن هناك مسير خمس ساعات مررنا بالعديد من البحيرات المُرة والشواطئ الرملية.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠١.

قرية رمضان بك:

قرية رمضــان بك يجلس بها هو وابنه الأكبر مصـطفى بك ولقد بنيت على ضـفاف بحيرة قريبة من البحر الأسـود وهي قرية عامرة تجولنا فيها، وأكلنا هناك الطور شــو (مخللات) من البطيخ والشــمام وهو طعام ليس مشهور بهذه القرية لكنه من أطعمة جزيرة طمان، ومن هناك مررت ببعض القرى فيها الناس ســعداء، ونحن في هذه القرية نزلنا على مزرعة لابن عثمان باشـا الطمانلي وتقع بجوارها بحيرة كأنها سـلطنة مسـتقلة، وبالقرب من هناك يوجد مضيق آدا خون وتوجد:

قرية شان مرد:

وهي أيضـا قرية جركسـية في جزيرة شـاهي ومن هناك مسـير الخمس سـاعات ناحية الشـرق إلى مضـيق آداخون مررنا بمحلة « دل بورنى « الواقعة بين مضيق آداخون وبحر آزاق.

«اوصاف دار بربر زمين يعنى تمرك كرمان جاى امين

وصف دار البربر يعني قلعة تمرك كرمان(١):

في عام ٩٢١ه (١٥١٥م) شـيد السـلطان سـليم الأول هذه القلعة، وكان للسـلطان سـليمان (Süleymen Han) نصـيب في تتمة بنائها، وهي تابعة لولاية كفه ويُحصـل منها ١٥٠ آقچه، ويوجد بهذه القلعة محافظ ومئتي جندي، ولكن ليس بها رئيس جند الانكشـارية ولا كتخدا وقد كُتب على إطار الباب الموجود بالناحية الشمالية:

«امر ايدر سلطان سليمان جهان   يابمغه تمركده بر دار الامان

پس طقوزيوزيكرمى بش تاريخى تمام قلعه ياپلانوب تمام اولدى

تمام سنه ٩٢٥ /١٥٢٠م.

المعنى:

بأمر من السـلطان سـليمان ملك الدنيا   بنيت قلعة تمرك لتكون دار الأمان

وكان عام خمس وتسعمائة وعشرون   تاريخ تمام بناء القلعة

ومن ناحية الشرق يوجد باب صغير كُتب على جداره المرمري الأبيض بخط جلي «عمره السلطان مراد بن سليم خان الثاني عمل حاجى على أغا دزدار زمانه سنه ٩٨٣/ ١٥٧٤م.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠١.

يوجد بعد هذا الباب باب آخر صــغير مفتوح ليس بإمكان أي ســيارة الدخول والخروج منه، وباب كبير موجود من ناحية الغرب دائمًا مفتوح، وهو ذو طبقتين من الحديد الصلب القوي وفيما بين هذان البابان يوجد تاريخ الصنع بعهد السلطان سليم خان الأول(١).

---

(١) **السلطان الغازي سليم الأوّل القاطع** (بالتركية العثمانية: غازى ياوز سلطان سليم خان أول؛ هو تاسع سلاطين الدولة العثمانية وخليفة المسلمين الرابع والسبعين، وأوّل من حمل لقب "أمير المؤمنين" من آل عثمان. حكم الدولة العثمانية من سنة ١٥١٢ حتى سنة٩٢٦ه/١٥٢٠ يُلقب "بالقاطع" أو "الشجاع" عند الأتراك نظرًا لشجاعته وتصميمه في ساحة المعركة، ويُعرف في الغرب بأسماء سلبية، فعند الإنگليز مثلا سمي "سليم العابس" نظرًا لما يقوله بعض المؤرخين بأنه كان دائمًا متجهم الوجه وصل سليم إلى تخت السلطنة بعد تمرد قام به على والده، "بايزيد الثاني"، بدعم من الإنكشارية وخان القرم، ونجح بمؤازرتهم بمطاردة إخوته وأبنائهم والقضاء عليهم الواحد تلو الآخر، حتى لم يبق له منازع في الحكم.انظر الدراسة ص: ٢٠٦.

كان السلطان سليم محبًا للأدب والشعر والتاريخ، ورغم قسوته فإنه كان يميل إلى صحبة رجال العلم، وكان يصطحب المؤرخين والشعراء إلى ميدان القتال ليسجلوا تطورات المعارك وينشدوا القصائد التي تحكي أمجاد الماضي، وفي هذا انعكاس لشخصيته، حيث وصفه عدد من معاصريه أنه "بطل ملحميّ، كان سليم أيضًا شاعرًا متميزًا يتقن اللغات التركية والفارسية والعربية توفي في يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٠م، الموافق في ٩ شوّال سنة ٩٢٦ه، في السنة التاسعة لحكمه وحوالي الخمسين من عمره. انظر: تاريخ الدولة العليّة العثمانية، تأليف: الأستاذ محمد فريد بك المحامي، تحقيق: الدكتور إحسان حقي، دار النفائس، ط.١٠، ١٤٢٧ه - ٢٠٠٦ م، ص: ١٨٦ وما بعدها، والدولة العثمانية عوامل النهوض والسقوط. للدكتور علي الصلابي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٥، ص: ٢٠٠.

ولكن لم أكتب التاريخ لعدم استطاعتي القراءة من شـدة الظلام ويوجد عند الباب جامع سليم خان الأول بدون منارة وهو مُغطى بأحجار القراميد، والقلعة مشـيدة على أرض رملية على شـكل مربع وسـقفها من القراميد وجدرانها ذات قوة وصـلابة، ومسـاحة القلعة ٤٠٠ قدم، وكل ركن من أركانها يوجد به برج، وكل برجٍ عليه قبة مغطاة بالخشـب، ولكن ليس بأطرافه أو أنحائه خندق، وليس من الممكن حفر خنادق لأنها منخفضـة ورملية، ولو حُفر مقدار شـبرٍ واحدٍ تخرج المياه، وفي الداخل من القلعة يوجد عدد مئة من المنازل المبنية أسقفها مغطاة بالرمال، ومن ناحية اتجاه القبلة (الجنوب) يقع نهر قوبان، ومن الاتجاه الشـرقي لنهر قوبان توجد بحيرة كبيرة مياهها في منتهى اللذة، وقبل ذلك كانت السـفن القادمة من اسلامبول ترسو عند ميناء تمرك لعمق الماء بها، وهذا الميناء يقيم به أمين جمرك؛ لأن به مئات السفن المحملة بالسمك المملح، وسفن أخرى محملة بآلاف البراميل من الكافيار، وتشتغل بالتجارة والبيع من بلدٍ لبلد، والعائدات المُسـجلة من السـفن الذاهبة والقادمة للمضـيق تقدر بخمسـين حملاً من الأقچاوات، ولو قام الأسطول العثماني بعمل بعض من هذه التجارة في تلك المنطقة وفتح مضيق يلشكه – يلشكه

لحصـل على عائدات سـنوية مثل التي تأتي من خزينة مصـر، وأمام باب القلعة يوجد ميدان كبير به عدد سـتون حانوت مختلفي الحجم، فمنها الصـغير والمتوسط في جميع أنحاء الميدان، وأمام باب القلعة الرئيس يوجد فندق وحمام كثيف البخار؛ عمل لأجل رجل يُدعى الشـيخ عزيز والحمام لا يسع سوى شخصين، كما يوجد في الميدان عدد خمس محاريب وهم جامع امير بك وجامع محمود بك والجامع الجديد والاثنان الآخران مسـجدان، و يوجد حمام بالقرب من خان أمير أفندي بالإضـافة إلى حمام آخر صـغير وجديد خاص بدخول السـيدات، والمنازل في هذا الفاروش من أولها إلى آخرها أسقفها مُغطاة بالرمال، وعموم جدرانها من أعواد القصب ومن القش (سجع لأوليا).

وجمله يديوز اولردر وجمله ديوار لرى صـازلردن اوروليدر كرچه اولر طاردر اما هواسـى يازدر واكثريا خلقى بياضـدر اما گوزللرى آزدر وجانب اربعه سى قومسالدر.

والمعنى:

عدد المنازل سبعمائة وجدرانها مغطاة بأعواد من القصب والخوص، ومناخها صيف، وعموم الناس بيض، وجمالها قليل، وجوانبها الأربع تحيطها الرمال.

والسكان من الچراكسة المسلمين، ويعملون في صيد الأسماك، وصناعة الأحزمة، والسيور، والسياط الجركسية، والحقيقة أن الفتيان بها قليلو الجمال؛ لكنهم يملكون البراعة والمهارة، كما هو حالهم في ولايات قازان[1]

....

---

(١) **ولاية قازان:** لا زالت تعرف بمدينة جنكيز خان برغم من الملوك الكثر الذين تولوها، وحاليًا ومع الأسف تتبع مملكة موسكو ومدينة قازان بها ما مقداره عدد الألف من الدور والمساجد والتكايا والمدارس والحمامات والأسواق المغطاة بكل ركن من أركان المدينة وهذه العمائر والبنايات تخطف الأنظار وكل هذا تم إغلاقه، وحاليا بها عدد ٣٠٠٠ منزل أسقفها مغطاة بالخوص وبها عدد ٢٠ كنيسة وعدد سبعة مساجد لأجل المسلمون الكثر من أقوام النوغاي والهشدك كما أن بها عدد ستمائة حانوت لكن ليس بها الحدائق والبساتين بسبب ما يدعو بعصابات المزارع وجميع الكفرة بها يشربون الخمور مثل الراقي و(...) و(...) لكن الهشدك لايشربون سوى المقسيمة والبوظة ويأكلون لحوم الخيل ولاية قازان بها الماء عذب والهواء عليل والسكان فتيان وفتيات آية في الحسن والجمال، وجميعهم يعتمر القلنسوات على رؤوسهم حتى أن نساء قوم الهشدك (المسلمات) يتجولن كاشفي الوجوه مثل نساء النصارى، وذكر اوليا سبب تسمية قازان بهذا الاسم لأن في وسط مدينة تبريز بولاية اذربيجان يوجد مزار ضخم – لمحمد شام جازان–وحرف الاسم وصار قازان. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (دربيان عمارت ولايت قازان دار غازيان) ص: ٨٢٥

والاطر[1]، ....

(١) **ولاية الاطر:** تحدث أوليا عن هذه المدينة فقال... حسب أقوال المؤرخين التتار أن أول من قام بتشييد هذه المدينة بعد الطوفان (ايرج شاه بن فريدون) وبعده جنكيز خان الذي قام بإعمارها وجعلها عاصمة له إلا أن جاء هلاكو وخرب المدينة ثم جاء "الاطرخان بن قولب خان" وقام بإعمارها وجاء من بعده طوخطمش وجعلها مقرًا للعرش وبعد هزيمته من تيمور لنك دمرت المدينة تمامًا، فاستولى عليها ملك موسكو وقام بالإعمار فيها والمدينة تحكم بعشرة آلاف من الجند نصفهم من أقوام الموجيق القازاق والنصف الآخر من الهشدك، وأقيمت بينهم وبين أقوام القالمق التترية معاهدة صلح أو سلام وهم يدخلون المدينة للبيع والتسوق والمدينة تبعد عن نهر اتيل " نهر الفولجا أكبر أنهار اوروبا" مسافة مرحلة واحدة وهذه الديار شديدة الشتاء وأهلها يرتدون الثياب الثقيلة أو الفراء، والمدينة عندما كانت تحت الحكم الإسلامي فإن الألسنة تعجز عن وصف المساجد بها فلكل جامع بالمدينة تفرده وجماله في تنوع الألوان والتصميم والزجاج المُركب والمنارات يعجز اللسان وتنكسر الأقلام عند الوصف، حتى أن الحقير وقف أمام أبواب أحد الجوامع وتسمرت منبهرا مئات الآلاف من الأحجار التي يتلألأ وميضها في أرجاء المكان، وجامع الاطرخان لا يوجد دار عبادة في الدنيا بلطافته وظرافته، خلاصة الكلام ليس بمقدوري وصف الخصائص البديعة للجوامع والمساجد والمدارس المقامة في مدين الاطر اما الحكم لله في تلك الجوامع العامرة بأن تأول إلى الكفرة (يقصد الروس)، فالجوامع يبلغ عددها سبعة وسبعون جامع تقام بها المراسم المسيحية الباطلة وعطلت المنارات والمحاريب تماما، كما يوجد بداخل المدينة ستة آلاف دار شأم ونحس مغطاة بأعواد الخوص وعدد ستمائة خان "حانوت" وعدد سبع دور للضيافة، وثلاثة حمامات وعدد سبع مساجد خاصة لأقوام الهشدك، ومن المعلوم أن إقامة الآذان ممنوعة في تلك المساجد ولكن مسموح بإقامة صلوات الجماعة.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (در فصل ولايت جنقيز خان بطر يعنى شهر صاحب قران الاطر) ص: ٨٢٧، ٨٢٨.

وازدرخان[1]..

(١) **ولاية ازدرخان:** تحدث عنها أوليا فقال: "…. حاليًا هي تابعة لحكم مملكة موسكو وتقع على ساحل نهر اتل وبمدينة أزدرخان توجد أقوام الهشدك وهم رجال مؤمنون وموحدون بالله لهم مساجدهم يقيمون بها صلواتهم ولكن لا تقام بها صلاة الجمعة وهم أقوام مسلمة بغاية التعصب،...... وأقوام الهشدك لا تعرف اللغة التركية ولا تعرف اللغة التترية، وهم لا يقوموا بحلق لحاهم ابدًا ويوجد بينهم قضاة يقمون الشرع ويشتغلون به، ولديهم من الكتب التي ترجمت إلى اللسان الروسي وإلى لسان موسكو، ومن تلك الكتب كتاب عماد الإسلام وكتب في الفقه والفرائض، وأما سيداتهم فهم مثل سيدات تتر النوغاي سافرات الوجوه، وأقوام الهشدك منهم جنود وضباط في الجيش الروسي الكافر ويقدر عددهم ١٧ ألف جندي موجودون في ازدرخان تلك الولاية الكبيرة المزدحمة كثيرة الحركة، كما أنها ميناء كبير وهي قريبة من بلاد العجم وداغستان والجركس، كما أنها بلدة قديمة دفن بها الآلاف من أولياء الله الصالحين وكبار الصحابة ومدينة ازدرخان بها قلعة من الخارج تعطي شكل سداسي ومن الداخل مثلثة الشكل والقلعة من ثلاث طوابق مشيدة بأحجار ضخمة وقوية وبهذه الديار يطلقون على القلاع والحصون اسم "كرمن"، ومساحة القلعة محيطها ١٤٠٠٠ قدم، والقلعة من الداخل مثلثة الشكل وتبلغ المساحة الداخلية الفي قدم ويوجد بها بابان، وأطرافها من الشمال ومن الشرق نهر اديل ومن الناحية الغربية والجنوبية صحراء هيهات وتبعد جزيرة طمان مسافة ثمانون مرحلة، ويوجد وفي واجهتها جزيرة القرم مسافة سبعة وتسعون قوناق، كما أن القلعة من الداخل بها خمسة دور للراهبات، وعدد تسعة كنائس وعدد ١٠٥٠ خانة معمورة مغطاة بالخيزران والخوص ولضيق مساحة القلعة الداخلية لا توجد أسواق ولا مساحات للتسوق " واروش اشغى كرمن " والقلعة من الخارج تحوي ١٣ ألف منزل عامرة مغطاة كلها بالقصب وعدد ٤٠ كنيسة، وعدد ١٧ ديرًا وعدد ٧ مساجد أقيمت عندما لجأت أقوام الهشدك إلى موسكو من جحافل التتار وظلم هولاكو تسمى "محمد بخاري صالتق ياي" وبالقت الحالي يوجد بموسكو مليون ومئتي الف مسلم بحسب إحصائية الروس ويوجد في ولاية موسكو عدد ٧٧,٠٠٠٠ محراب (جامع ومسجد) لا يحتاجون إلى مدح، وقالوا أن ملك موسكو يأخذ خراجًا سنويًا على كل شخص قطعة ذهبية، فأقوام الهشدك في ولاية موسكو تدفع الخراج مثل الذي تدفعه رعايانا، أما الزعماء وأبناء السلاطين والأعيان يذهبون مع

ومدينة سراي[1].

ملك موسكو إلى الحرب بجيش قوامه ١٥٠ ألف جندي. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (ستايش عمارت شهر ازدرخان) و (اوصاف ولايت شامران يعنى قلعه قديم ازدرخان) ص: ٨١١، ٨١٢.

(١) تحدث اوليا عن مدينة سراى شهر وعن القاطنين بهذه المدينة فقال...هذا الحقير صال وجال في انحاء الدنيا وتوجد مدن كثيرة تحمل نفس الاسم "سراى" عددها(...) نذكر أولاً التي ببلاد الروملى بوسنه سراى، ويزا سراى، يانبولى سراى وبالأناضول "آق سراى، (...)، (...)، (...) وبأذربيجان توجد سراى شهرى (مدينة سراى) وأقوام الفرس والعجم يسمونها سراو والمغول ينطقونها بنفس الصوت لكن هذه المدينة سراى شهرى أيضا يسمونها جنكيز خان سراى حتى بعد مرور ملوك وسلاطين آخرين عليها وبعد ما دمر هلا كو هذه المدينة وخربها تماما وبعد موت تيمور خان بعد فترة جاء ملك موسكو واستغل الفرصة في عام (...) وقام بإعمار المدينة واستولى عليها ومنذ ذلك التاريخ المدينة تابعة لملك موسكو، وجاء التتار من المدن والبلاد المختلفة ومتفرقة من الصين والماجين وفغفور وحيطا وهوتن وماهان واستقروا في المدينة واتخذوها وطنا لهم وخرج منهم جنكيز خان وصار له مثل ما للإسكندري من مجد وصيت وأخذ يدك البلاد ويقوم بقتل وحرق شعوبها وأصبح التتار معلوم عنهم القسوة وعدم الرحمة وهذا ما تحدث عنه النبي في الحديث الشريف "إن لله جنودا بالمشرق اسمهم الترك ينتقم بهم ممن عصاه بكم فكم من حافيات حاسرات ستترحمن فلا يرحمن فإذا رأيتم ذلك فاستعدوا للقيامة"، والآن تمتلئ المدينة بأقوام التتار مع اختلاف أشكالهم وصنوفهم ودياناتهم فتجد أقوام الروس النصارى ذو الأصول التترية وأقوام الهشدك المسلمة والتتر النوغاى، وقبائل تترية كثيرة قاطنة بهذه الديار، وهذه الأقوام لا تفرق بين حلال وحرام فكل الأشياء مباح ذبحها أو طعنها وأكلها لكنهم لا يأكلون المخبوزات والشيء المحبب في أطعمتهم لحوم الخيل فمنهم من يأكله مطهوًا ومنهم من يسيل دمه ويمتصه نيئا، ولا يشربون الماء يستبدلونه بالبوظة ويشربون القميز لبن الخيل وألبان الإبل وذلك لكثرة الخيول والإبل لديهم هم في كل الأوقات يأكلون طعامهم باردًا أو بدون طهي وفي مدينة سراى التتريين لغاتهم ليست كبعضها البعض وهم بحاجة لوسيط مترجم فيما بين الأقوام المختلفة، ولا يوجد بين التتر القيل والقال والكذب والغيبة وما شابه تلك الآثام لأنهم لا يأتيهم

بناء القلعة وسبب التسمية(١):

أثناء الحرب الثانية للسلطان سليم عندما كان أميرًا ضد أبيه بايزيد بصحراء چورلو خرج هاربًا من مضيق اسكله بالسفينة إلى ولاية طرابزون حيث كان تهب رياح شديدة فنزل «الأمير سليم إلى ميناء تمرك وهناك تعرف بشخص يُدعى « تمرك باى» وصار صديقًا له وشخص آخر يدعى يوسف خليفة السلحدار وتجول ثلاثتهم في بلاد عديدة من « داغستان وبلخ وبخارا واوزبكستان وإيران وتوران وفي الأخير توجهوا إلى ولاية العجم عند «الشاه اسماعيل»، بعد ذلك توجه الأمير سليم إلى بغداد الرائعة وتوجه لزيارة الامام الحسين وبعده الإمام علي ومن هناك توجه إلى الأراضي الحجازبه وطاف بالكعبة الشريفة ثم توجه إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول ﷺ وهناك ناجى رسول الله، وقال: « يا رسول الله بكا تخت آل عثمانى ارزانى قيلوب مصر،

الخوف والخجل أو التردد وجميع ملل التتر تعيش في السهول والأراضي المنبسطة ويستخدمون الإبل في حلهم وترحالهم وهم بعد جنكيز خان قسم منهم صاروا مسلمين مؤمنون موحدون بالله ومنهم أ أقوام أخرى مسيحية مثل القازاق والبولنديون والروس والنمساويين.

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (اوصاف تخت كاه جنكيز خان باى يعنى شهر سواد عظيم سراى) ص: ٨١٤، ٨١٥

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠٣.

فتحن ميسر ايله مصرى بالجمله سا وقف ايده يم» (يا رسول الله لو كان لي نصيب وجلست على عرش آل عثمان وتيسر لي فتح مصر سأجعل كل خزائنها وقف إليكم)، وعند توجهه إلى الروضة المطهرة بصفاء قلب سمع صوت يخرج من الروضة المطهرة يقول: « دستور يا سليم سوى سوى» وعندما جاء الجد سليم إلى مصر زار أولياء الله الصالحين وابتدأ ب أبو السعود الخارجي ثم مرزوق كفافي وابراهيم كلشنى وكثير من أولاد وعيال الصالحين بعد ذلك توجه بمنتهى الحماسة

والقوة قطع منازل وطى مراحل إلى طرابزون، ثم أخذ طريقه عبر البحر إلى قلعة كفه،

ومن هناك حمل السفن بمائة ألف جندي تتري(

[1] ليس بينهم من هو رتبة عسكرية وذهب لمحاربة

---

(١) العلاقات القرمية العثمانية بدأت منذ وقت مبكر، واستمرت العلاقات الودية بين آل عثمان وآل كراي "الكرايلر" رغم ما تخللها من خلافات إلى ما بعد الاحتلال الروسي للقرم عام ١١٨٨ه /١٧٧٤م، ولتأكيد العلاقة بين الأسرتين زوج منكلي كراي ابنته بأحفاد محمد الفاتح وهما سليم بن بايزيد وأخيه محمد، ومما يدل على مكناة منكلي كراي لدى العثمانيين كان تعيين أمير كفه لا يتم إلا بعد موافقته، أما أكثر الأوقات حرجا في علاقات الأسرتين فقد كانت حين وقع التنافس بين أبناء السلطان بايزيد الثاني وذلك لتولي العرش من بعده، إذ استغل سليم وضعه كصهر للخان وإمارة ابنه على كفه وأصبح كثير التردد عليهما، ولما كان الخان على اطلاع بما يحدث فقد أدرك أن سليما كان يروم للدعم العسكري، ولكن موقف الخان قد تحرج عندما طلب منه صهره دعمه بخمسة عشر ألف من فرسان التتار، ولا شك أن هؤلاء سيكونون وسيلته في الوصول للحكم، وبالتالي فإن تقديم الدعم للأمير المتمرد سيظهر الخان بمظهر المتمرد على صديقه بايزيد، ومما زاد الأمر سوءً أن أحمد بن بايزيد أرسل إلى منكلي كراي يحذره من دعم سليم ووعده بإرسال وثيقة تضمن له كفه وتسع من الحصون تكون في حوزة الخان بشرط أن لا يسمح لسليم بالوصول إلى حدود الرومللي ولما كان القرميون وعلى رأسهم آل كراي يتوقون إلى استعادة كفه وغيرها من الحصون الهامة، فإن عرض أحمد بن بايزيد يعد فرصته لتوحيد القرم تحت حكمهم لكن سليم كان صهرًا للخان ولا يمكن التخلي عنه، أما الجانب الأهم فهو أن فرق الانكشارية كانت تؤيده ضد إخوته وهو ما يرجح وصوله إلى الحكم وسيكون من المجدي لمنكلي كراي وجود سلطان يدين له بحصله على العرش لكن محمد كراي نصح والده بالاستجابة إلى مطالب أحمد بن بايزيد وتسليم سليم للحصول على "كفه" واعترض الخان قائلاً لابنه: " لو كان هدفك الحصون فلن يمنعها عنك سليم فاطلبها منه وحتى يثبت الخان صحة ما ذكره دعا الأمراء وسليم إلى مأدبة وهنا استغل ابنه الوضع وطلب من سليم كفه والحصون التي عرضها أحمد بن بايزيد من قبل لكن سليم أجابه "إن الشاه يأخذ الأراضي ولكنه لا يمنحها لأحد" وبدافع من الاستياء وجه محمد كراي اللوم إلى والده وقال له إن أحمد بن بايزيد الذي يبعد عنا مسافة شهرين يرسل إلينا الوثائق بتملك الحصون بينما يمتنع عن ذلك سليم الذي في قبضتنا وإذا أصبح سلطانا فلن يتردد في الاستيلاء على ممتلكاتنا وفي الأخير ساعد الخان سليم وبمساعدة هؤلاء الفرسان من القرم تغلب سليم على منافسيه ووصل إلى العرش.

وقتال أبيه للمرة الثالثة في صــحراء جورلو كانت موقعة عنيفة وكان جميع العباد يرددوا قول: « جميع قول ينه سـليم شـاهى اسـترز ديو « أي نريد سليم سلطانًا وبعد انتهاء الحرب وجلوسه على العرش قام بإرسال أبيه بايزيد –لمكان قريب من أدرنه– يسمى ديمه دوقيه (Edirne' Dimedokya) حيث توفي بمكان يُدعى «حفصه -هاوسه».

وبعد استقرار سليم الأول على العرش توسل إليه رفيقه الصدوق تمرك بك ليقوم بتشــييد وبناء قلعة فإذن له ولأجل ذلك يُطلق عليها قلعة -تمرك باى- ولكن المؤرخين التتار يُطلقون عليها « خان بربر زمين »، ومن هنا جاءت التسمية.

هذا وقد حررت بالتفصـيل سـفريات وحروب السـلطان سـليم خان في الثلاث أعوام ونصـف وسـميتها باسـم «سـليم نامه»، والسـلام بعد ذلك، ثم مكث الحقير في بساتين وحدائق تمرك وفي اليوم التالي توجهت إلى الشمال بمسير النصف ساعة.

انظر: اليسكي جايفارونسكي: سلطان البرين،ج١، ص: ١٠٠ Yücel-
S.٤٨٨،öztürk:Kirim Hanliğ i

الخراب الذي حل بقلعة بربر زمين وعرش الصلصال(١):

شيدت هذه القلعة على تربة رملية وعرة على ساحل بحر آزاق « Azak Denizi» وقد قامت هنا معارك وحروب كثيرة جدًا مع الصلصال ملك روسيا والآلاف من العسكر ولذلك توجد كثير من قبور الشهداء مساحتها قرابة من أربعين إلى خمسين قدمًا، وهذه القلعة كانت قد هُدمت على يد تيمور لنك» وإلى الآن ما زالت بقايا أثر البناء ظاهرة وباهرة وقلعة بربر زمين لا تستطيع الألسن وصفها ولا الأقلام أن تحرر وتكتب ما تراه العين وبعد ذلك ذهب الحقير متجهًا غربًا مارًا ببحيرات وسهول ومنحدرات.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠٤

قلعة آداخون ومنازلها:

شيدها أيضًا الملك الضال صلصال وكانت تُسمى في ذلك الزمن (قلهاسنجه- قلهاتجه- قلهانجه) وبعد ذلك وفي زمن (بايزيد خان) قامت حرب عظيمة بين كفرة القازاق[1] وبين العثمانيين بقيادة- گدك أحمد باشا وسُفك الكثير من الدماء أثناء فتح تلك القلعة فآداخون

---

(١) **مملكة القازاق**: قال عنها أوليا "هي مملكة كبيرة جيوشها أكثر الجيوش دموية ولا تعرف الشفقة وكانت مملكتهم متحدة مع بولندا وهذا الاتحاد يسمى (KARDEş KAZAK) يعني مملكة الأخوة القزاق دخلوا في تبعية خان القرم اسلام كراى (فترة ولايته ١٥٨٤/١٥٧٦) ولقد غزا الخان اسلام كراى ممالكهم المتحدة من الدنمارك والسويد والتشيك والنرويج في سبع سنوات ٧١ مرة، وأسر منهم في تلك السنون عدد ٨٠٠ ألف أسير وأسر من اليهود ٢٠٠ الف ومنذ ذلك الحين ترتدي أقوام من التتار السراويل والعباءات والقلنسوات من فراء السمور بسبب الغنائم ومملكة الأخوة لديهم أموال قارون ويرتدون ملابسهم من فراء السمور وأزرارها من الفضة، كما ذكر أن الخان محمد كراى عقد اتفاقية سلام مع تلك المملكة "
انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (قرداش قزاق مملكتى) ص: ٥٢٧.

تعني «قان آداســى» جزيرة الدم وبعد الفتح هُدمت القلعة لكن ما زال بها أماكن عامرة وفي عام ١٠٤٨ه (١٦٣٨م)

وأثناء حرب السلطان مراد خان الرابع[1]

---

(١) **مراد الرابع**: هو الخليفة العثماني الثامن عشر، عاش بين عامي (١٠٢١- ١٠٤٩هـ)/(٢٦ يوليو ١٦١٢ - ٩ فبراير ١٦٤٠م). حكم ١٧ عاما منذ عام ١٠٣٢ هـ/١٦٢٣م وكان عمره آنذاك ١١ عاما ميلاديا. ضمت بغداد للدولة العثمانية في عهده عام ١٦٣٩م. كان مولعا بالشعر كما كان موسيقيًا مميزًا....، تولى أمر الخلافة بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأول عام ١٠٣٢هـ. وتولى الخلافة وهو صغير فسيطر عليه الانكشارية في بداية الأمر. حدث تمرد في بغداد فأرسل الخليفة جيشًا إليها ولكن الصفويين دخلوا بغداد واستولوا عليهاوبعد وفاة الشاه عباس وتولى ابنه الصغير مكانه استغل العثمانيون الفرصة وحاصروا بغداد ولكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها.

تولى السلطان مراد الرابع عرش الدولة العثمانية، والأخطار تحدق بها من الداخل والخارج؛ فقد بويع بالسلطنة بعد عزل عمه السلطان مصطفى الأول في (١٥ من ذي القعدة ١٠٣٢هـ = ١١ من سبتمبر ١٦٢٣م)، وكانت فرق الانكشارية تعبث بمصالح البلاد العليا، وتعيث في الأرض فسادًا، حتى إنهم قتلوا السلطان "عثمان الثاني" (١٠٢٧ ١٠٣١ هـ / ١٦١٨ - ١٦٢٢م).

وكان سلطانًا -على الرغم من صغر سنه- يحاول أن ينهض بالدولة، ويبث فيها روح الإصلاح، ويبعث الحياة في مؤسسات الدولة التي شاخت وهرمت، لكن الانكشارية لم تمكنه من ذلك، واعترضت طريقه، وتدخلت فيما لا يعنيها، ولم يجد السلطان مفرًا من تقليص نفوذهم، وقمع تمردهم، ولو كان ذلك بتصفية وجودهم العسكري، لكنهم كانوا أسبق منه، فأشعلوا ثورة في عاصمة الخلافة في (رجب ١٠٣١هـ مايو ١٦٢٢م) وبعد مقتل السلطان ولّوا السلطان مصطفى الأول وكان لا يملك من أمره شيئا، وصارت مقاليد البلاد في يد الانكشارية، وعمّت أرجاء الدولة الفوضى والاضطرابات، وظلت ثمانية عشر شهرًا دون أن تجد يدًا حازمة تعيد للدولة أمنها وسلامتها.

ويُعدّ السلطان مراد الرابع من كبار سلاطين الدولة العثمانية، نجح في إعادة النظام إلى الدولة، وأعاد الانضباط إلى الجيش، وأنعش خزانة الدولة التي أُنهكت نتيجة القلاقل والاضطرابات. انظر: عصر التكايا والرعايا: وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني، تأليف: شاكر النابلسي، الدولة العثمانية: قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، تأليف: د.قيس جواد العزاوي.

في بغداد كان الأسـطول العثماني يخوض معركة حربية أخرى على مضـيق آدا خون dahun Boğ azı مع الروس الذين كان معهم ستة وثمانون زورق (شـايقه لر- Şaykalar) واسـتمرت تلك الحرب ١٠ أيام ولياليهم وبالنهاية انتصر آل عثمان واستولوا على سفن الروس الكفرة، وأخذ ما فيها من أسرى وأموال وغنائم إلى دار الدولة، وفي ذلك الوقت دخلت بغداد تحت حكم السلطان مراد خان. ولكن في مضيق آداخون

مزار شهداء آل عثمان:

هذه الحرب مسجلة في التاريخ وقد قتل بها تماما ١٧٠٠ شهيد، ولقد قام الحقير إلى بزيارة إلى قبور الشهداء ومن هناك اتجهت طرف القبلة في مسير الساعتين.

قرية صووجوق:

بالقرية نحو أربعمائة منزل وعدد ثلاثة مساجد وجامع واحد وبناية وبها عشر حوانيت وهي قرية تشبه القصبة حجماً، وكان بهذه القرية «بارزوق بك وكان يدفع سـاليانه للأمير الجركسـى‌ي الذي كان الجميع تحت أمرتة، ومن هناك في مسير الثلاث ساعات اتجاه القبلة مررنا بقرية ادريس»ادريس صله سى «ومن هناك مررنا «آتش بك قشلا وفي مسير الساعتين.

أوصاف دار الحرب أو قلعة قزل طاش الصغيرة[1]:

شيدت هذه القلعة مدة ولاية سليم الأول عام ٩٢١هـ(١٥١٥م) وفي تلك الآونة كان قُطاع الطرق من الچراكسة يعتدون على الجزيرة ويقومون فيها بالسلب والنهب، وكان هذا سببًا في بنائها وأقيمت في مكان قريب على ضفاف البحر الأسود بجوار بحيرة «آداخون» وبنيت الجوانب الأربعة من القزل طاش (الطوب الأحمر) ولذا أطلق عليها هذا الاسم ومساحة القلعة الإجمالية ٢٠٠ قدم ويحيطها الأبراج من الأربع جهات والجدران فيها عالية، واثنان من تلك الأبراج مغطين بالخشب، ولها باب حديد يطل على الناحية الشمالية، ولا يوجد بها خندق ولكن بداخلها بيت محافظ القلعة وغرف تتسع لأربعون فردًا، بالإضافة إلى المسجد ومخزن

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠٥

ويوجد داخل تلك الأبراج مستودع للذخيرة وعشر مدافع من نوع المدافع الملكية شاهى طوپىŞahi Topu [1] كما يوجد صوباشي ولاية كفه ونائب القاضي لبلدة طمان، والقلعة من الداخل مليئة بالرمال والرياح تأتيها عاصفة تسمى رياح نجمية».

---

(١) **شاه طوبى** – صنع في العهد العثماني واستخدم لأول مرة أثناء فتح القسطنطينية ولقد سبك هذا المدفع في مدة ثلاثة أشهر وقام برسمه الهندسي عدد من كبار مهندسي الدولة العثمانية بتكليف من السلطان محمد الفاتح والذي قام بسبكِ هذا المدفع وتنفيذه رجل يدعى Macar Urban ومعه مساعد له اسمه Cenaviz Donar وتقول الروايات أنهم هربوا من أحد السجون البيزنطية عبر مصارف المياه ولقد انتهوا من سبك هذا المدفع ومدافع أخرى في عام ١٤٥٢م وفي نهاية شهر يناير احضر المدفع من ادرنه وكان في طريقه إلى استانبول، ولقد أرسل السلطان الفاتح المنادون لإعلان الأهالي عن تجربة إطلاق القذائف المدفعية التي ستدك حصون القسطنطينية وانتشر الخبر بأن السلطان الفاتح صنع مدفع كبير وعظيم لأخذ القسطنطينية وأطلق عليه لقب (شاهي) وتبلغ فوهة المدفع ٩١,٥سم وقذيفته تزن ٦٨٠كيلو جرام ويتم قذفها بهذا المدفع مسافة ١٨٠٠ متر وفي عام ١٤٦٤م بعد فتح القسطنطينية بإحدى عشر عاما صنع من هذا ٤٢ مدفعًا آخر وأرسل إلى مضيق (جاناق قلعه) الدردنيل للدفاع عنه، وبالرغم مئات السنون لم تتأثر تلك المدافع وعملت بكفاءة عالية في ضرب الأسطول الانجليزي عام ١٨٠٧ ويوجد من نوعية هذا المدفع قطعة في بريطانيا وقطعة أخرى في ايطاليا وهناك عدد ٦ من تلك المدافع أكبرهم موجود باستانبول في متحف باغجه الحربي.

Islam Ansiklopedisi، ٢. Cilt، S. ١٩٨

المباني القائمة خارج القلعة:

إجمالاً يوجد عدد ثمانون منزل جميع أسقفها مغطاة من أعواد القصب كبقية المنازل وكلها شيدت في الجهة الشمالية للقلعة وبها جامع ليس به منارة وتوجد ساقية للماء ولا يوجد سوق وحمام وحوانيت أو حدائق وبساتين للثمار ولكن بها مزارع لزراعة الخضرة كثيرة تحيطها جزيرة شاهى، وتبعيتها لولاية كفه Kefe وبأطراف جزيرة شاهي توجد منطقة «جوجقه بورنى» حيث ينتشر في أطرافها عدة قلاع خربة، وفي زمن البيزنطيين كانت الجزيرة والقلاع لها شأن آخر في الجمال والترف، وكان عدد الجنود الكفرة الفجرة بها مئتي ألف وعندما مجيء تيمور لنك هدم تلك الأماكن، وهذا الحقير تجول بالقلعة لحين وصول جناب الخان وجنوده من قلعة طمان، وقبل ذلك كان جند التتر يقيمون في قلعة القزل طاش وحتى أن جنود الخان كانوا يرغبون إلى التنقل بكل حماس من نهر قوبان المواجه للقلعة خوفًا أن يأتي التتار، بعد ذلك تجول الحقير في المناطق العامرة والمؤهولة بداخل جزيرة شاهى ثم توجهت جنوبًا في مسير الساعتين.

قلعة آنابا:

بناها البيزنطيون ولكن گدك احمد پاشا يسر الله له فتح القلعة وتركها دون إعمار على حال خربة وقال «لازملى قلعه دكلدر» لا يلزمني قلاع ويوجد في داخل القلعة بئر ماء الحياة وهذه القلعة لو عُمرت ما استطاعت سفن الكفار الخروج من مضيق آزاق[1] إلى البحر الأسود، ويوجد بالقرب منها مكان يُطلق عليه « طوزله بورنى –Tuzla Burnu» وهو مكان ذو طبيعة رملية.

---

(١) يطلق عليه الآن مضيق كرش، وانظر الخريطة رقم (٣).

قلعة طوزله(١):

هي أيضًا قلعة مهدمة وخربة والذي هدمها القازاق بداعي أنها ليست لازمة وفي الماضي كانت القلعة عامرة ومزدهرة،

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠٦

ولقد أقام بها القائد « اوزدمير عثمان باشا أوغلو»[1]

---

(١) أوزدمير عثمان باشا أوغلو: (١٥٢٦-١٥٨٥) عمل كصدر أعظم في عهد السلطان مراد الثالث من عام ١٥٨٤-١٥٨٥٩ كان له نجاحات عظيمة في بلاد القفقاس حتى لقب بلقب فاتح القفقاس، ولد أوزدمير عام ١٥٢٦ في مدينة القاهرة، ووالده أوزدمير أوغلو ذو الأصل الجركسي استقر واستوطن بمصر في عهد المماليك وقد التحق والده بالخدمة في أسطول الإمبراطورية العثمانية وخاض عدة حروب ضد البرتغال على سواحل البحر الأحمر واشترك مع خادم سليمان باشا بعدة حروب وبعد ذلك عمل واليا على إمارة الحبشة وأمه تنتسب إلى الخلفاء العباسيين الذين كانوا في مصر، ولقد عُين عثمان أوزدمير أوغلو في عدة وظائف إدارية وهو دون العشرين من عمره، وبعد ذلك عمل قائد سنجق من ضمن السناجق الموجودة والمرتبطة بالولاية في مصر، وفي عام ١٥٦١م عُين أميرًا للحج وعندما توفي والده حل مكانه أميرًا للحبشة لمدة سبع سنوات، وعندما قسمت اليمن إلى ولايتين وذلك في عام ١٥٦٩م إلى ولاية اليمن وولاية صنعاء تم تعيين عثمان أوزدمير أوغلو على ولاية صنعاء، بعد ذلك قامت ثورة الزيديين بقيادة الإمام طاهر توبال، ولما أراد الوالي مراد باشا (والي اليمن) سحق هذه الثورة قتل من قبل الثوار، ولإخماد تلك الثورة والقضاء على المتمردين توحدت الإماراتيين مرة أخرى وصارت باسم إمارة اليمن وأميرها أوزدمير عثمان أوغلو في هذه الأثناء تعرف على القائد العام لا لا مصطفى باشا الذي أرسل لقمع هذا العصيان في اليمن، بعد ذلك عين أوزدمير على إمارة ديار بكر وذلك عام ١٥٧٣م.

وعندما كان على إمارة ديار بكر قامت الحرب مع إيران واختير لالا مصطفى بمعيته وأظهر شجاعة وبسالة ومهارة في ميدان الحرب وذاع صيته في تلك الموقعة وأسقطت شروان من أيدي ا لفرس ولهذا التفوق والكفاءة أعطيت له إمارة شروان في عام ١٥٧٨م، ولقد استمر في حروب ونضال مع الجيوش الإيرانية في منطقة القفقاس وبالنهاية بسط العثمانيون نفوذهم على تلك البلاد وهي أذربيجان – داغستان – جورجستان – شروان كما كانت قيادته وإمارته في شروان قيادة حازمة وماهرة مما جعله ينتصر على أكبر الجيوش الإيرانية، وفي نوفمبر عام ١٥٨٥م تلقت الجيوش الإيرانية هزيمة منكرة في موقعة (قويون جتشدي) وأثناء وجوده في القفقاس عمل على تقوية حكم العثمانيين طوال الخمس سنوات على تلك البلاد وهي أذربيجان – داغستان – جورجستان –شروان.

-Danişmend ‹İsmail Hâmi ‹(١٩٦١ OsmanlıDevlet Erkâ n ı ‹İstanbul: Türkiye Yayınevi

-A short Historical account of the Crimea‹ Hertford Printed and Published by Stephen Austin‹ London‹ Troubler and‹co‹١٢‹ paternoster Row‹ P. ١٦٧

وجنوده مدة سبعة أشهر أثناء رحيله من جوجقه بورنو إلى الجهة المقابلة ولاية القرم عند حلول شتاء قارص عليه، وعلى جنوده أثناء حربه في القرم فلم يجد صعوبة بالتوجه إلى هذه القلعة، والمكوث بها حتى أن سلطان الجزيرة اعتبرهم ضيوف مرحب بهم ولم يتكلفوا أقجه واحدة، وأكرم وفادتهم، وقاموا أهل الجزيرة بإعداد المنازل بالإغطية المصنعة، والمدبوغة من جلود الحيوانات، وكان يأبى أهلها أن يأخذوا من الجنود نقود؛ لأنهم اعتبروهم ضيوفًا لا يجب أن يدفعوا مقابل المأكل والمشرب أي شيء فإلى هذا الحد كانت الأماكن عامرة بالخيرات ولو نزل ضيفا على أحد ومعه عشرة خيول ومكث عشرة أيام يكون مُضِيفه في سعادة وهذه القبيلة من سجيتها محبة الخير وكانت تسمى «غنى» وذلك من مظاهر الترف والبذخ الواضح عليها، ولا يوجد في هذه الجزيرة أي تتاري لأن ولاية كفه تعد من أراضي الأناضول التابعة لدولة آل عثمان، ويفصل بين ولاية القرم وجزيرة شاهى مضيق بالبحر الأسود مسافة ثماني عشرة ميل وإلى الداخل باتجاه الشمال مسافة خمس أميال والذي يفصل فيما بين منطقة جوجقه بورنو وكنيسة بورنو مضيق أزاق.

أما أراضي جزيرة شاهى الموجودة بطمان فهى غاية في الخصوبة فمقدار كيل واحد من البذور ينتج مئة كيله ومن حبوب الذرة ينتج مئة وخمسون كيل، ولذا فهي أراضي ذات خصوبة عالية.

ومن قدرة صانع المبدع سبحانه تشاهد بداخل هذه الجزيرة مُسطحات وسهول خضراء شاسعة وبحيرات صغيرة على منحدرات وتوجد في هذه البحيرات الأنواع المختلفة من طيور البط والأوز والبجع وطيور النورس، وأنواع مختلفة من الدواجن والأسماك على صفحات مياه هذه البحيرات، والكثيرون يعملون بالصيد على هذه الطيور كما يوجد ما لا يقل عن سبعين نوع من الأسماك المشهورة والمتوافرة بكثرة.

باختصار فإن جزيرة شاهى لا تحتاج إلى مديح، فهي من أخصب وأجود الأراضي ومن هناك توجه الحقير إلى قلعة طوزله للمرة الثانية.

قلعة قزل طاش:

في نفس اليوم وصل الخان ومرافقيه من العبيد إلى أبواب قلعة قزل طاش أطلقت المدافع الأعيرة النارية للتعبير عن الفرحة، وتجمعت السفن عند مضيق آدا خون، أو (بوغاز القزل طاش) للعبور إلى الجهة المقابلة، ولم يلقى الخان أي مواجهة في أثناء عبوره مع مرافقيه إلى الجهة التي يوجد بها أقوام من الجركس متمردون على دفع التيمار وهي ضريبة العشر إلى الولاة على كفه.

ومضيق آدا خون من المضائق الشاسعة ويبلغ عرضه نصف الميل ويفصل بين نهر قوبان والبحر الأسود، وترى السفن في نهر قوبان تغدو وتروح إلى قلعة تمرك وجزيرة بلانلى في اتجاه الشمال، ونهر قوبان منبعه من جبل البرز الموجود بولاية داغستان ويمر ببلاد الجركس وسهول هيهات قاطعًا مسافة سبعين قوناق (مرحلة) ومصب مائه في القرب من قلعة قزل طاش بالقرب من مضيق آداخون وبهذه النقطة يختلط مائه مع البحر الأسود، وقد أبحر الحقير منه للجهة المقابلة.

التعريف بولاية مامه لوقه الكبيرة يعني بلاد الجراكسة وقوم البوزدوقه، وذهاب الخان محمد كراى وبصحبته جناب كراى سلطان إلى بلاد الجركس وداغستان[1].

في اليوم العاشر من شهر شوال عام (.....) بعد قطع منازل وطي مراحل وطأت أقدام خيول التتار بلاد الجركس يرافقهم الخان متجهة صوب الشرق في مسير أربع ساعات حتى وصلوا إلى مكان يسمى «خان دبه سي».

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠٨.

منطقة رعاة النوغاى (المغول):

كان شيخ القبيلة المنتخب لجميع تتار النوغايى رجل كهل عمره تجاوز المائة عام واسمه جوبان ميرزه (مرزا) وكانت قبيلته تسمى بالشغاكه تناكحوا من فتيات الجراكسة الحرائر ووجدت الألفة والأخوة والمحبة بعد النسب والمصاهرة، واستوطن الشغاكه ببلاد الجركس، وكان عدد خيامهم في الجبال والسهول عشرة آلاف خيمة وإجمالي عدد الجند المهرة من تتار النوغاي ما مقداره عشرون ألف جندي بغاية الجسارة والإقدام، ومن هناك اتجهنا مرة ثانية إلى ناحية الشرق صوب الجبال والأشجار الضخمة والغابات في مسير خمس ساعات.

بداية حدود بلاد الجراكسة وقرى قوم الشغاكه(١):

يطلق أقوام الشغاكه على قراهم الخاصة بهم اسم « قباق »، وفي بلاد التتار يقال للقرى –صله– وقاطني القباق سجيتهم التمرد والعصيان وبالرغم من ذلك كانوا طُعاة للخان محمد كراى ولقد صاهروه ومدوة بما يلزم من مؤن وذخيرة والمنازل من الخيام للجنود وعندما اختلط قوم الشغاكه الجراكسة مع قوم جوبان صاروا قوم واحد لا يفرق بينهم، ومرة أخرى صوب المشرق حيث المسير ثلاث ساعات داخل مناطق جبلية شديدة الانحدارات وخلال مسير جند التتار في تلك المنطقة قام جندي من التتار بسرقة سمكة واحدة من عربة مُحملة بالأسماك لأحد الجراكسة، وبسبب تلك السمكة وقعت مشاجرة كبيرة قتلَ فيها الجركس ثلاثة أفراد من جند التتار، فهم قوم شديد البأس لجوج وغضوب وملعون[٢]، ويُشهد لهم بالجسارة والبسالة ولذا كان المسير ناحية الشرق بتلك المنطقة مخاطرة عظيمة.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠٨.

(٢) كتبت بهذا الشكل انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٠٩.

وصف قلعة چوبان:

في عام (...) قام بتشـييد هذه القلعة «چوبان ميرزا في عصـر «إسـلام كراي خان لتوفير الأمن والأمان من قطاع الطرق الجراكســة، وأحاطها بالأشجار والخنادق من الأربع جهات وكان كل مساحة القلعة أربع مائة قدم، وكانت الأشجار حولها بمثابة أبراج محصنة قوية من كل جهة.

ومن ناحية الشـمال جعل يوجد باب للقلعة من الخشـب، وبداخل القلعة يوجد مسـجدًا مشـيد من أحجار القراميد لكن ليس بها حمام أو سـويقات أو حوانيت؛ لأن هذه القلعة كان يأتيها الأهالي ويقطنون بها في ليالي الشــتاء فقط.

وفي غير ذلك من الفصــول ينصــبون خيامهم ويجلســون في الجبال والسـهول وبجوارهم ماشيتهم وجلود أنعامهم، والجراكسة خيامهم تشبه خيام التركمان ففي أعلاها القبة المنسوجة من قماش اللباد[1]، ومن داخلها قضبان تشبه القفص وتلك القضبان أو الأعمدة من الأشجار مربطة بحبالٍ ونطاقات قوية، ويوجد في أعلى نقطة من قبة الخيمة فتحة للتهوية لكي يلج منها ضوء النهار، ويخرج منها دخان النار التي يضــرمونها داخل الخيمة في ليالي الشتاء.

---

(١) **اللباد**: يُصنع بنقع ألياف الصوف بالماء وضغطها على شكل مستو أو على شكل قالب محدد مثل قبعة أو طربوش أو أي شكل أخر مطلوب ثم يلون باللون المطلوب: انظر عصر المغول. مرجع سابق، ص: ٩٩.

وعند النزوح أو الهجرة يقوموا بتحميل تلك الخيام المصنوعة من اللباد على الجمال أو العربات التي تجرها الجمال ويقوموا بنقلها كلما أرتحلوا على تلك العربات المربوطة بأعناق الجمال.

وأقوام النوغاي التتارين عاداتهم أنهم يستخدمون زوج من الإبل للحرث في الأراضـــي الزراعية لزراعة القمح والشـعير والذرة، ويعد زوج الإبل أفضل في الحرث من الثيران، ولتلك الإبل اثنان من السنام[1]، وهي تستطيع جر المحراث في الأراضي الموحلة بسهولة ويسر.

---

(١) يتميز هذا الجمل بأن له سنامان، يساعدانه على تخزين أكبر قدر من الدهون والغذاء لتحمل البرد، ويبلغ طول رأسه وجسمه حوالي ثلاثة أمتار، وارتفاع كتفيه يبلغ مترين، ويزن حوالي ٧٠٠ كيلو جرام، أقدامه عريضة. وله ما يشبه اللحية على حلقه. معطفه طويل يتراوح لونه بين البني الغامق والبني الفاتح. يعيش ضمن جماعات يتراوح عددها بين ٦ و٢٠ جملاً، يقودها أكبر ذكر في المجموعة يمكنه تحمل درجات الحرارة المنخفضة. تلد أنثاه جملاً واحدًا بعد فترة حمل تدوم ١٣ شهرًا، وبعد ٣ سنوات يصبح راشدًا حتى يكتمل تمام نموه في السنة الخامسة. ويتعرض هذا الجمل للانقراض حاليًا؛ إذ لا يوجد منه سوى أعداد قليلة جدًا.

بيان في خلق إبل البغور(١):

بحســب رواية مؤرخي عراق العجم[٢]؛ أنه عند قتال يزيد (بلامزيد) وجنوده الإمام الحسين رضي الله عنه[٣]

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧١٠.

(٢) في اللغة العثمانية عراق العرب"Iraki Arab" ويطلق على الأراضي العثمانية الممتدة حتى شمال بغداد، وعلى القاطنين فيما بين نهري دجلة والفرات عراق العجم "Acem Iraki " ويطلق على الأراضي اللمتدة من نهر دجلة وحتى شمال شرق الحدود الإيرانية.

Ferit Devellioglu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at، Aydin Kitab Evi Yayinlari، Ikinci Baski، Ankara (١٩٩٣).

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (٣ شعبان ٤هـ-١٠ محرم ٦١ ه/٨ يناير ٦٢٦م- ١٠ أكتوبر ٦٨٠م) سبط النبي محمد رسول الإسلام وحفيده ويلقب بسيد شباب أهل الجنة، خامس أصحاب الكساء، كنيته أبو عبد الله، والإمام الثالث لدى المسلمين الشيعة. ولد في المدينة، ونشأ في بيت النبوة، وإليه نسبة كثير من الحسينيين. وهو الذي تأصلت العداوة بسببه بين بني هاشم وبني أمية حتى ذهبت بعرش الأمويين. وذلك أن معاوية بن أبي سفيان لما مات، وخلفه ابنه يزيد، تخلف الحسين عن مبايعته، ورحل إلى مكة في جماعة من أصحابه، فأقام فيها أشهرا، ودعاه إلى الكوفة أشياعه فيها، على أن يبايعوه بالخلافة، وكتبوا إليه أنهم في جيش متهيئ للوثوب على الأمويين. فأجابهم، وخرج من مكة مع مواليه ونسائه ونحو الثمانين من رجاله. وعلم يزيد بسفره فوجه إليه جيشا اعترضه في كربلاء فنشب قتال عنيف أصيب الحسين فيه بجراح شديدة، وسقط عن فرسه، فقتله سنان بن أنس النخعي، وأرسل رأسه ونساءه وأطفاله إلى دمشق، فتظاهر يزيد بالحزن عليه، حتى إنه لم يقتص من قتلة الحسين، بل أكرمهم وولاهم أمور المسلمين. دفن جسده في كربلاء. واختلف في الموضع الذي دفن فيه الرأس فقيل في دمشق، وقيل في كربلاء، مع الجسد، وقيل في مكان آخر، فتعددت المراقد، وتعذرت معرفة مدفنه. كان مقتله يوم العاشر من محرم سنة ٦١ هجرية الموافق ١٠ أكتوبر سنة ٦٨٠ ميلادية. ويسمى بعاشوراء وقد ظل هذا اليوم يوم حزن وكآبة عند جميع المسلمين ولاسيما الشيعة، لم يقبل الحسين ﷺ أن تتحول الخلافة الإسلامية إلى إرث، وأبى أن يكون على رأس الإسلام يزيد بن معاوية، فرفض أن يبايعه ولم يعترف به. وقد التقى الوليد بالحسين وطلب منه البيعة ليزيد فرفض الحسين، بينما ذهب عبد الله بن الزبير إلى مكة لاجئًا إلي بيت الله الحرام.

بصحراء كربلاء[1] الموقعة الشهيرة وانفاذًا لأمر الله تعالى باستشهاد الإمام الحسين على يد اليزيديين تجرأ هؤلاء جنود يزيد على أهل وعيال آل بيت سيدنا الحسين وجردوهم من ملابسهم تمامًا وزيادة في التشهير بآل بيت سيدنا الحسين اركبوهم على ظهور الإبل كي تسير بهم وسط صفوف الجند ولمًا هموا بالسير انشق سنام الإبل كي تُستر عورات أهل وأولاد بيت سيدنا الحسين، وبالرغم من ذلك المنظر الرهيب لا يعتبر اليزيديين من تلك الآية التي أنزلها الله البارئ، فأنزلوهم من على ظهور الإبل وهن بأجسامهم الضعيفة العارية ليجوبوا بهم في صحراء كربلاء الحارقة، لكن الله ستار عظيم أنبت الله في أجسامهم شعرً يواري به عوراتهن، ولكن لم يعتبر جند يزيد فقاموا بإعمال القتل في آل بيت سيدنا الحسين رحمة الله عليهم أجمعين.

خلاصة القول:

إن أقوام النوغاي يستخدمون إبل البغور في سحب العربات وحرث الأراضي الزراعية بتلك الإبل التي شوهدت في حادثة كربلاء والسلام.

---

(١) **كربلاء**: مدينة تقع شمال غرب الكوفة وفيها مشهد الحسين ﷺ وفي موقعها استتشهد لحسين مع جميع آله وذويه تقريبًا. انظر: تعريف الأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير.

نعود مرة أخرى بالحديث عن قلعة چوبان لى فهذه القلعة لا يوجد بها أي شـيء سـوى الخيام ويحيط بأطراف القلعة خنادق عميقة كأنها حفر من نار جهنم كما يوجد في أطرافها المروج النضـرة شـديدة الخضـرة والغابات الكثيفة، والمنحدرات.

أما الأراضي داخل القلعة فهي مروج خضراء مستوية ومسطحة، وفي خارج القلعة يوجد ما يقرب من مائتي منزل من الخيام المصنوعة من اللباد كما أن قوم چوبانلى يمتلكون كثير من الأنعام والحيوانات مثل: البقر، والخيل، والحمير، والخراف، وغير ذلك من الدواب والمواشي التي لا توجد عند أقوام التتار، وقوم «الچوبانلى يملكون الكثير من العبيد والإماء (الأسرى) وهم بحق قوم أثرياء جدا وفي غاية الترف والثراء، وعند اتجاه الجنوب(القبلة) بقلعة چوبان توجد أحد الخنادق يصب به نهر يُسمى «پسي پايسي» من داخل، ويبدأ جريان هذا النهر من جبال شـغاكه ويختلط ماؤوه بالبحر الأسود عند مضيق آدا خون ويوجد بئر به ماء الحياة ولقد مررنا منه عبر ظهور خيولنا.

هيئة وملابس أقوام النوغاي **(١):**

رجال النوغاي (Nogay) متوسـطي القامة عريضـي الأكتاف نحيفي الخصـور ضـخام الرأس وأذانهم كبيرة، وهم مسـتديري الجباه وأعينهم صـغيرة ولحاهم خفيفة ومنهم من هو أملس الوجنات هذا بالنسـبة للرجال وأما فتياتهم فهن في غاية الحسن والجمال، أعينهم كأعين المها وكلامهم به دلال وخفة وطلاوة ونعومة، وهم في الغالب أقوام ذوي مزاج غاضب.

ومن ناحية الملبس يرتدون أثواب من الفراء، ويضـعون على رأسـهم قبعات من الفرو وأثوابهم مزينة ومزركشـة بخيوط ذهبية ويرتدون أسـفل معاطف الفرو أثواب من قماش المرزيفون الأزرق والأحمر، وغالبية أقوام النوغاي يتمنطقون بنطاقات تلتف على خصـورهم بشـال يربط بحريرٍ مجدول، وهم بهذه الهيئة يشـبهون أقوام البادراق والسـخوتلي والشـيرينلى والمنصـورلي، وهذه الأقوام لديهم مهارة فائقة في امتطاء الخيل، وعلى خصورهم سيوفهم وسياطهم، وغالبيتهم لا يحملون غير ذلك من الأسلحة.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧١١.

ملابس نساء النوغاى:

وعن ملابس النســـاء فهى أثواب من فراء الأغنام ويضـــعون على رؤوســـهم قبعات من الفرو كالتي يرتديها التتار، ويرتدين بأقدامهم أحذية ألوانها صفراء ولكن هناك من النساء من يرتدين ملابس حريرية ويتمنطقن بنطاقات حريرية حول خصـــورهن وأعناقهن، وعند امتطائهم الخيل يتمنطقون بالكنانة والتي تحوي السيف، وفتياتهم بغاية الحسن والجمال لهم أعين أحجامها مثل اللوز وأهداب الجفون والحاجب مثل الهلال ولهم طابع الحسن موجود على وجناتهم فهم كضياء الشمس، كما أن المتزوجات منهن بقدر كبير من الجمال والصبا.

الأطعمة عند أقوام النوغاي:

يأكل هؤلاء الأقوام لحوم الخيل وخاصـــة المجففة (المقددة) ويشــربون حسائها ودمائها ويأكلون أضلعها ويطحنون عظامها كما أن كل مخبوزاتهم من طحين الذرة، ولا يأكلون سوى عيش الذرة أما منازلهم فهى من القصب أو الخوص، وملابسهم من جلود الأغنام،

ويوجد منهم من هو شـــاذُ عن الطبيعة فلا يأكلون الخبز المصــنع من القمح ولا يشـربون الماء بل يشـربون البوظة (نوع من الخمور) في جميع الأوقات حتى أن علمائهم يشربونها دون خجل أوحياء.

التعريف بلسان أقوام النوغاي**(١):**

كتبت في الجزء الأعلى عن لغة التتار

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧١١

وأقوام النوغاى[1] وأود هنا عرض بعض اصطلاحات

---

(1) يقصد أنه قام بالتعريف والترجمة لبعض المصطلحات والمفردات بلغة قوم التتار ولغة القالمق ونقلها إلى العثمانية وفيما يلى حصر عن ما نقله إلينا " في البدء لفظ الجلالة الله (جلب / جلاب) الرسول (يله واج) الخبز (كومج) (اويان) الحساء (ماى) الدهن (كمرتمه) كمثرى (قوم كان) ابريق (جوملك) كوب (ملنرك) كوب وسط (جيج) دجاج (لاجين) صقر (قارجيغا) البار وهو نوع من أنواع الصقور (طورغاى) عصفور (يورال آلشه) جابدار آت) (جيرن آت) (بوز آت) (آغرماق آت) كلها أنواع وألوان للخيول (كويكنك) كل شخص (آياق) صحن خزفي (آرش) جنين القمح (جكور كندر) متفرج (طايلاق) ولد المهر (آقى) اغا (آبى) الأم (شوره بار مى ؟) هل يوجد رقيق (دوكه) فتاة (مارية)جارية (يخشى) حسنٌ وجميل (جحشى) حسنُ (يمان) سيء (جمان) سيء (آتماجه بورسون) داء الطاعون (قارت كشى) رجل كهل (جونكلكن) القوس (اوزمكه سنى سورمن ؟) هل تحبني ؟ (كوب) كثير (ممز) لبن الخيل (يازما) الزبادي (بازقا بارمى قناق ؟)هل توجد بوظه مواطني (جكور) ذهب (كرمان) قلعة (خان) سلطان (جارلق) فرمان (يارلق) أمر شريف(صلاى) القرى(بجه نيك) غابات وعره (قزلغه) الذهب (جاخشى دوكه لر تيلرسن) إذا أردت الحسناوات انضم لجيشنا (اوزوك بلر باطر؟) هل أنت شجاع؟ (اوزوكسن صوقارم) سأقتلك (كوتلك) عبد مارق ولنكتفي بهذا القدر من الكلمات، باختصار توجد مائة قبيلة من النوغاى فمنهم-اولو نوغاى، وجداق نوغاى، واوزاق نوغاى، كتشى نوغاى وجميع هذه القبائل تتحدث ما يقارب ١٢ لغة مختلفة ويحتاجون إلى مترجم بينهما، كما يوجد بالقرم تتار البادراق وتتحدث بلغة مختلفة عن لغات النوغاى. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (در بيان لسان قوم تاتار صبارفتار عدو شكار) ص: ٦٤١ و ٦٤٢.

كما قام أوليا بالتعريف بلغة القالمق واسمائهم تحت عنوان (در بيان لسان قوم قلماغ وبى باغ وياغى وداغى) فأتى ببعض الكلمات من لغة القالمق منها: (خولر) خبز (اوصون) ماء (ماخان) لحم (مسخه لاى) قلنسوة (دبل/دبك) فرو (بوسه) حزام أو نطاق (كوتغا) سكين (نهار يره صو) تعالى اجلس هنا (منديره رصو) مرحب (ابوصن) مرج وعشب (بوف) بندقية (بوسوركه) خيمة (اولدى) سيف (تمون) رمح (اوكين) فتاة (اودان) شجرة الصفصاف (اوله سن) شجرة الحور (صورون) عبد (صاره) قمر (نارن) شمس (اودون)

والمفردات المختلفة: ونبدأ بالأرقام من ١٠:١

بر ايكف اوش ترت بش

آلتى جدى سكز طقوز اون

(چالاب) الله (چاردان) الرب (يلاوچ) رسول

(چولودق) مصادفة (صداقلاب) (كوبه لى) درع

نجم (مندو تاو) السلام عليكم (تاو مندو) عليكم السلام (تلوغوى تاو) خوذة للرأس (قيورمنى) أذن (جكى منى) اسنان (دودومنى) عينان (جولوقيورسن) أنف (قمبارمنى) حواجب (امه منى) فم (قازكول منى)الأذرع والأقدام (درجداو) رمح قصير (طوغول)سرج الحصان (جداو ماله قات) احضر الرمح وذكر الأعداد من ١٣:١ (نكن – قيور –قربان – دوربان – تابن – دورغان – دولان – نايمان – يسن – آربان – آربان نكن – آربان قيور – آربان قوبان) و قورون بمعنى عشرون

كما تحدث أوليا عن القالمق فقال " إن سلاطين القالمق يطلق عليهم طايس ويبلغ عدد قبائلهم ١٢ قبيلة وكما يطلق على خانات القرم كراى كمايقال للسلطان العثماني خاقان وسلطان وبادشاه، وكل طايس (ملك) من القالمق يملك ما مقداره من ٥٠٠ ألف إلى مليون جندي بخيلهم بالرغم من اختلاف لغاتهم ومذاهبهم.

وخلاصة القول: يوجد لدى أقوام القالمق عدد ١٢ طايس و١٢ لغة لا تشبه بعضها البعض ولا حتى تفهم منها حروف الهجاء وهذا الحقير بعد ٥١ عام في السياحة ومجالسة ١٨ سلطانا من أصحاب السكة والذين تذكر اسمائهم على المنابر، والمتحدث ب١٤٧ لغة بقدر ما أريد من الحديث أقول إن لغة القالمق مشكلة عسيرة جدا فهي لغة تشبه صدى الصوت في الاندفاع ولا تسمع منها حروف مث اللام والميم والنون والهاء انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (در بيان لسان قوم قلماغ وبى باغ وياغى وداغى) ص: ٨٦٦ و٨٦٧.

(زور جكت) قوة وشجاعة (باطر جكت) بطل (چوبول چيور) انطلاق رحلة (قوش قزان) حمل ثقيل.

(شوره) غلام (منا چوقدر) هنا قريب (بر يا ش اورتم) برجاءٍ (طوالر يصه دم) بالدعوات (آيطم وار) القول عندي (چگور كشى) رجل ساحر (آلاى چول برسن) دعاء بالسلامة (شوره لرم بار) عندي أولا (آشقماك) لا تتعجل (بوتغا آشى) طعام أو عجين يُسمى لابا (ترك) شجرة.

بعض من الترانيم والأغاني الشعبية عند أقوام النوغاى:

(لقد أورد أوليا بعض السطور من تلك الترانيم والأغاني)...

وبعد استضافة جوبان مرزا لنا في داخل قلعته (جوبانلي) قام بإهداء الخان بعض من خيل اليورغا ومقدار كبير من لحوم الخيل وكانت ضيافته لنا كريمة جدًا، وبعد ذلك توجهنا في مسيرة لأربع ساعات داخل الأحراش والغابات.

وصف البشكو عند أقوام الشفاكه الجراكسة[1]:

تطلق كلمة البشــكو على المكان الذي يقطن بها الأمراء أو يقصــد به العرش في لغة الجركس، وهو كمدينة صغيرة أو قرية عظيمة محاط بسياجٍ قوي ومسـقوف بخمسـمائة وخمسـين من القصـب والخوص مقيد بقوة وله شـكل بديع وهذا «البشـكو» له اثنان من الأبواب للدخول إليه وهو في مكان شـاهق وشديد الانحدار، وهذه الولاية لا يوجد بها أي شكل من أشكال العملة (النقود) مثل الأقجه، الباره[2]، البول وليس به بســتان أوحديقة أو ســوق أوحانوت ولا توجد كنيسـة أو حمام والناس هنا لا هم كفار ولا هم مسلمون، ولكن إذا ناديت على أحدهم «يا كافر» يغضـــبون جدًا أما لو ناديت يا «مسـلم» لا يعترضـون، وهم أقوام ينكرون الحشـر والنشـر ويقولون أن الخلائق بني الإنسان مثل العشب ينبت ثم يذبل وينتهي،

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧١٣.

(٢) **الباره**: عملة ظهرت في مصر لأول مرة ٨٠٨هـ- ١٥٤٠م في عهد الملك المؤيد المملوكي كما سكت عند العثمانيين لأول مرة ١٠٤٥هـ- ١٦٣٥م، واعتبرت الأقجة جزءًا من البارة، فالبارة تساوى ثلاث أقجات، كما أطلق على العثماني وهو أصغر الوحدات التركية النقدية في سجلات المحاكم الشرعية التركية "بارة" انظر: دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني، مرجع سابق، ص: ١٠٧- وانظر: محمد شفيق غربال: الموسوعة العربية الميسر، بيروت، دار إحياء التراث، د. ت، ص: ٨٣٩.

وهم لا يحبون رؤية أحد كافر لكن رؤية المسلم ترضيهم وتسرهم كما أن هناك مجموعة أخرى من القاطنين في الجبال ومن البغاة ومجوسي العقيدة ليس لهم أسواق أو أماكن للبيع ولا توجد عندهم أقجه ولا باره يتعاملون بها بل يتعاملوا بنظام المقايضة والمبادلة في كل أشكال المتاع التي يحتاجون إليها، كما أن أهل الحرف يقوموا بأعمالهم داخل المنازل وهم ذو كفاءة عالية في حرفتهم ومنهم من هو بغاية البراعة والإتقان.

وبشكو الشفاكه من الناحية الجنوبية يوجد البحر الأسود على بعد مرحلة واحدة وفي نطاق جبال بشكو الشفاكه مرج أخضر فسيح وأشجار كثيفة ويوجد داخل هذا النطاق الجبلي كذلك قرابة الأربعين منزلا متلاصقين ببعضهم البعض، تجدهم بالعشرة وتجدهم بالعشرين منزلا متلاصقين عليهم نقوش وهذه المنازل لها أحواش «ساحات» محاطة من الخارج بسياج من الشجيرات والأشجار العالية الضخمة حتى تبدو مثل القلعة يضعوا بها كل متعلقاتهم وجميع دوابهم من المواشي والأغنام والخيول فتكون بداخل هذه الأحواش.

وعند حلول الليل يغلقون بابي هذا لمكان «بشـــكو» ويطلقون وثاق كلابهم[1] التي تشـبه الأسـود في شـراسـتها من السـلاسـل المقيدة بها لتقوم بالحراسة ويغُطوا في نوم عميق، وهذا ما يقوم به الجميع في بلاد الجركس.

وبالحديث عن أمير الشفاكه « إنجيروق « بك هو رجل في العقد الثامن من عمره حليق اللحية سـمين ليس بمسـلم هيئته كالكفار وعندما حل على داره «الخان محمد كراى» أحسـن له ضـيافته وأكرم نزله وبحوزة أمير الشفاكه ثلاثة آلاف بندقية

(١) يوجد في القفقاس كلب فريد من نوعه من حيث الضخامة والقوة يسمى بكلب الراعي القفقاسي / القوقازي "اوفتشاركا"

ومثلهم من الخيل ويبلغ جنود المشـاة لديه عشـرة آلاف موجودن وعلى طول سـاحل البحر الأسـود[1]، وصـولاً إلى حدود جبل البُرز لا يوجد غيرهم من أقوام الجركس. وفي جنوب جبال الشـفاكه تقع ولاية ابازه الواقعة على سـاحل البحر الأسـود، وفي بلاد الجركس يفصـل جبل البرز فيما بين ولاية ابازه ونهر قوبان الملاصـق للشـفاكه وبهذه البلاد يمتد على ضـفاف نهر قوبان ثخوم جبال انابا «Anapa» والأبور / الأيوز وتمتد بلاد الجراكسـة (القفقاس Kafkasya) من جهة الغرب إلى الشرق بطول تسعين قوناق إلا أن تصـل جبل البُرز وفي النهاية تجد أقوام الشـفاكه موجودة على سـاحل البحر الأسـود ويقع في الغرب من جبال الشـفاكه حتى شـرقها جبل البُرز المتاخم لجبال الشفاكه وديار داغستان وإقليم القوموق وولايات العجم (إيران).

(١) **البحر الأسود**: بحر داخلي يقع بين الجزء الجنوبي الشرقي لأوروبا وآسيا الصغرى يتصل بالبحر المتوسط عن طريق مضيق البوسفور وبحر مرمرة ويتصل ببحر آزوف عن طريق مضيق كيرتش. أهم الأنهار التي تصب في البحر الأسود هو نهر الدانوب،و مساحة المسطح المائي للبحر الأسود تزيد عن أربعمائة وعشرين ألف كم مربع وأقصى عمق له ٢٢١٠ م. والدول المطلة على البحر الأسود هي أوكرانيا وروسيا وجورجيا وتركيا وبلغاريا ورومانيا، وأهم المدن المطلة عليه أوديسا ويالطا وسيفاستوبول وكيرتش ونوفوروسيسك وسوخومي وسوتشي وباتومي وطرابزون وسامسون وزنجلداق وإسطنبول وبرغاس وفارنا وكونستانتا.انظر: جغرافية البحار والمحيطات، المؤلف طلعت أحمد محمد عبده وحوريه محمد حسين جاد الله، مكتبة النهضة ٢٠٠٣م.

أجداد الشفاكه الجراكسة من مكة المكرمة(١):

عندما هروب قبيلة من قريش عبر صحراء عنه سلمى إلى بغداد منهم من ذهب عند أخ لهم يدعى كيس العربي وأخرى إلى جبلية (بالشام) جاءوا إلى أخيهم جبل الهمه ومنهم من ذهب إلى غزه في معية عمه الهاشمي النسل وأقاموا عنده ولكن جبل الهمه وقبيلته ذهبوا وأقاموا بمعية كيس وأولاده وبعد فترة من الزمن ذهب كيس إلى الملك الضال قيصر الروم في أنطاكيه وكان يُدعى حزقيل الذي أرسله إلى جوار الملك البيزنطي في اسلامبول وأقام في تبعيته ولما طلب كيسو من ملك بيزنطة وطن يقيم فيه مع قبيلته أرسله مع أخوته الثلاثة بالسفينة أبحرت في البحر الأسود وأقاموا في طرابزون وعرفوا بين اللاز باللازقة من عرب قريش، ومنهم من خرج وأقام في ولاية ابازة وخرج كيس واستقر في البدء بقلعة أنابا عند قوم شفاكه على ساحل البحر الأسود واتخذوها وطنًا لهم ومع الوقت تناسلوا وتكاثروا، وبلغ عددهم أربعين قبيلة.

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧١٤.

بيان أصل وفرع قوم المامه لوقه يعني قوم جراكسة الشفاكه والبوزدوق:

يقول ثقاة مؤرخين الروم ينوان الرومى والمؤرخ اللاتيني ميكال والمؤرخ القبطي طوطيس ابن نطيس والمؤرخ الأرمني الشهير مقديس/مقديسى الخلاصة الثقاة من جميع المؤرخين من أقوام الروم والعرب والعجم والتتار ذوو الاعتبار سطروا في كتباتهم أن أصل البشرية آدم

وهذا يتفق مع قوله تعالى: وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ١٦٥

فموجب هذه الآية أن أول إنسان خُلق على وجه الأرض سيدنا آدم عليه السلام وبعد ذلك تكاثر أولاده وأولاد أولاده وانتشروا في الأرض، وبتقدير من الحي القيوم أن أصل الروم من سلالة النبي إسحاق وجدهم عيص،

والقول الصحيح هم من أبناء يافث، وهم أصحاب عقيدة طاهرة، وذوي شجاعة وجسارة، وكان أول من وطأ بقدمه، وأدخل الإسلام إلى بلاد الروم هم السلاجقة والدنشمنديارين[1] عام ٤٧٦ه (١٠٨٣ م).

ولقد اتحد الدانشمنديارين مع أمراء الأمصار في ملاطيه وقيصرية وعلائية وانطاقية وجاءوا إلى ديار قونية[2]،

(١) **الدانشمنديون:** هي دويلة أخرى انفصلت عن السلاجقة عائلة تركمانية حكمت في المناطق الشمالية والشرقية للأناضول في القرن الحادي عشر والثاني عشر. وتمركزوا بشكل أساسي حول سيواس وتوقات ونيسار، ثم امتدوا غربًا حتى وصلوا أنقرة وقصتمون وجنوبًا حتى ملاطية. وقد كان الدانشمنديون في تنافس مع سلاجقة الروم والذين سيطروا على أراضي كثيرة كانت تحيط بهم. كما قاموا بحروب واسعة النطاق ضد الصليبيين ويرجع تأسيسهم إلى دانشمند غازي. ولا توجد معلومات حوله ومعظم ما كتب حوله بعد فترة طويلة من موته. وقد منح قائد الدانشميين سنة ١١٣٤ لقب ملك من قبل الخليفة العباسي المسترشد بالله بعد نجاحاتهم العسكرية، وضع الدانشمنديون نفسهم على الخارطة السياسية في الأناضول مستفيدين من انتصار السلاجقة في معركة ملاذ كرد على الإمبراطورية البيزنطية سنة ١٠٧١. وبعد وفاة السلطان سليمان بن قتلمش استفاد دانشمند غازي من خلافات البيت السلجوقي سنة ١٠٨٦ ليؤسس لحكمه في الأناضول. وفي سنة ١١٠٠ نجح الدانشمنديون في أسر بوهيموند الأول والذي بقي في الأسر حتى سنة ١١٠٣ كما نجحوا في التصدي لحملة سنة ١١٠١ بالاشتراك مع السلاجقة وفي عام ١١١٦ ساعد الدانشمنديون السلطان ركن الدين مسعود بأن يصبح سلطان السلجوقيين.وفي ١١٣٠ قتلوا بوهيموند الأول في معركة معه بعد أن قدم لمساعدة مملكة أرمينيا الصغرى.

(٢) **قونية** من مدن تركيا. تقع في وسط جنوب الأناضول بلغت ذروة مجدها عندما كانت عاصمة السلاجقة قبل الغزو المغولي. تعتبر اليوم معقل الإسلاميين في تركيا.

Ferit Devellioglu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at،S.٥٣٣

واستولوا عليها ثم استقروا بها وصاروا سلاطين وكان أول خروج للمسلمين لبلاد ما وراء النهر(١) بعد مائتي عام من الهجرة النبوية لأحفاد سيدنا عمر بن الخطاب الأمير زياد وابنه الأمير لقمان ثم ابنه الأمير عمر الذي استولى على قلعة ملاطيه وأخذها من أيدي الأرمن الكفرة واستقر بها وجعلها دارًا للملك وبعد سنة ٦٠٠ه (١٣٠٠/٧٠٠) انتهت دولة السلاجقة وكان أخر سلاطينهم السلطان علاء الدين وفي ذلك الوقت أشرقت شمس دولة آل عثمان في ولاية توران بمدينة ماهان ببلاد ما وراء النهر بميلاد وظهور أرطغرل الذي أخذ مكانة السلطان علاء الدين وصار أميرا مستقلاً، وعندما نشبت الحرب بين الروم الكفرة

---

(١) **ما وراء النهر**(mavera-un-nehr) هي المنطقة الواسعة المحصورة ما بين نهري سيحون وجيحون "نهر–آموداريا Amuderya- وما حولهما وتسمى اليوم تركستان وقد كان نهر جيحون القديم يعد الحد الفاصل بين الناطقة بالفارسية والناطقة بالتركية أي إيران وتوران فما كان وراءه من أقاليم سماه العرب (ما وراء النهر) وهو نهر جيحون واسموه بلاد الهياطلة وكانت هذه البلاد تنقسم إلى خمسة أقاليم ١- إقليم الصغد ويشمل بخارى وسمرقند ٢- خوارزم ٣- إقليم الصغانيان ٤- إقليم الختل ٥- إقليم الشاش

Ferit Devellioglu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at، Aydin Kitab Evi Yayinlari، Ikinci Baski، Ankara (١٩٩٣).S.٦٤٧

وأرطغرل عند قلعة يلاق آباد بالقرب من مدينة بورصة[1] واستشهد أرطغرل في هذه الحرب ودفن في احدى القصبات بلدة سوكود[2].

وبعد أرطغرل جاء عثمان واستقل عن الروم في عام ٦٩٩ه، وصار صاحب سكة «عملة» ويقال اسمه في الخطب على المنابر ببلدة قونيه ومنذ ذلك الوقت انتشرت أمة محمد ﷺ في الأناضول ثم جاء الغازي الأمير سليمان باشا ابن اورخان غازي ومن القواد قره مرسل، وقره قوقجه، وقره قوجه، وقره اجه يعقوب، وقره قوجه آل، وقره ادابالى،

---

(١) **بورصة أو بروسة** (بالتركية: Bursa) هي رابع أكبر مدن تركيا مركز وعاصمة محافظة بورصة. تقع شمال غرب البلاد بين مدينتي أسطنبول وأنقرة. وبلغ سكانها سنة ٢٠١٠ حوالي ١، ٢ مليون نسمة، وهذا يعني أنها رابع مدينة بعدد سكانها في تركيا وإحدى أكبر المدن الصناعية التركية، كانت بورصة عاصمة لولاية عثمانية بين ١٣٢٦ و١٣٦٥، وفي فترة العثمانيون كان يطلق عليها (خداوند كار) وتعني هدية الله، بينما أشهر ألقابها حاليا هو "Bursa Yeşil" وتعني "بورصة الخضراء" بسبب كثرة الحدائق العامة والمتنزهات الموجودة حولها، فضلا عن الغابات المتنوعة الشاسعة المنتشرة حول المنطقة. وبجوار المدينة يقع جبل أولوداغ الذي يرتفع عاليا خلف مركزها وهو أيضا منتجع شهير للتزلج. وتنتشر في تلك المدينة أضرحة السلاطين العثمانيون الأوائل كما أن فيها العديد من مباني العهد العثماني التي تشكل معالم رئيسية للمدينة.

S. ٣٤٩.، cilt، ١٢،- Islam Ansiklopedisi

(٢) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧١٥.

ومعهم أربعون من نفر من الجند عبروا البحر عند ثغر الروم المسمى «قبادغي بورنو» بالمراكب، والزوارق، ووطئت أقدامهم بلاد الروم؛ لفتح مدينة غاليبولى[1] في هذا التاريخ وبمجرد أن وطأت أقدامهم سموا اعملوا كثيرًا من السلب والنهب في المدينة ثم فتحوا مدينة- صلا[2]/ وكثيرًا يقولون « ابتدا صلا »، وهذا خطأ والصواب « ابصله/ ابصلايى» وبعد هذا الفتح ومن يوم إلى يوم دخلت الأمصار والبلدان وازدادت الغنائم والأموال وتكاثرت النفوس والأعداد بعد النكاح من الإماء فتيات ونساء ممن أسرن في تلك الحروب، ومنذ فتح أدرنه على يد الغازي البطل ومن بعده إلى الغازي ابو الفتح إلى أن جاء الغازي سليمان وحتى خاننا (مراد الرابع)

---

(١) **غاليبولى**: مدينة بتركيا تقع على مضيق باسمها وقد اكتسبت أهميتها بوقوعها على مضيق باسمها على ضفة الدردنيل وهو المجرى الوحيد بين بحر مرمرة والبحر المتوسط وتقابلها مدينة جناق قلعة أو مضيق الدردنيل على الجانب الشرقي ومنها عبر العثمانيون إلى أوروبا عام ١٣٥٧م

انظر: علي حسون، العثمانيون والبلقان، المكتب الإسلامي، ط. ٢، ١٩٦٨، ص ٤٥.

(٢) **ابصله** (ابساله) مدينة تقع في شمال مضيق الدردنيل على الجانب الأوربي.

يُقال إن الرومللى[1] والأناضــول دخلها ســبع وســبعين من أقوام النصـــارى– الألبـان القـدامى– اللاز– الأبـازه –الجركس– الهروات– الصـــرب– البلغـار قلاويز–اللا تين– الفرنج– المجر– وبولنـده– وچـك الروس– قرول– طوت– قورس– موسكو– چورچي– داديان– آچق باش– مكريل– وكوريل– شــوشـــات – وروم– ارمني– دودوشـــقه – انجليز– ونمســا– الســويد– الطاليان– وقلاوين– والبلچيك– الفلامنك– والبرتغال– ودونقارقيز – والدانمرك – وقنديك – الأســبان وجنويز – وفرنســا (....) (....) (....) وأفلاك وبغدان.

---

(١) **الروملي**: تطلق هذه التسمية على الولايات التركية التي كانت تضم تراقيا ومقدونيا وبلغاريا والصرب والبانيا وجميع جزر بحر ايجه على البقاع الأوربية التي كانت تخضع للدولة العثمانية

خلاصة القول:

إن آل عثمان عند الفتح أغاروا على بلاد هؤلاء الكفرة الذين ذكرتهم، وهدَموا عروشـــهم ولم يبقوا بها منزل أو حجر قائم على حجر فمبانيهم وخاناتهم أضـحت ترابا بتلك البلاد وأحرقوا الأسـرى منهم شـويًا كالكباب، وقد ســاعد آل عثمان في ذلك التتار الذين لا يعرفون شــفقة ولا رحمة، وخانات القرم، بعد ذلك جاءت الأموال والغنائم والأسـرى بلا عدد وحسـاب وحصلوا على خيول الكحيلان[1] بدلاً من مهرات الخيل البدينة، وأيضًا على الآلاف من نساء الكفار، وعلى فتيات في منتهى الحسن وجمال القد والقوام، والأسـرى الفتيان الذين هم في العشـر والخامسـة عشـر من عمرهم تعلموا الفروسـية والمبارزة، وبعد ذلك أغار هؤلاء الفتيان بعدما أضـحوا شـبابا ورجالاً على الأمصـار والبلاد التي ولدوا بها، وعلى أمهاتهم اللاتي ولدنهم وأقاربهم وقاموا بفتح تلك البلاد الكبيرة والمدن والقصـبات والقرى والقلاع وإلى ما شـاء الله للأبد تحت لواء دولة آل عثمان تفتح لهم بلاد أخرى مثل بلاد اللاز وبلاد المكريل وبلاد الأبازه والچركس وكل بلاد الكفر وتحول أديرتهم ودورهم إلى جوامع ومساجد لله.

---

(١) **الخيول الكحيلان:** هي الخيول العربية كحيلات العيون

Ferit Devellioglu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at،S.٥٢٧

جميع الملل من النصارى التي ذكرتها سابقًا قليل منهم دخل إلى الإسلام لأقل حجة أو سـبب، أما الذين ليسـو من أهل الكتاب دخلوا إلى الإسـلام وارتدوا عنه مثل قوم الأبازه والچراكسـة من أقوام قريش، فمن تلك الأقوام من هم طغاة وبغاة وفاسدي العقيدة، ويقول المؤرخين إن أجدادهم من قبائل قريش، أشرف القبائل العربية حميدة الخصائل وأفصح العرب لسانًا وبلاغةً ثم يكفيها شرفًا وفخرا أن سيد الكائنات سيدنا النبي محمد أتى إلى الدنيا من نسلها.

بعد ذلك تأتي قبيلة العجم، وأول من نذكر منها: أقوام التتار، وهاتان القبيلتان العربية والأعجمية قد زينوا وجه الأرض وعمروا الدنيا ببني الإنسـان، ولأجل هذا نطلق على رسـولنا الكريم سـيد الكونين سـيد العرب والعجم؛ لأن العرب وما عداها من الأقوام مثل: التتار،

والعجم، والترك، والتركمان، والمغول، والبوغول، والداغستان، والقوموق، والقوزاق، والهشدك[١]، واليقايجا، والأوزبك، والليقه، والچغتاى[٢]، والقالمق[٣]، ....

والفغفور[٤]، والصين، وختا، وختن، وماجين[٥]، والهند، والسند[٦]،

---

(١) الهشدك: انظر هامش ولاية ازدرخان ص: ٢٤.

(٢) الچغتاى: هي السهول الواقعة حول نهر الفولجا وسواحل بحر القزوين.

(٣) **القالمق**:... ولدى أقوام القالمق حيوانات لا يعلم عددها إلا الله، فهي كثير كأمواج البحر، ولديهم أنهار مثل نهر اديل "الفولجا" ونهر قوبان ونهر قوغم وحايك ونهر تن وهم مستقرون بسهول هيهات ولذا الأنعام والخيول كثيرة جدًا، وتحدث أولياعن نساء القالمق فقال... غالب ملابسهم من جلود الحيوانات التي يقوموا بنحرها، وهم يعتمرون قلنسوات من الجلد ويمتطون الخيل بسيوفهم ورماحهم القصيرة وهم في القتال أشد ضراوة من رجالهم وكثير من نسائهم يضعن شال من الحرير على القلنسة الجلدة وقليل منهن من ترتدي قفاطين ملونة مثل نساء الصين، وأحذيتهم ليست برقبة طويلة وهم يصنعونها من جلد الخنازير وقماش اللباد على شكل متناسق... انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (قالموقلره دائر معلومات) ص: ٨٦٣

(٤) **فاغفور**: لقب الامبراطورية الصينية قديمًا

Ferit Devellioğ lu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at ،S.٢٤٨

(٥) **ماجين**: اسم يطلق على المناطق الواقعة في جنوب الصين ويأتي دائما مصاحب للفظة (جين)

Ferit Devellioğ lu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at،S.٥٩٥

(٦) **السند**: هي البلاد الواقعة على حوض نهر السند (نهر الأندوس) شرقي كرمان وجنوبي سجستان وكانت قاعدتها المنصورة وتقع على فرع من فروع نهر السند وكان اسم أهل السند بالفارسية (جت) ودعاهم العرب باسم (الزط) انظر:الموسوعة الشاملة، التعريف بالأماكن والأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير

ولرســتان وملتان[1]، وســلطانيه وســمرقند[2]، وكاپول ســتان[3]، وزاول ستان،وبابل[4]، وارمن ستان[5]،

---

(١) **ملتان:** من مدن حوض نهر السند الشمالي قرب مدينة لاهور كانت أحدى عواصم الإسلام في ذلك الإقليم وتقع اليوم شمال دولة باكستان انظر: المرجع السابق.

(٢) **سمرقند**: من بلاد ما وراء النهر تقع شرقي بخارى خربها التتار عام ١٢١٩/٦١٦م وأخذها تيمور لنك عاصمة له وشيد بها المساجد وكانت أكبر مركز لصناعة الكاغد(الورق) وتقع اليوم في ولاية اوزبك ستان.

S.٣٤٩،٢٥.cilt،- Islam Ansiklopedisi

(٣) **كاپول ستان:** هي المدينة المعروفة في أفغانستان وكانت قديما عاصمة سجستان وطخارستان واليوم عاصمة أفغانستان. انظر: المرجع السابق.

(٤) **بابل**: مدينة قديمة كانت عاصمة المملكة البابلية وتقع جنوب بغداد في شمال الكوفة. انظر: المرجع السابق.

(٥) **ارمنستان:** هي المنطقة اتلجبلية الوسطى العالية التي تحدها آسيا الصغرى من الغرب وهضبة أذربيجان والشاطىء الجنوبي لبحر القزوين من الشرق، الشرق الجنوبي وساحل البحر الأسود من الشمال والشمال الشرقي والركن الشمالي الغربي من أرض الجزيرة من الجنوب، وكانت ارمنستان تنقسم إلى قسمين: أرمينيا الكبرى وقاعدتها مدينة خلاط، وأرمينيا الصغرى وقاعدتها مدينة تفليس وكانت أرمينيا محل نزاع بين الروم والفرس وانتهى الأمر إلى تقسيمها إلى دولتين بموجب معاهدة ابرمت بين الامبراطور الروماني والملك الساساني بهرام الرابع. انظر: الموسوعة الشاملة، التعريف بالأماكن والأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير.

ومازندان[1]، وفارس، وخراسان[2]، وكاشغر[3]، وخوارزم[4]،

---

(١) **مازندان**: جاء في معجم البلدان أنها اسم لولاية طبرستان. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٧، ص:٣١١.

(٢) **خراسان**: كلمة فارسية معناها بلاد الشمس المشرقة وهي بلاد واسعة تشكل الشمال الشرقي في ايران وتمتد بين جورجيا وطبرستان من جهة وبين ما وراء النهر من جهة أخرى وكان يتبعها من الناحية السياسية بلاد ما وراء النهر انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مرجع سابق، ج٢، ص:٢٣٢.

(٣) **كاشغر**: مدينة تقوم في قلب جبال(تيان شان) في أقصى التركستان إلى الشرق من طاشقند وسمرقند وهي اليوم من بلاد تركستان الصينية وينسب إليها عدد من العلما والمحدثين منهم أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان الكاشغري، وأبو المعالي طغرلشاه محمد بن الحسين الكاشغري المحدث والواعظ انظر:المرجع السابق

(٤) **خوارزم**: منطقة اسلامية في جنوب بحر آرال أو بح خوارزم وهي نهاية حوض نهر جيحون -امودارياـ وكانت عاصمتها مدينة جرجاتين، وقد لعبت خوارزم دور مهمًا في التاريخ الإسلامي وكان منها عدد كبير من فحول العلماء منهم القاسم بن الحسين الخوارزمي، وسراج الدين أبو بكر السكاكي. انظر: المرجع السابق.

وطبرســتان[1]، وتورك ســتان، وكيلان[2]، وعراق العرب، وعراق العجم، وعراق داديان[3]،

---

(١) **طبرستان**: هي المنطقة الجبلية التي تحيط بجنوب بحر الخزر وتضم بلدان واسعة وحصون كثيرة من أعيان مدنها آمل وهي قاعدة المنطقة وتعرف الجبال التي تمتد حولها بجبال البرز ويطلق على طبرستان مازندان وكانا اسمان مترادفان ثم طغى اسم مازندان وشاع فلا تسمى المنطقة بغيره وكانت المنطقة لأمراء يلقبون بلقب الأصهيذ وظلت على ذلك زمن الفتح يدفع أمراؤها عنها الجزية حتى تغلغل الإسلام فيها وتمكن، خرج منها الكثير من العلماء ومنهم الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري المؤرخ والمفسر الشهير. المرجع السابق

(٢) **كيلان**: –جيلان- تقع جنوبي بحر الخزر وشمالي جبل البرز ويحدها من الشرق طبرستان أو مازندان ومن الشمال ملتقى نهر الكر ونهر الرس وهي حافلة بالمستنقعات ومنه اشتق اسم جيل وهو الطين أو الوحل وتعرف باسم الديلم انظر: تعريف الأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق، ص:٤٣٦

تحدث عنها أوليا وقال: " هي منطقة خصبة ممهدة وبها عشرة آلاف من المنازل العامرة والمأهولة وأسقفها مغطاة بالجص الأبيض، وبها قاضي وشيخ بندر للتجار، وبها محتسب القائم على تنفيذ القانون، كما أن بها عدد ٧٦ محراب بالضبط اولا جامع (...) و(...) ومدينة كيلان في أطرافها مدن وقلاع وقرى ومن حكمة الله أن نأتي هنا على غير تخطيط وهنا اتذكر البيت العربي:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه *** تجري الرياح بما لا تشتهي السفن، وشرح مضمونه

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (أشكال شهر كيلان) ص: ٨٠٤.

(٣) عراق داديان: ذكر اوليا أنه توجد أربع بلدان تسمى بالعراق:

١-عراق العرب وموقعها من قلعة حلب الشهباء

٢- عراق الاكاسرة ومركزها مدينة بغداد.

٣- عراق العجم أو عجم العراق ومركزها مدينة نهاوند التي بالأصل اسمها نوح اويند وحرف الاسم وصار نهاوند

٤- عراق داديان ويقصد بها بلاد داغستان وكان أول بناء لها بعد طوفان نوح عليه السلام

انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٧٧.

وولاية كرمان[١]، وكنجه، وشـروان، وشـماقي، ومكران[٢]، وسـيسـتان، وبدخشان، وأذربيجان[٣]، وسمنان وإيران[٤]، وتوران، وبلخ[٥]،

---

(١) **كرمان:** إقليم يقع بين إقليم فارس غربا وإقليم مكران والمفازة الكبرى شرقا، والخليج العربي جنوبًا وفيه يمتد رأس هرمز، وقاعدة الإقليم مدينة كرمان ومن مدنها مدينة برديسير وكانت عاصمة إقليم بني بويه. انظر: الموسوعة الشاملة، التعريف بالأماكن والأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) **مكران:** إقليم واسع يشمل عدة مدن وقرى، ويقع ما بين كرمان من الغرب وسجستان من الشمال والهند شرقا وتعرف اليوم بإقليم بلوجستان. انظر: الموسوعة الشاملة، التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير.

(٣) **أذربيجان**: إقليم يقع في أقصى الجنوب الغربي من بحر قزوين ويمتد على ساحله ويتصل بحره من جهة الجنوب ببلاد الديلم ومن الغرب والشمال بأرمينا ويجري في شماله نهر الرس ويفصل هذا النهر بين أذربيجان وبين بلاد القوقاز كما يجري في جنوبه نهر سفيدرودأي النهر الأبيض وهذا النهر يفصل بينه وبين منطقة جبال الديلم أهم مدنه (اردبيل –ارميه – موند- خوي- مراغه –تبريز) وكانت مدينة أردبيل قاعدة الإقليم ثم مدينة تبريز في أواخر العهد العباسي وبعد الغزو المغولي أخذت مدينة مراغه مكانها، ثم عادت تبريز إلى مجدها أيام الملوك الصفويين، وتقع أذربيجان اليوم في الجزء الشمالي الغربي من إيران وأشهر مدنها تبريز.انظر: التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، مرجع سابق.

(٤) **ايران**: اسم كان يطلق على بلاد العراق وفارس وخراسان. انظر: الموسوعة الشاملة، التعريف بالأماكن، المرجع السابق، ص: ٣٦٧.

(٥) **بلخ**: مدينة مشهورة بخراسان ومن أجمل مدنها ضمت إلى فارس وكانت مركز للثقافة اليونانية وسوق نشط للتجارة وهي الآن من بلاد الأفغان انظر: المرجع السابق

وبخارى[1]، ومئات الآلاف الموجودة في البلاد كل تلك الأقوام والأجناس يطلق عليهم من أمة محمد ﷺ ولأجل هذا هو سيد العرب والعجم فكل من يقال لهم عرب وعجم يشملهم هذا الكلام. وهناك من أقوام عرب قريش التي فرت إلى بلاد الروم، وهذا بقول المؤرخين في كتاب جواهر الأخبار.

تحقيق وبيان في أقوام الأرناؤط -اللازقه –المكرال-الأبازه– والچراكسة والتي ارتدت عن دين الله وهاجرت إلى الروم ذوو أصول عربية قرشية[2].

ويُذكر في بدء خلافة سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ بالمدينة المنورة أن رجلاً كافرًا من قبيلة قريش ذا شهرة وصيت يدعى جبل الهمه فقأ عين شيخًا عربيًا بالخطأ، وصدر الحكم بما توجبه الشريعة وبموجب شرع الله في الآية الكريمة وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

---

(١) **بخارى**: من بلاد ما وراء النهر تقع في إقليم الصغد غربي سمرقند، وتقع اليوم في إقليم أوزربكستان بروسيا الآسيوية.

Ferit Devellioğ lu ،S.٢٦٧،Osmanlica- Türçe Ansiklopedik Lüğ at

(٢) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧١٨.

فقد صـدر قرار المحكمة بوجوب القصـاص واقتلاع عين جبل الهمه، ولكنه فر هاربًا ومعه جميع قبيلته وأناب أخيه وكان يُدعى پشـــي للقيام بأعماله ووصـل بهم إلى أنطاكية ولجأ إلى قيصـر الروم (خرقيل – هرقل) وطلب منه اللجوء ودخل في تبعيته.

قبل «قيصـــر الروم هرقيل» لجوءهم وأنزلهم بمنطقة جبلية قريبة من أنطاكية، بعد ذلك أغار جبل الهمه على قلعة على ســاحل البحر كانت في حوزة الأسبان الكفرة فاستولى عليها وفتحها ثم اشتق اسم هذه القلعة من اسم جبل الهمه وأطلق عليها قلعة جبليه، وبعد فتح ســيدنا عمر ﵁ للقدس الشـريف لم يكن في مقدوره ولا باسـتطاعته مقاومة سـيدنا عمر فأخذ كل أتباعه وأولاده وعددهم (...) وأبحر بهم إلى أسـبانيا ودخل بتبعيته وأشـفق ملك أسبانيا الضـال على جبل الهمه وأقطعه منطقة جبلية تسمى «افلونيه أو دلونيه» الموجودة ببلاد الأرناؤوط، ولما اسـتقر على هذا الجبل أقوام من قريش أُطلق على هذه الجبال اسـم قريش داغلرى والمعنى «جبال قريش» وكان لجبل الهمه ولد يدعى دوقا كين /توقادين سـكن تلك الجبال وطابت له الإقامة بها فأُطلق عليها دوقات داغى «جبل دوقات» وبعد فترة من الزمن تناسـل قوم جبل الهمه واختلطوا مع الأسـبان ونسـوا اللغة العربية القرشـية وأوجدوا لأنفسهم اللغة الأرناؤوطية.

وبسبب مجيء الأرناؤوط من عرب قريش أُطلق عليهم «عارنابوددن» ثم حُرف الاسم وصار أرناوود والمعنى تخلوا عن عرضهم وناموسهم (شرفهم) ثم عُرفوا بهذا الاسم في بلاد الكفرة، وبعدما اسلم جبل الهمه ومات مسلمًا ويوجد له قبر معروف بمكان يدعى برزك سنك بالقرب من مدينة البصان والأرناؤوط يطلقون على هذا المقام «بوزشك»، ويقولون هذا المكان مرقد جدنا جبل الهمه، بعدما استقر أبناء جبل الهمه، وصاروا كثره في هذا المكان كان منهم من يتألم ويتأذى إذا نودي لهم يا أرناؤوط يسخطون ويعرضون، ولهذا أبحروا إلى بيزنطه إلى مدينة القسطنطينيه بمنطقة غلاطه، والتجأوا إلى الملك البيزنطي، فما كان منه إلا أن قبل لجوءهم إليه ومنحهم أراضي على ساحل البحر الأسود بعد ذلك ترأس كل شخص منهم في قبيلته، فاستقر «لازقة بن جبل الهمه» في جبال طرابزون واختلطوا مع بعض أقوام في جورجيا وبطيب المعشر والألفة تصاهروا وصاروا قبيلة كبيرة ومن هنا جاء اسم قوم اللازقه الذي حُرف بالخطأ وصار اللاز وقد كتبت في (المجلد الثاني)

عن لغاتهم وعباراتهم وأوصـــافهم وولاياتهم، ثم ذهب الابن الآخر ويُدعى «مكرال بن جبل الهمه» أبحر إلى كونيه القريبة من نهر جروغ والموجودة بجبال سنجاق باتوم واستقروا بها واختلطوا وتناسلوا وحُرف الاسم من مكران إلى «مكرل/ مكريل قومى» ولذلك قوم المكريل أصولهم وفروعهم من عرب قريش وقد كتبت في (المجلد الثاني) عن تلك الأقوام النصرانية.

الابن الثالث هو «عبازقه بن جبل الهمه» ابحر واستقر مع قبيلته على سواحل البحر الأسود وصاروا يعرفوا بقوم الأبازه فهم أيضًا من آل قريش كانوا ولهم لغة مختلفة وقد كتبت عنهم وعن سبع وعشرين قبيلة منهم وعن أعيانهم وزعمائهم بالمجلد الثاني، ثم الابن «صدشان بن جبل الهمه» الذي سكنوا الجبال ويعدون من أقوام أبازقه/ أبازه وهؤلاء لم يعرف لهم مذهب ولغتهم مختلفة ولكن أهل جسارة وشجاعة.

بعد ذلك «شفاكه بن جبل الهمه» الذي أبحر هو الآخر، وصعد إلى جبال بلاد الچركس وعند وصوله قلعة انايا اتخذها مستقرًا ومقاما ولهذا يُطلق عليهم أقوام الشفاكه.

ويأتي بعد ذلك من الأخوة أخيهم «بربر بن جبل الهمه» أخذ عائلته ورجاله وسـكن بنطاق جزيرة طمان ولهذا يطلق المؤرخون عليها (بربر زمين) بلد بربر وقد تحدثنا عنهم ســابقًا. والأخ الآخر من هؤلاء الأخوة أخيهم «مامه لوقه ابن جبل الهمه» الذي استقر في جبال حبش/جش ولأجل هذا يذكر المؤرخون ولاية مامه لوقه ببلاد الچركس والأخ الأصغر من بين الأخوة « بوزدوقه ابن جبل الهمه « الذي استقر بأطراف ونواحي «اوبور داغلرى» أي جبال الأبور وهؤلاء هم البوزودوق والسلام.

مرة أخرى وبحســب قول مؤرخين العرب والعجم والتتار بحكاياتهم ورواياتهم عندما لم يقبل جبل الهمه بالقصــاص، ففقأ عينه وهرب إلى بلاد الكفرة تاركًا مكانه لأخيه «بشــه» ليقوم مقامه وكان يطلق عليه اسـم شـيخ العرب وكان ذا بأس شــديد قوي في حكمه وإدارته على ديار مثل يثرب وبطحاء ويلملم وعباس والحجاز والطائف حتى أنه من أمانته وقوته في ايجاد الأمن والأمان بأن يرعى الذئب مع الغنم حكِم على ديار مثل مكة والمدينة واليمن وعدن أُعجب به سـيدنا عمر ﷺ وأبقاه في الحكم وأعطى كلاً من أولاده إمارة ليحكمها.

ونبدأ بأول أولاد شـيخ العرب بشــه «عرب موال/موِلل « وبعده زهد وبعده عمور وبعده «عره نودى زهد/عرنود زهد» وبعده «عمور» ثم «عرنود» ومن بعدهم «حاتوقا» وبعده « ژاناى» ثم «بسناى/بشناى» وبعده «بولقاى» ثم «قبارطاق» أما أكبر هؤلاء الأبناء «كيس بن الشيخ بشه» كل هؤلاء الأشخاص أصبحوا زعماء وخانات لولايات بالعراق ويثرب وبطحاء وقونفوط وموراغ وبندر موهان وبندر زبيده وبندر تعز وقلعة إب وقلعة عرانيه وقلعة صـنعان ومدينة طوله وقلاع عروس ودماريه وحبه والقاهرة وولاية عمرانه ومدينة دينوه.

وبالإضـافة للذي ذكر من ولايات باليمن وحتى مدينة سـبأ كل هذا كان لأولاد شـيخ بشــه الحكم والملك عليه والأكثر قدرة وكفاءة من الأولاد مَلك مناطق في بلاد الحبش، ومدينة زيلع، ودهلك، وموطن اووا، وجرق اووا، وكيف وسـواكن وصـاروا لهم الملك على هذه البلاد، ومن بعض الأبناء من حكم إمارات بالمغرب، واوجله وطرابلس/طرابلوس،

وتونس / طنوس والجزائر / جزاير وطنجه[1] / ص جه وفاس / فيس وفرانكيس[2]، وتلمســان[3]، والســودان[4]، وابســه، واســوان، ودنقوله، وبربرستان، وفونجستان، وولاية داخو، ومغان/معان، وافنو، وماى بورنو، وولاية تفه سكى وولاية رميلت الحمال/ رملة الحمال/ رميلت الجمال

---

(١) **طنجه**: مندينة قديمة بالمغرب الأقصى تقع عند الطرف الغربي من مضيق جبل طارق، وكانت تعرف أيام الرومان باسم "تنجى" ومعناه باللغة البربرية البحيرة ولما فتح المسلمون بلاد المغرب كانت طنجة قاعدة المجاز الكبرى إلى الأندلس ثم خضعت للأدارسة العلويين بفاس ثم للأمويين بالأندلس ثم صارت بعد ذلك خاضعة للدولة المغربية التي تعاقبت على حكم المغرب، وفي بداية العصور الحديثة تعرضت للاستعمار الأوروبي بمختلف دوله (البرتغال –الاسبان –الأنجليز-الفرنسيين)، ولما استقل المغرب عام ١٩٥٣ أصبحت جزء من الوطن المغربي. انظر:الموسوعة الشاملة، التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير.

(٢) **فاس**: مدينة من أهم المدن بالمغرب الأقصى، بناها ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى ١٧٢ه أول ملوك الأدارسة وأتم بناءها ابنه ادريس الثاني ١٩٣ه، كانت في القديم بلدين لكل منهما سور يحيط بأبواب تختص به والنهر يفصل بينهما، وكانت تسمى عدوة القرويين لنزول العرب الوفدين من القيروان إليها والأخرى تسمى عدوة الأندلسيين لنزول العرب الوافدين من الأندلس إاليها وكانت العاصمة لعدة دول في المغرب، ثم تحولت العاصمة إلى الرباط انظر:التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير

(٣) **تلمسان**: مدينة عظيمة قديمة كانت قاعدة المغرب الأوسط ومالا تزال من أكبر مدن الجزائر وينتسب إليها عدد من العلماء والمتصوفة ومنهم سيدي بو مدين، وأبو العباس أحمد بن محمد التلمساني صاحب كتاب نفح الطيب

(٤) **السودان**: يطلق هذا الاسم بصورة عامة في العهد الاسلامي على بلاد أفريقية جنوبي الصحراء الكبرى ما بين بلاد مالي وحتى الحبشة، وقد اختصت بهذا الاسم في العصر الحديث جمهورية السودان الواقعة جنوب جمهورية مصر.انظر: التعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية لابن كثير

.والخلاصة:

غير هذا الذي ذكر أنهم حكموا وأداروا ولايات وقرى داخل جزيرة مصـر إلى أن نفذ أمر الله باستشهاد سيدنا عمر في تلك الحادثة وأيضاً بعد وفاة شيخ العرب بشه بدأت الاضطرابات والمطاحنات والقتال بين الحكام والولاة في زمن الصحابة الكرام ﷺ أجمعين حتى ان أولاد شيخ العرب بشه تقاتلوا وتطاحنوا فيما بينهم وحدث تشرذم شديد، وقامت حرب بين الأمير موال وأخيه الأكبر الأمير كيسو، وانتصر فيها موال على أخيه كيسو، وبسبب الهزيمة، وما جلبته من غم وحزن هرب كيسو بأفراد قبيلته، واستولى على مكانه شخص يسمى «عرب بان »، واستقل بتلك المنطقة مع أول صباح.

وبعد فرار كيسو قالوا سرا كيسو، والمعنى: كيسو ترك ملكه وهرب، بعد ذلك حدث ترخيم للكلمة فصارت سراكيس ومع الغلط والخلط في الكلام انتشرت وعرفت ب چر كسه وعرفت بلسان الروم چر كز وچر كس وبلسان التتار سر كيس / سركس وباللسان الفارسي « سر كش » بمعنى أخذ عقله وباللسان الجغاتئي چاركس أي صار كل لسان ينطقها حسب لغته ولسانه وتلك هي حقيقة ذلك الاسم ومن أوائل الأقوام التي وطأت أقدامهم بلاد الجركس الشغاكه والبربر والمامه لوقه

والبوزودوق هؤلاء الأربع أشخاص يقال لهم باللغة الجغتائية جاركس أي الأربع أشخاص وفي اللغة الموغولية جرقز وفي اللسان العربي يُطلق عليهم (سراكيسه) شراكيسه ناكسه (ناقصه) لأنهم عندما نزلوا إلى مصر قسوا على العباد، وتجاسروا على كل فلاحي مصر،

وحملوهم ما لا يُطيقون من الأعباء ولذا أُطلق عليهم شراكسة ناقصة وبلغة القوموق[1] جاركس وتعني «الرجال جيراننا».

---

(١) **القوموق:** هم السكان الأصليين لسهل قوموق، وما يجاوره من سهول ممتدة بالقرب من سفوح جبال القفقاس يسمون أنفسهم قوموق ويعيشون أكثرهم في داغستان الكتابة عندهم اعتمدوا على اللغة الأدجامسكية التي يكتبها معظم شعوب داغستان وقد كتبت اللغة الأدجامسكية على قاعدة الأحرف العربية حتى عام ١٩٢٨م.

ثم انتقلت إلى الأحرف اللاتينية حتى عام ١٩٣٨م، وبعد ذلك أصبحت الأحرف الروسية هي المعتمدة في كتابة اللغة الأدجامسكية حتى وقتنا الحالي وفي نهاية القرن التاسع عشر صدر أول كتاب باللغة القوميقية الأدجامسكية وكان الكثير من قبائل وشعوب القفقاس تستخدم هذه اللغة في المخاطبات الرسمية بين زعماء القفقاس والقيصر الروسي وكانت هذه اللغة تعلم في مدارس مدن قزلر ومزدوك وستافروبل والقوموق مسلمون من أهل السنة.

ولقد تمت عملية التجانس والانصهار بين القبائل بشكل نهائي في شعب واحد اسمه القوموق في القرنيين الثاني عشر والثالث عشر، وكانت أراضي القوموق مقسمة في ذلك الوقت إلى عدة تجمعات سياسية مستقلة عن بعضها فكانت هناك الخانات التابعة لدولة التتار والخلافة التابعة للدولة الإسلامية، وفي القرن السادس عشر نشطت العلاقات بين القوموق وروسيا التي بدأت عام ١٥٨٩م ببناء مدينة تيرسكو على ضفاف نهر تيريك وفي بداية القرن السابع عشر تم ضم القوموق إلى الإمبراطورية الروسية ولقد مارس القوموق أعمال الزراعة في الحقول والسهول وتربية الحيوانات ورعيها.

وكان القوموق يستأجرون المراعي الصيفية من سكان الجبال بينما يؤجرونهم المراعي الشتوية في المنطقة السهلية وهذا ساعد في بناء سياسة تعامل اقتصادية واضحة بين الجبلين وسكان السهول في داغستان وبمرور الوقت أصبحت مصالحهم الاقتصادية واحدة ومشتركة ومترابطة فيما بينهما، مما حافظ على حالة التعايش السلمي بين مختلف الأقوام في داغستان كما مارس القوموق صيد الأسماك وصناعة الملح لأن أراضيهم تشرف على بحر القزوين وتتوفر فيها مياه الأنهار والبحيرات انظر: مجموعة مؤلفين، القفقاس وروسيا واسيا الوسطى، ترجمة طه الولي، ص: ٧٦

خلاصة الكلام:

إنه في كل لغة ولسان تأويلات مختلفة للاسم ولكن الذي سمعناه هو ما سجلناه وبنتيجة ثقاة المؤرخين في كتاب جواهر الأخبار أن جركس بان جمع أتباعه ورجاله وفروا من الأراضي الطاهرة مكة والمدينة والبطحاء عبر صحراء عنه وسلمى.

وذهبوا إلى بغداد في القرب من مدينة الموصل[1] القديمة واستقروا بها وتناسلوا واختلطوا بالكثير من الأقوام العربية وأصبح يُطلق عليهم عرب كيسو ومنهم من يُطلق عليهم عرب سراكيس وأقوام الأناضول أطلقوا عليهم قوم كيس العربي

---

(١) كانت الموصل في القرن السادس عشر مدينة صغيرة شأنها شأن المدن العربية الأخرى يحيط بها السور من جميع الجهات ولها قلعة على شكل مخمس. انظر: أوليا جلبي، سياحتنامه سى، ج٥، ص: ٧٢٣

وبعد ذلك وفي عام (....) دخل هلا كو بغداد في عهد السلطان العباسي المستنصر بالله[١]، واستمرت الحرب بينهم وبين التتار مدة سبعون يومًا، وفي النهاية أسر أمير المؤمنين الخليفة المستنصر بالله (الصحيح المستعصم[٢])

---

(١) المستنصر بالله بن الظاهر بويع بالخلافة يوم وفاة والده (١٤رجب ٦٢٣/١١يوليه ١٢٢٦م واستمر في الخلافة إلى أن توفي في عشر جماد الآخر عام ٦٤٠ ديسمبر ١٢٤٣، وكانت خلافته ١٧سنة إلا شهرًا ومن آثاره الجليلة في بغداد المدرسة المستنصرية على شط دجلة من الجانب الشرقي، وبناء القناطر، والخانات (الفنادق) ودور الضيافة وفي عهده توفي جنكيز خان ٦٢٤وحل محله في بلاد خراسان ابنه طولوي خان لأن جنكيز خان قسم الممالك عند موته إلى أربع أقسام بين أبنائه الأربعة جوجى وجغطاى وطولوي واوكداى. انظر: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، تأليف محمد الخضري ١٢٨٩: ١٣٤٥ه تحقيق عبده علي كوشك، دار البشائر الإسلامية ص: ٦٧٥.

(٢) **المستعصم بالله** بن المستنصر بن الظاهر بن الناصر بن المستضيء بن المستنجد بن المقتفي بن المستظهر بن المقتدي بن محمد القائم بن القادر بن إسحاق بن المقتدر بن المعتضد بن طلخة بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ففي أبائه سبعة عشر خليفة، بويع بالخلافة بعد وفاة أبيه المستنصر بالله في ١٠ جمادى الأخر ٦٤٠ ٦ ديسمبر ١٢٤٢ ولم يزل إلى أن قتل بيد هولاكو في محرم ٦٥٦/ يناير ١٢٥٨ وبقتله انتهت الخلافة العباسية، توفي طولوي في عهد المستعصم بالله، وخلفه في الملك هولاكو حفيد جنكيز خان فأهمه التوسع في الفتح وأخذ بغداد، قال المؤرخون أن أهل السنة والشيعة الذين يتآلف منهم جمهور البغداديين كانوا في نزاع مستمر وقد أدى هذا النزاع بينهم إلى حروب وشدائد رائدها الجهل والغفلة عن المصالح وكان وزير المستعصم من رجال الشيعة، فكان يسوؤه ما يلقاه أهل مذهبه من اضطهاد أهل السنة الذين هم الجمهور الأكبر، وكان يزيد مساءته أن أهل البيت العباسي كانوا يساعدون أهل السنة لأنهم عماد بيتهم وقد حصل في أواخر عهد المستعصم أن أغار أهل السنة على الكرخ وهو محلة الشيعة فأهانوا أهله وأسرفوا فيهم القتل والنهب فيقال إن الوزير كاتب هولاكو يحرضه على قصد بغداد وطمعه فيها وجُلُ

ثم قاموا بوضعه داخل جلد جمل ما زال رطبًا ولفوه وتركوه في شمس بغداد الحارقة حتى أصبح عجينًا، وبعد ذلك قام جند التتار بدهس وضرب المستنصر بأقدامهم وأيديهم حتى هلك على أيدي هلاكو[1] وجنوده، وهذه كانت نهاية الخليفة العباسي المستنصر بالله وانتهاء دولة آل عباس إلا أن بعض الأمراء العباسيين من أبناء المستنصر قد فروا عبر الصحراء وجاؤوا إلى مصر على أمل أن يعودوا إلى بغداد سلاطين مرة ثانية، وعند دخول هولاكو بغداد في أيام المستنصر جعلها خراب،

رغبته أن تسقط الخلافة العباسية، وأكثر المؤرخون يتهمون ابن العلقمي بهذه التهمة الشنيعة، لقد سارت جيوش هولاكو الجرارة قاصدة بغداد وفي منتصف لمحرم ٦٥٦ نزل بنفسه على أحد أبواب بغداد وأعد عدة الحصار ولم يكن عند الخليفة ما يدفع به ذلك السيل الجارف واكتفى بإقفال الأبواب فجد المغول في القتال حتى ملكوا الأسوار بعد حصار لم يزد على عشر أيام ولمّا رأى الخليفة ذلك استأذن أن يخرج إلى هولاكو فأمر هولاكو أن ينزل باب "كلواذي " أحد أبواب بغداد وشرعت جنوده في نهب تلك المدينة التي كانت حاضرة الإسلام كله ثم تقدم بإحضار الخليفة ومثّل بين يديه وقدم لهولاكو الجواهر النفيسة ولآلئ ودررا معبأة في أطباق ففرق هولاكو ذلك على أمرائه وفي الرابع عشر من صفر ٦٥٦ رحل عن بغداد واستصحب معه الخليفة وفي أول مرحلة قتله هو وابنه الأوسط مع ستة نفر من الخصيان. انظر: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، المرجع السابق، ص: ٦٨٠.

(١) ذكر اوليا أن الثابت عند المؤرخين ان هلاكو مات على الكفر والضلال لكن ابنه آباقاي خان من المعلوم أنه تشرف بالدخول في الإسلام وذكر أن هلاكو كان له من الأبناء خمسة عشر ولدا أشهرهم الآباقاي، وقد كان سلطانًا على كل من إيران والهند والسند ولارستان ومولتان والصين وماجين وحطا وحوطن هلاكو. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (در بيان مزار ستان ابغاى خان بن هلاكو خان در) ص: ٧٨٠

ولم يكتفِ بذلك؛ بل بقر بطون أكثر من سبعين ألف امرأة في يوم واحد بحثًا عن الجواهر والأحجار الكريمة في بطونهم حتى الحبالى منهم لم يرحمهم وكان يخرجون الأجنة من بطون أمهاتهم، وعلى إثر هذه الحادثة الموحشة قتل مئات الالآف على يد التتار، وعند توجه هلاكو بالرجوع مرة ثانية إلى بلاد ما وراء النهر تقابل مع قبائل عرب السراكسة الذين هربوا من هذا الاجتياح إلى صحراء الموصل، وقام بنفيهم إلى منطقة جبل البرز خلف نهر قوبان، وأجبروا على الاستقرار في تلك المنطقة، وكانوا هم أول من سكن تلك المنطقة، وأقاموا بها القرى والقصبات.

وتحدثنا أنه في أول خلافة سيدنا عمر عندما هرب جبل الهمه من الحكم عليه بأن تفقأ عينه فكان أول من سكن في جبال الجركس ابنائه الأربع هم شغاكه، بوزدوقه، مامه لوقه، بربره هؤلاء الأربع ذو الأصول العربية القرشية هم من استقبلوا هؤلاء المهاجرين عرب الجراكسة الذين لهم بهم صلة قُربى وقالوا لهم حللتم أهلاً ونزلتم سهلاً ولاقوهم في منتهى العطف والحب، وبعد أن استقر الأمر قاموا بانتخاب شخصًا منهم يكون حاكمًا عليهم ويأتمرون بأمره، واستوطن الجراكسة مع أقوام القبارطاي في نفس المنطقة، ولاقت تلك الديار استحسانهم،

وأعجبوا كثيرًا بالماء الوفير والطبيعة البديعة، وعمروا بها ٢٠٥ عامًا، ومن أولادهم سبعين نفر كلاً منهم صار له مقاطعة يحكمها، وسيأتي بيان بأسمائهم وقبائلهم إن شاء الله تعالى.

بعد ذلك اختلطت قوم جركس بان العربية المهاجرة بالتتار والأقوام الجورجية، واتحدت اللغات وصارت لغاتهم لغة واحدة ولغة الجركس مثل أصوات طير العق عق لا تستطيع أن تكتب كلمة مما تسمعه لأن حروف كلماتهم كأنها تخرج عبر الأشداق فلغتهم وأصواتهم تشبه أصوات العصافير، فهذا العبد المثقف أحسب نفسي كذلك والعالم السياح جليس العلماء، والذي قضى من عمره إحدى وخمسين عاما بالسفر حول السبع أقاليم والذي وقف بين آيادي ثمان عشر سلطانًا وعلمت بلاغة وفصاحة الديار والبلاد التي قمت بزيارتها، وهم أكثر من مئة وسبعة وأربعون لغة إلا أن اللغة الجركسية لغة طير العق عق هذه لم استطع أن أكتبها، ولكن على قدر الإمكان مما علمته فهم لهم لهجة خاصة جدًا، وهم ليسوا بأهل كتاب لا تستطيع أن تخرج من لغتهم كلامًا أو حروف فهي لغة مثل لغة وأصوات الطير والسلام. ومن حكمة الله أن ترى أقوام الجراكسة أصولهم، وفروعهم، وحسبهم ونسبهم من قريش،

ومنتشــرين فرقا في هذه الديار، وإذا تيســر الحال ســنكتب عنهم قدر طاقتنا، ونعود لما كنا بصــدد الحديث فيه هكذا ظهر الشــفاكه الجراكســة واستقروا بهذه الأراضـي الخصبة شديدة النماء والأجواء البديعة، والتي بها فتيان وفتيات بغاية الحســن والجمال، وعندما نزل الخان محمد كراى إلى ديارهم قالوا له: أنتم ضــــيوفنا، وأهدوه فتاتين لهن وجه ملائكي كالنجوم الوضـاءة كضـوء القمر وضـياء الشـمس، فكل واحدة منهن بقيمة ما بخزائن مصر.

التعرف على قيافة الچركس (١):

جميعهم يضعون على رؤوسهم قبعات سوداء من اللباد مكسوة بالشعر ويرتدون عباءة ضيقة مبطنة بفراءٍ من صوف الضأن أسمر اللون، وعلى خصورهم يضعوا النطاقات أما الأغنياء منهم فتكون عباءتهم مبطنة بفراءٍ من جلود الثعالب أو الدببة يلبسها الرجال في ليالي الشتاء، والجميع يرتدون أثواب خفيفة وقصيرة فوق الركبة ثم تأتي العباءة الطويلة، وغالبهم لا يرتدوا سروالاً داخليًا، وبالنسبة للأحذية فهي متنوعة ومختلفة، فالجميع يرتدي أحذية من الجلد الغير مدبوغ (غير مُصنع)، وبالرغم من ذلك فهي ليست خاصة بهم.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٢٤

فالأحزمة والأحذية مشغولة من جلود وأصواف الضأن، وتكون ناعمة ملساء كالحرير، والأعيان والوجهاء من القوم البكوات يرتدون نوعًا من الأحذية له رقبة(البوط)، ويكون قطعة واحدة مدبوغة ومصنعة بأفخر أنواع الجلود، وتصبغ بلون أحمر عند حرفيين متخصصين، وهذا الحذاء يكون ضيقًا جدًا، ويجدوا صعوبة في ارتدائه وخلعه من القدم، لكن سائر الفقراء في أيام الشتاء يرتدوا أثوابًا من اللون الأسود واللون الأبيض عليها قماش من اللباد ويلتحفون ويتدثرون به من ثلاث جهات ويربطونه حول أعناقهم ويتجولون به على هذه الهيئة، وهذا اللباد ليس له أي فتحات أو ياقات لأنه مصنع من اللباد السميك ومبطنٍ بشعرٍ من الصوف.

وفي أثناء المعارك يضعوا هذا اللباد على وجوههم فيزيدهم حماسة وشعورًا بالثقة ولا يهابون أحد حتى ولو كان أشجع الشجعان مثل افراسياب ورستم، وشغات (هذه أسماء لأبطال في هذا الوقت)، فكأنهم يقاتلون وهم بداخل قلعة محصنة فالسيف لا يقطع والسهم لا يمر، وبعض منهم أثناء الحروب يأخذون هذا اللباد، ويضعونه خلف ظهورهم، وأحيانًا يمسكون به من ناحية اليمين، أو من ناحية اليسار كما تقضي حال المعركة ثم يدخلون إلى المعارك كدببة مسعورة.

أما عن طائفة العسكر أو الجنود، فهم على الدوام يمتطون خيول الكحيلان وبحوزتهم دروعهم وسيوفهم ورماحهم وكناناتهم التي يضعن فيها السهام، وسيوفهم يكون لها أكثر من نصل ونصلان مثل الحربة فعند الاستخدام في المعركة وملاقاة العدو تارة يطعنون بالسيف، وتارة أخرى يضربون به وجميع المشاة الذين يحملون البنادق لديهم مهارة ودقة يستطيعوا أن يصوبوا بنادقهم على عين البرغوث

هم يقوموا بصناعة البارود الأسود لأنفسهم لأن الآلاف منهم يحملون البنادق ولا يحملون الرماح القصيرة، بهذه الديار والبلاد يستحسنون الفرس ذو اللون الأسود أو الرمادي، ويلقبون هذه الخيول بلقب « أوزدمير أوغلى »، وفي الدية يكون مقابل الأسير الجركسي الواحد خمس رؤوس من فئة هذه الخيول.

«طائفة اللصوص» بهذه الديار من لا يعمل بالسرقة ليس شجاعًا ويعدو جبانا ولا يصاهروه معهم، ولا يعطوا إليه بناتهم (لا يصاهروهم لأنهم شرفاء)، وعند حلول الليل يرتدي هؤلاء اللصوص أثواب سوداء، وينطلقوا بهذه الملابس في عتمة الليل وحلكة الظلام للسرقة والخطف للفتيات والأولاد، أو حتى الكهول من الرجال من المنازل والسراديب،

أو من على الجبال، أو من المزارع حيثما يلاقوهم يقوموا بخطفهم فهم لا يبقوا ولا يذروا على شـيء إلا وينهبوه، ثم يذهبوا إلى قراهم وينتظرون من ذويهم الخلاص ودفع الدية لاسـتعادتهم ويأخذوا عليهم قرابة الألف رأس، أو ألفي رأس لكي يحرروهم، أو يبيعونهم كأسرى وعبيد للعثمانيين أو التتار.

وهم يطلقون كلمة ألف، أو ألفين رأس على كل رأس كفرس، أو ثورٍ أو أسير، أو خروف، أو هكذا أشياء من المواشـي والإبل، هم يسرقون من المدن والقرى والأقاليم، ونتيجة لهذه السرقات، أو الأعمال يحصلون على أموالٍ كثيرةٍ جدًا، فهؤلاء اللصـوص مهرة وأمثالهم قادرون على سـرقة العين من الكحل وإبقاء الكحل بمكانه، فهم لا نظير لهم في اللصوصية.

وبالرغم من ذلك لا يتوانوا عن قتل أنفسـهم فداء لمن حل عليهم ضـيقًا من أجل حبة من خردل، فهم يحسنوا إلى ضيوفهم بتقديم المأكل والمشرب، ويقوموا بالتجول معهم ومصـاحبتهم في قريتهم ولو أُعطيت لهم أي مكرمة قليل أو كثيرًا كقوس أو سـهم أو أقل من ذلك، ولو إبرة، أو خيطٍ من حريرٍ يمتنوا، ويسعدوا لهذا جدًا، عائلاتهم وأولادهم لا تتوارى عن الضيوف؛ بل يقوموا بخدمتهم دون غطاءٍ وحجاب على وجوههم، ويعملوا على خدمتهم بمنتهى الحماسـة والنشـاط كما تقوم بناتهم ببسـط الفُرش وتجهيزها بشـكلٍ ملائم.

لكن إذا أتى الضيف بفعل قبيح أو شنيع مع أهل البيت يقتلوه أو يقوموا بطرده لكن إذا مدت يديه إلى الإماء من الفتيات أو الغلمان العبيد، فلا يُعيرون هذا اهتمامًا ولو الضيف غض نظره عن الإماء أو العبيد من الغلمان، ولم يُعيروهم اهتماما فيقولون على هذا الضيف « حاج »، ويُظهروا له كل التبجيل والاحترام، وكلمة «حاج» عندهم يطلقونها على أي رجلٍ يرتدي العمامة، ويطلقوا هذا اللقب على الخبز «چاقو» أو «حاج چاقو» وهم يطهونه على الرماد أو صهد الفحم.

المدح في طعام الچركس(١):

كل معجناتهم وفطائرهم تخبز من دقيق الذرة فهم يقوموا بعمل العجين من دقيق الذرة بعد طحنه ويطهونه ثم يأكلونه وهو ساخن ولديهم طريقة أخرى تُسمى «سزبال» وهي أن يقوموا بطحن الجوز بقضيبٍ من الهون ويُضيفوا إليه بعض الخردل والملح، ثم يمزجوهم مع بعضهم البعض تمامًا ويقدمونه في كاساتٍ للشراب، كما أنهم يسحقون هذا الجوز ويستخرجون منه الزيت ويخلطونه مع الفلفل الأحمر الرومي ويطهون به المعجنات والفطائر،

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٢٦، ٧٢٧

أو خبزًا يأكلونه به، ومن أطعمتهم يأتون بالخراف الصــغيرة (أوذي) ويتخلصــون مما بداخله من الأحشــاء كالأمعاء والكرش، الكبد، والكُلى والدهن المحيط بداخل الأحشاء كما يتخلصوا من الرأس والأقدام، ويغسلونه جيدًا قرابة السـبع مرات بالماء، ثم يُلقون به في التنور كما هو (لحم بعظمه فقط) ويبقونه في التنور وقت طويل حتى يصبح مثل العجين (بهريز العظم) ويقدموه على المائدة بهذه الحالة، وكل ما تناله أيديهم من صـيد ونحوه من الحيوانات يقوموا بطهيه على نفس الطريقة، ويقدم بهذا الشــكل، وأما ما يصـيدونه في الجبال من طيرٍ مثل الحجل والسـمان والبط والإوز يطهونه شواءً مثل عمل الكباب.

المشروبات عند الچركس:

يشــرب الجراكســة لبن الخيل « القميز[1]» وهي خمر من لبن الفرس والعيران والبوظة الحارة والعسل الحار وأيضًا البوظة الحلوة والعسل، كما أن أكثرهم لا يشربون الماء إلا قليل.

وجميع منازل الچركس لها بابان وحولها الســياج ومغطاة بعروق من القصـــب والخوص، وأثناء نومهم يكون الخيل بجوارهم والأســلحة عند رؤوسـهم، وفي أيام الشـتاء يحضـرون حطبًا من أشـجار البلوط الضـخمة، ويشـــعلون بها النار في وســط المنزل للتدفئة، ثم يأتي الأهل والأولاد، ويفترشــون حول هذه النار، وبعد قليل يصــير المنزل ســاخنا ودافئًا مثل الحمام التركي.

(١) **القميز: Kumiss** شراب يُصنع من تخمير اللبن، ولا يزال المغول يشربون القميز حتى يومنا هذا، ويستخدم بشكلٍ واسع لعلاج العديد من العلل والأمراض ولا تقوم بصناعته منزليًا جميع العائلات لأنه يستهلك كثير من الوقت والجهد فالأفراس يجب أن تحلب كل ساعتين في الصيف وكل فرس ينتج نحو ليتر ونصف الليتر من الحليب وهكذا فإنهم يحتاجون إلى حلب ١٢ فرسًا على الأقل لصناعة ما يكفي من القميز ومن الضروري تحريك الحليب ما لا يقل عن ألف مرة باليوم كما ورد اسم هذا الشراب في شعر نديم وهو شاعر عثماني من أهل القرن الثامن عشر. انظر: تاريخ الأدب التركي حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ٢٠٠٠، ص: ١٦ وكذلك انظر: عصر المغول: جورج لاين، ترجمة تغريد الغضبان، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، عام ٢٠١٢م، ص ٢٣٣.

أما الفقراء منهم يفترشـون العشـب وينامون عليه ووسـائدهم من فراءِ الأغنام، لكن البكوات منازلهم مفروشة بالبسط النظيفة واللباد وفراء الأغنام من ضـأنٍ ومعزٍ، أما غرفة الضـيوف تكون مختلفة عن ذلك الشكل للتأمين ينام بصحبتهم شخص أو اثنان فهم يخافون عليهم من اللصوص.

ما يؤخذ عليهم من أشياءٍ:

العجائز من الرجال الذين تخطوا المائة من العمر على الدوام حليقي اللحى تماما ولو وُجدت تكون غايتها لأسبوع واحد، ويقوموا بحلق رؤوسهم من الأمام ومن منتصف الرأس وحتى من خلف الرأس ويطلقوا الشعر الذي يكون أعلى الأذنين ويدلونه، والشـيء الأخر عندما ينتهوا من طعامهم يمسـحوا ما علق بأيديهم من زيت الطعام على رؤوسـهم وحتى الوجهاء والأعيان لا يغسلون أيديهم بل يقوموا بمسحها على الأرض.

العادات القديمة وما ألفه أقوام الچركس:

عند الجلوس على مائدة الطعام وقبل البدء في الطعام يشـعل الشـراكسة شـموعًا وكل فردا جالسـا على المائدة تسـمعه يتمتم ويقول «دانو دانو مامه لوق»فهم عبده للشموع وأيضًا بعد الانتهاء من طعامهم يكرروا هذا القول ثم ترفع المائدة في مشهد غريب وعجيب.

باب في أسماء قبائل الچراكس ونسائهم:

خفال/حيفال– البوزدى– بازروق– مســـوس-جان كرى– جابش ولم يذكر شيء من أسماء النساء (...)

ملابس نساء الچراكسه:

جميع ملابس النســاء من اللباد الأبيض وعليها كوفية بيضــاء، كما توجد نساء أُخريات يُطلقن شعورهم ولا يضعنَ حناء في أيديهم ولا يكحلنَ أعينهم أما الأثرياء من الســيدات يرتدين قفاطين من الحرير تكون ضــيقة لحدٍ ما والكوفيات تكون زاهية بالألوان.

بيان أسماء نساء الجركس:

(فراغ عدة أسطر في الأصل)..............

خلاصة القول توجد أحوال عجيبة وغير مألوفة لمئات الآلاف من أقوام الچراكســـه، من حيث الســـلوك والأوضـــاع والأطوار والعمل والمأكل والمشرب والملبس كما سنأتي بالمزيد عن تلك المشاهدات والسلوكيات.

ولقد جلس محمد كراي خان خمسة أيام في بيشكو قبيلة، وتجولنا بالخيل بذلك الإقليم، ثم اتجهنا من شـفاكه نحو الجنوب إلى الجبال والغابات مسـير سبع ساعات.

بيان بوصف الشكل لقلعة اناپا **(١)**:

قلعة اناپا قائمة منذ زمن طويل وبنيت في عصر الإسكندر الأكبر وبعد فترة من الزمن جاء الملك البيزنطي واستولى عليها، وبعد ذلك وفي عام (............) فتح **Özdemiroğlu Osman Paşa** (أوزدمير أوغلو عثمان باشا) بلاد الچركس وأُخذت القلعة من البيزنطيين وترك المناطق التي بجوار القلعة مثل «عاصى چركس» وأطراف ولاية الأباظه مهدمة على حالها، وقلعة اناپا تقع على ساحل البحر الأسود على ارتفاع شاهق بشكل مستدير ورائع وهذه القلعة لا يوجد بداخلها أي جنس من البشر، وبالخارج توجد قرية شفاكه الچركسية وهي مغطاة بعدد مئة من أعواد الخوص وأعواد القصب وتوجد جبال اناپا خلفها وقلعة اناپا ذات شكل دائري ومميز رائعة المنظر، ومشيدة على الطراز القديم بأيادي مهندسين ومعماريين مهرة جدًا.

واناپا بها ميناء يتسع لمائة ألف سفينة، وعند هجرة الشفاكه في أول مرة وإبحارهم من بلاد العرب والبانيا والقسطنطينية مروا من ميناء انابا واستقروا بتلك الديار، وميناء اناپا من أكبر المواني على ساحل البحر الأسود وأكبر من مواني مثل اين كرمان واولوطه

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٢٨

وهو آمن تماما ضد الرياح والعواصف القوية بسبب عدم اتساع مضيقه حتى أن الكفرة الروس كانوا يقومون باستخراج اللؤلؤ من هذا الميناء وإلى الآن فإن بعض الزوارق الروسية يستخرجون منه اللؤلؤ ولقد تم تعمير وترميم هذا الميناء من قبل جميع قبائل الأباظه والچركس والنوغاى وطلائها وتزيينها.

ويفد إلى هذا الميناء تجار من جميع الأحناس والكثير من البضائع المختلفة، ولقد صال وجال الحقير بداخل سهول وغابات مناطق الشفاكه

وقد عبرنا نهر پسفى من هناك في مسير الساعة على ظهور خيلنا وأيضًا نهر «پزى چاى» عبرناه بخيلنا، وهذان النهران «پسفى» و»پزى چاى»، وتدفقهم ومنبعهم من جبال حايقو «حايقو داغلر» الموجودة في ولايات الأباظة ويسيرا باتجاه منطقة يلدز وأطراف ولاية الشفاكه ويستمرا في جريانهم حتى المصب في نهر قوبان العظيم ثم يمتزج مائهم بماء نهر قوبان الذي يختلط مائه عند مضيق آدا خون في البحر الأسود والعبور من هناك إلى قبيلة الشفاكه الچركسية يستمر مسير ثلاث ساعات.

«نهرقوپســـى» أيضـــا يتدفق من جبال الأباظة ومصـــبه نهر قوبان والعبور، وهذا النهر أيضـا عبرنا منه على ظهور الخيل في مسـير الأربع ساعات.

قلعة شاتقرى(١):

قلعة شـــاتقرى قام بتشـــييدها البيزنطيين وقام بفتحها Özdemiroğlu Osman Paşa ثم هدَّمها ورغب بإعمار وبناء قلعة أخرى في أراضـــي الشفاكه لكنه شيدها عند قوم النوغاى والقلعة قريبة من « نهر شـاتقرى »، وهذا النهر مســير ســاعتين، ثم يتبعه «نهر آبرغان»، وهذان النهران «شاتقرى وآبرغان» ينبعان من جبال الأباظة ومصبهما مع نهر قوبان ومن هناك مسير الخمس ساعات.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٢٩

ولاية بشكو قبيلة ژانا الچركسية أي قوم زانا ومقر الامارة:

الولاية تقع في أسفل ومحيط جبال حايقو الأباظية « وبها عدد خمسمائة منزل مسقوفة ومغطاة بأعواد القصب والخوص وأميرها يُدعى «آنتنوقدر» وتحت إمرة هذا الأمير عشـرة آلاف فارس من البواسـل بعتادهم وخيولهم وجند المشـاة چراكسـة أشـاوس شـجعان معهم بنادقهم، وهم دومًا في جدال وقتال وحرب مع قبيلة صـدشـه الأباظية، عندما نزل الخان على عندهم أهدوه فتاة مختارة وبعض الغلمان لأن أمه كانت من بنات ژانا ولم يعطوا شـيء للسـلطان سـلامت كراي ورافق الخان عند وداعه عدد ألف جندي بالبنادق ومن هناك اتجهنا شرقًا في مسير الساعتين.

«نهر أدا قوم» القريب من «نهر سـتازه» وبدايتهما ولايات الأباظه ويصبا في نهر قوبان وعند الاتجاه ناحية الشرق ممرنا بالغابات والكثير من الأشجار العالية.

ولاية زانا الصغيرة**(١):**

زانا ولاية تضم عدد أربعون قرية من القرى العامرة المعمورة قاطنيهم كلهم من البواسـل الأبطال، ويبلغ عدد جنودهم ثلاثة آلاف جندي وينبع من تلك الولايـة عدة أنهر «نهرآبن» و«نهر حـايل» و «نهر بيل» و «نهر آبورغان».

وهذه الأنهار الأربعة بها آبار ماء الحياة وقد عبرت الخيول تلك الأنهار بصعوبة ومعاناة، وتتدفق هذه الأنهار من جبال الأبور بولاية الأباظة؛ مرورًا بأراضي زانا الصغيرة حتى تلقى «نهر قوبان»، وتلك الأنهار اثنان منهما عبرناهما سيرًا على الأقدام، والآخران عبرناهما بعمل جسرًا من الأشجار لنمر عليهما، والمياه في تلك الأنهار شديدة التدفق والجريان، واتجهنا شرقًا من هناك في مسير الخمس ساعات.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٣٠.

ولاية حاتوقاي العظيمة:

نزل السلطان كراى ضيفًا على هذا الأمير وصادفت هذه الليلة ميلاد طفل للأمير فأعطى للطفل اسم الضيف، وأطلق عليه «جان كراي» لأن التقاليد والعرف عندهم تقضي بأن يُسمى المولود باسم الضيف الموجود في هذه الليلة، ومن تقاليدهم أن تقوم برعاية المولود وإرضاعه غير أمه، وتقوم تلك المرضعة برعايته أفضل من والديه حتى يشتد عُوده وإذا لم يكن هناك من مسافرين (ضيوف) بهذه الليلة يُعطى الغلام اسم من أسماء جيرانه هذا هو العُرف والتقاليد عند تلك أقوام الچركس.

كان أمير الحاتوقاي ثريًا جدًا يملك الكثير من المواشي والحيوانات ويملك ثمان ألف من الجند بكامل عتادهم، وهذه الولاية أراضيها شاسعة شديدة الخصوبة والنماء ومثمرة ورخيصة الأسعار ولقد نشبت الحروب بين الحاتوقاي، وبين القالمق وملك موسكو بسبب مقتل ابنه، ولقد استقرت بعض من أقوام التتار والنوروز بعد عبورهم «نهر اديلى» وسهول هيهات على ضفاف نهر قوبان الموجود بأراضي الحاتوقاي وصار بين أقوام الحاتوقاي وأقوام الچركس مصاهرة حتى صاروا أخوة بهذا النسب والمصاهرة

وجملة ما كان لدى الحاتوقاى عشرة آلاف من الجند ويملكون ستة آلاف خيمة والجند بكامل أسلحتهم وعتادهم وبعد الإقامة في الحاتوقاي مع الرفقاء والأصدقاء توجهنا إلى الشمال في مسير ساعتين.

قلعة نوروز كرمان:

في عام (...) شيد هذه القلعة محمد كراى خان من أجل نوروز مرزا وتقع هذه القلعة في غابة أرضها مستوية على ضفاف «نهر قوبان وتحيط الأشجار الكثيفة القلعة من الأربع جهات كما يوجد بكل جهة من الأربع برج وبها بابين، البوابة الكبيرة من ناحية الغرب والباب الصغيرٍ على نهر قوبان والبابان يطلان على ناحية الشرق، ويوجد بداخل القلعة جامعٍ واحد وخمسة بنايات ويوجد على كل برج من تلك الأبراج مدفع صغير، والقلعة ليس بها جنود ولا حراس ولا محافظ، والقلعة شيدت لتأمين وحماية أقوام النوروز والتتار عند الشعور بأي خطر وخوف يفر جميع الأهالي والأولاد إلى القلعة أو عندما تُشن عليهم غاراتٍ من قبل قطاع الطرق واللصوص من القالمق أو اللصوص من الچراكسة، وعند مرور الخان من بلاد النوروز أهدوه خيل اليورغا وفتيات من النوغاي وبمسير الخمس ساعات بين الغابات.

«نـهر ووبن»:

يتدفق هذا النهر من جبال الأبور الموجودة بولاية الأباظة ويســتمر بسيره حتى المصب في نهر قوبان وقد عبرناه بالخيول في مسير الساعة.

قلعة اقوبس كرمان:

شــيد هذه القلعة البيزنطيين في عام(...) والذي فتحها أوزدمير أوغلو عثمان باشــا الچركســى Özdemiroğlu Osman Paşa حتى تدخل طوائف الچركس تحت إمرته وتبعيته، وجعل القلعة آمنة ومحصــنة، ومع مرور الأيـام خربـت وتـهدمـت، وحتى الآن ليس بهـا محـافظ أو أي من الجنـد والحراس، وقام بإعمارها الحاتوقاي الجراكســة لكنه أســكن بها نوروز النوغايى،ولو أسكنها للچراكسة سيقومون بالعصيان والتمرد، والقلعة جميلة المنظر وقد شيدت على سهل منبسط من أحجار القراميد وهي قريبة من نـهر آقوپس وهذا النـهر منبعه من جبال اوبور/ اويوز ومصبه نـهر قوبان.

قرية صوباي:

وهذه القرية كثيفة الخضرة كأنها قصبة ففيها أشجار الضخمة وبساتين مثمرة وبها عدد خمسمائة منزل، وجميع أهل القرية أرباب حرف وأهل صنعة لكن القرية ليس بها حوانيت، وجميع الأعمال والحرف تدار من المنازل، وجميع أرباب الحرف تجدهم بالقرية وبها البشكو مقر إقامة أمير الحاتوقاي جان كراي، وهنا أُهدي للخان الغلمان والفتيات ذوو حسن وجمال كما أحسنوا للحقير وأهدوني غلاما صغيرًا وقد رافق الخان ١٠٠٠ جندي من الچركس مسلحين ببنادقهم، ومعهم٣٠٠٠ فارس من نوروز النوغايي من أجل الحماية والإرشاد ومن هناك في مسير الساعة جهة الشرق في طريق على طرفيه الأشجار إلى «نهر شبيز/ شبز» يتدفق أيضًا من جبال اوبور إلى أن يشترك مع نهر قوبان وعلى ضفاف هذا النهر

قرية بدسي[1]:

هي أيضًا تقع في إقليم حاتوقاي الچركسى ضمن نطاق جبال اويوز وهي قرية عامرة بها قرابة ثلاث مائة حانوت والقرية تتوسط بين جبال اويوز الأباظية والجراكسة، الثلوج لا تنقطع عنها صيفًا ولا شتاءً، والقرية بها جبل شاهق صخوره ذات لون ارقش (منقط) ويلاصق جبل البرز، وعلى مسافة خمس مراحل صوب الشمال توجد سهول هيهات، وهذا الجبل الشاهق يُرى من مسافة خمس، أو ستة مراحل للقادم من جميع الجهات.

عجائب وغرائب السحرة ومعاركهم:

هذا الحقير عندما كنت في قباق (قرية) الجركس ليلة العشرين من شوال وكنا في عام ١٠٧٦ه (٢٤ابريل ١٦٦٦م) قال سحرة وكهنة الچركس ومعهم أقوام من أبور الأباظة بأنه في هذه الليلة تقوم قيامة الدنيا وسيكون هناك جلبة كبيرة وضوضاء من أصوات الصواعق والرعد والبرق وستكون الليلة مظلمة كأنه يوم الحشر والنشر للغاية ثم ويضاء وجه السماء وتتبدد ظلمة الليل الحالك ضياءً ونورًا لدرجة أنه من الممكن أن سيدات الچركس يقمن بالتطريز وشغل الإبرة تحت هذا الضياء.

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٣٣

ولما سـألنا الچراكسـة عن هذا قالوا والله يأتي في هذا الوقت من السـنة الجن الأسود ويأتي سحرة الجركس وسحرة الأباظة ويتواجهوا ضد بعضهم البعض وقد حان الوقت فاذهبوا بالخارج للمشـاهدة ولا تخافوا، وكنا حوالي من سـبعين إلى ثمانين شـخصًـا خرجنا بأسـلحتنا من المنازل والخانات وانتظرنا ثم رأينا انطلاق سـحرة الأباظة من خلف الجبل ومن وراء جذوع الأشـجار الموجودة بالجوار ثم بدأ يتسـاقط علينا أشـياء عجيبة وغريبة مثل أواني فخارية وأخشـاب من مراكب البحر وحصـير وقش والآلاف من الأشياء والأشياء بمختلف الأنواع كانت تتساقط من فوق جبل أويوز.

ثم خرج علينا نفر من أقوام الچركس ووزع علينا مئات الأشـياء من الحديد والصـاج ومن سـنون العاج الخاصـة بالأفيال، ورأينا حمم ونيران بالهواء، واسـتتر كل الموجودين بالأشـجار وبعد ذلك رأينا جيقًا من الخيل والبقر والإبل وثعابين وحبال تسقط، وبدأ العراك بين سحرة الأوبور الچراكسة وسحرة الأباظية كانت هناك أصوات عظيمة صاخبة ومتداخلة حتى إننا غشينا أذاننا وكنا في دهشة عظيمة.

ولقد استمر هذا العراك والتشاجر قرابة الست ساعات، ثم بدأ مرة أخرى سقوط أقمشة من اللباد والحصير وسقوط عمائم، وبعد ذلك تساقطت أشلاء من رجال وحيوانات وسقوط زلع وأواني فخارية محطمة وبعض أجزاء من مراكب وعجلات العربات وأثواب وقبعات ذات فراء وتوابيت كانت كل تلك الأشياء بدأت في السقوط وحدث هرج ومرج وهياج شديد من الخيل الموجودة التي أصابها الهلع والفزع لدرجة أننا كدنا نفقد السيطرة عليها وامسكنا بها بصعوبة بالغة بعد ذلك تقاتل سبع أشخاص من الأبور الچراكسة مع سبع أشخاص من سحرة الأباظة.

وبدأوا في التصارع والقتال مع بعضهم البعض في مصارعة خاصة بهم ولما هلع الچركس وتفرقوا تمكن سحرة الأباظة منهم وقتلوا اثنان ومصوا دمائهم من منطقة الرقبة (الأعناق) والخمس الباقون فجأة كانوا قد اختفوا (طاروا في الهواء)، وللثأر لأجل من قتل من الچركس تمكن الأهالي من اثنين من سحرة الأباظة وأحرقوهم.

والحاصل: تلك الليلة سهرنا حتى بدأت الديوك بالصياح ونحن نشاهد هؤلاء السحرة ولم ترى أعيننا قط شيئًا كهذا فاللسان لا يستطيع أن يصف ويشرح ولا الأقلام تستطيع أن تكتب، في هذه الليلة، ومن هول ما رأينا والفزع والرعب والخوف الذي اعترانا لم تعرف أعيننا النوم، ولا أجسامنا الراحة من شدة الضوضاء، وتلك الأصوات والصراخ والصياح، وحتى بعد أن انتهت الديوك من صياحها استمر سقوط الأشياء في إنحاء الغابة وعلى قمم الجبال، واستمر صوت التحطم وانشطار وانشقاق الأشياء، وعندما لاح الصباح ذهبت ومعي الأصدقاء المسلحين إلى موقع التشاجر والقتال ووجدنا أشياء مسجاة على الأرض كجثث الخيل والخنازير، والأواني الفخارية وحطام للسفن، ومراكب وجثث لأناس نبشت قبورهم وأخرجوا منها، وجيف الخراف والمعز، وأنواع مختلفة من الجثث والجيف.

والحاصل: أنا الحقير كنت منكر وغير مصدق لكل ما يدور من حولي لكن من معي من العسكر ويبلغ عددهم ألف جندي أزالو عني الكثير من تلك الحيرة والدهشة، لأنهم سبق أن رأوا هذه الأحوال الغريبة والعجيبة مرات كثيرة، لكن بعض أشخاص من الچركس أقسموا بأنهم لم يروا معركة وشجارًا وصل إلى هذه المرتبة والقوة من قبل منذ أربعين أو خمسين عامًا فقد كان في أوقات أخرى سابقة يقام القتال، وأطرافه من خمسة إلى عشرة سحرة، وتنتهي بتحطم بعض الأواني والزلع الفخارية والعربات، لكن ما حدث هذه الليلة مشاهد عجيبة وغريبة جدًا، وهذا ما قالوه.

وعلى الجانب الآخر: في نطاق جبل اويوز، وفي أنحاء ونواحي قرية بدسي تحصينات تشبه القلعة، وبها عدة طوابق من الشجيرات، وهذه الطوابق مغطاة بالأشجار الكبيرة والأخشاب والسياج تشبه سور القلعة، وهذا هو شكل القباق والبشكو (القرى) في ولايات الجركس والسبب في تلك التحصينات أن جميع أقوام وعشائر الجركس في عدوات مع بعضهم البعض، لا تنقطع خصوماتهم ولا تمر لحظة دون عراك وقتال لأجل السرقة والنهب ويفرون إلى وراء الجبال، مثل قبائل وعشائر الأباظه (آرث/ ارت، صدشه، وجنبه، وقاميش،

وصـــوق صـــو/وصـــووق، وآشــغى، ويوقارد، وقرشـــان/ ومرشـــان باختصـار جميع عشـائر وأقوام الأباظة والجركس في خصـومات وعداوات مع بعضـــهم البعض، وبالقطع لا يمر يوم دون قتال قبيلة أو عشـــيرة مع العشـائر الأخرى، ولا يوجد احتمال من أن تسـتقر عشـائر الجركس بمكان واحد سـواء في القباق أو البشـكو قرابة العشـر سـنوات، وإذا مرض أمير العشـــيرة، أو عدة رجال من أعيان القبيلة، وأودى المرض بحياتهم فإنهم يتشائموا من القرية ويهجروها ويبحثوا عن مستقرٍ آخر بالجبال، أو الغابات، ويقيموا فيه تحصيناتهم ويضـرموا النيران في قريتهم القديمة، ولهذا السـبب لا تختلف الديـار الجركســـية عن الديار الأباظية فهما ليس بهما حدائق وبسـاتين بشـكل مستقر وثابت، ونجد أن بعض الطوائف من الجركس تقول: «لا إلـه إلا الله»، ومع ذلـك يـأكلون من لحوم الخنـازير حتى ذيلهـا ولا يصـومون ولا يقيمون صـلاة ولكن إذا ناديت على أحد بقول كافر عندئذ لا تأمن على نفسك من القتل أو الأذى.

وليس بهذه القرية كنائس أو أســـواق وخانات أو حمامات، وجميع منازلهم تفتح أبوابها للضيوف ولو دخل الضيف إلى المنزل فهو آمن تماما على أمواله ونفسه ولا يأتيه ثمة ضرر أو أذى؛ حتى ولو كان الضيف عدو وخصم لصاحب الدار يقبل ضيافته ويرعاه، ويموت من أجله، ولو كان المضيف فقيرًا لا يملك أموالاً تجده يستعير النقود كي ينل الرضا من الضيف؛ عند ذهاب الضيف لو أعطى صاحب الدار شيء بسيط يسر بها جدا، وكأنه حظى بما في الدنيا.

المدح في فتيان وفتيات هذه الديار: ليس بهذا العالم مثل هؤلاء الفتيان والفتيات في الحسن والجمال إلا ببلاد النمسا والشام وولاية حوران، ولا في مثل خيولهم الكحيلان، والسمور الموجود على قمم الجبال، وما اشتهر بهذه الديار عن الأفراخ البرية والقطط الوحشية والنمور والماء والهواء وبالرغم من ذلك ليس بها حدائق ولا بساتين، وفي هذا الإقليم السادس البرد قارس جدًا لكن في ثمانين يوم تنضـــج الثمار من الليمون، والاترج، والزيتون، والتين، والرمان، وكثير من الفواكه، وبهذه الديار الواقعة بنطاق جبل البرز الشتاء أطول الفصول، ولكن السكان بأحسن صحة وعافية.

بعد ذلك اتجهنا نحو الشـرق في مسـير الخمس سـاعات، ولم يبقى مع الخان غير ١٠٠ رجل من العبيد، وقد تخطينا طرق جبلية ومررنا بمنطقة مدافن وقبور تسـمى (تمه شـا) وبهذا المكان دارت رحى حرب عظيمة بين العشـائر، ولم ينجو بها من أحد فلا تجد غير التلال المتكدسـة والمتراكمة للقبور والمدافن، وهذا هو الشـكل للقبور في بعض الديار ومن هناك وفيما بين ولاية الأباظة وولاية الجركس «جبل خير قاخنج وقد مررنا على مئات الآلاف من المشـاهد والقبور، وهناك نهر «سـوب» ومنه إلى نهر «يدى كتوق» ثم «كوجك بشه قوبش/بسه قوبس» وهذه الأنهر عبرناها ونحن على ظهور خيولنـا وجميعهـا تتـدفق من جبـال اويوز ومصـبهم نهر «مويانه/قوبان»ولكننا لم نستطع أن نعبر من نهر «سنه موسى/بشه قوبس» الفياض من شدة سيله وطغيانه حتى أن جند من الجركس أتوا للعون والمدد لجند الخان وفي هذه الليلة رأينا ألوان من العذاب والألم وقد أقاموا حصـن على ضفاف النهر للمبيت؛ هذا النهر تسميه النوغاي «قزلر كتجن / kizlar kitgin»، والسبب أنه في أحد ليالي العرس وعند مرور أهالي العروس من هذا النهر غرقوا جميعًا وهذا سبب التسمية، وحقيقة الحال أن مياهه ملعونه، وعند الصباح سكن طغيان النهر وعبرنا إلى الجهة المقابلة[1].

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٣٩.

«ولاية قوم الآدمي»:

بداية حدود ولاية الآدمي مسير الثمان ساعات داخل الأحراش وحتى وصولنا إلى جدول مائي صغير وبه مكثنا ليلتنا، وفي الصباح تابعنا المسير إلى جهة الجنوب مسافة ثلاثة ساعات.

التعرف على قرية الآدمي:

هذا البشكو موجود في أسفل جبال الأباظة عند ضفاف نهر «قزلر الجان» وبه قرابة ٥٠٠ منزل ويجلس قيه أمير الآدمي واسمه «ديكوزى بك/وكوزى بك» ويمتلك جيش مقداره ثلاثة آلاف من الجند لكن هؤلاء الجند ليسوا على القدر من الجسارة والمهارة في القتال لكن لديهم اموال أو حيواناتهم كثيرة جدًا، وجميعهم من أبناء الجركس المنتسبون والمحتسبون من قبيلة قريش وهذه القبيلة لا يأتيها أذىً مطلقا من جانب أقوام الأباظة وأقوام الجركس بل يولونهم بالرعاية، لكن أقوام التتار تتحين الفرصة لأذيتهم، وجميع الحيوانات بهذه القرية تعلق في رقابها الأجراس والجلاجل من الحديد أو النحاس وجميع أهل هذا البشكو اهل حرفة وصنعة، وقد التجأ اليهم بوقت من الأوقات أبناء الخان جوبان كراى «عظمت كراى سلطان « و»... سلطان» وعندما عزل الخان وذهب إليهم كانوا في سعادة وسرور ولكن جميع قوم الآدمي عبدة شجرة[1].

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٤٠.

التعرف والمشاهدات عن الشجرة العظيمة:

هؤلاء القوم يتعبدون لشــجرة ضــخمة جدًا تقع جنوب قرية آدمى في مكان بعيد وناء وفي مرجٍ واسع من الخضرة توجد هذه الشجرة والتي يصل طولها إلى عنان السـماء، وأوراقها مثل أوراق شـجر الحور لكنها ليسـت بشجرة الحور والأوراق صفراء اللون تخرج منها رائحة مثل رائحة المسك والعنبر والزعفران وشكل الأوراق لا بالطويل ولا المستدير.

ولو أن إنسانٍ وضع في يده ورقة من تلك الأوراق وفركها بيده تظل في يده ريحها الطيب طوال الأسـبوع وحتى أن أهل الفنون والحرف من أقوام الچركس يضـعوا من هذه الأوراق بداخل ثيابهم كي تفوح منها رائحة تشـبه رائحة الزعفران وهم يتهادونَ من تلك الأوراق من دارٍ إلى دار ولونُ هذه الأوراق لا يتغير مع مرور الوقت؛ حتى إن ظلت مائة عام، كلما زادت عمرًا هذه الأوراق تزيد طيبًا وعطرًا.

وهذه الشـــجرة العظيمة يبلغ اســـتدارة جزعها ما يســـاوي قدر اثنان وعشــرون رجلاً باســطين أذرعهم مع بعضـــهم البعض لا يســتطيعوا أن يحضنوا ذلك الجزع إلا بصعوبة فإلى هذا الحد الشجرة ضخمة جدًا ويوجد بها عدد مائة وسبعون غصنًا على تلك الشجرة وضخامة الغصن يساوي عشــر رجال باسطين أيديهم لاحتوائه فالغصــن الواحد قدره من خمس إلى ستة رجال كما أن عدد الأفرع من تلك الأغصان لا يعلم حسابها إلا الله.

كما يوجد الكثير من تلك الأغصـــان الضــخمة منها ما يلامس الســماء والأغصان يصل ارتفاعها إلى مقدار ارتفاع من أربعين إلى خمسين رجلاً، وينتشر ظل تلك الأغصان في كل نواحي وأطراف الشجرة بحيث يمكن أن يســتظل به معســكرٍ للجيش العثماني، وفي تخميني أن ظل تلك الشـــجرة العظيمة يسع ألف سرب من قطيع الأغنام، وحتى أن هذا الحقير علمَ علمُ اليقين وحق اليقين وعين اليقين أن الظل لهذه الشجرة وقت الظهيرة يصل إلى ثلاثة آلاف وخمس وأربعين قدم وهذا الظل يكون من جميع الجهات وسبحان الله على تلك الشجرة العجيبة والعظيمة في الشكل والخلق صنع الله الذي أحسن كل شيء، وكل غصن في هذه الشجرة له شخصية وتميز وروح تنثر أضوائها وكلما أمعنت النظر تظن أن تلك الشجرة كائن حي.

ومما يستحق النظر والمشاهدة أنه تحت ظل هذه الشجرة العظيمة قام أصحاب أعمال البر والخير بإقامة العديد والعديد من القاعات والمقصورات والمطابخ والعيون الجارية والقنوات المائية والصوامع وأمدوها بالفرش والأبسُط والكراسي وذلك لأنه في كل سنة من شهر أغسطس في حصاد موسم الكرز يجتمع تحت ظل هذه الشجرة العظيمة من خمسمائة إلى ستمائة ألف من الأجناس والألسن المختلفة، وتقيم قبيلة الآدمي الچركسية الأسواق للبيع والشراء مدة أربعون يومًا وأربعون ليلة في منظر يستحق الرؤية والمشاهدة؛ كأنه بحر من الخلائق يسير تحت ظل تلك الشجرة.

وخلاصة القول أن كثير من الأقوام من الهند والسند والصين والماجن والمنغول والروس يأتون من السبع أقاليم إلى هذا المكان للتجارة بكل ما هو ذو قيمة من المتاع لأجل البيع والشراء في ذلك السوق، فكثير من الكفرة عُباد تلك الشجرة يؤمنون بها ويستمدوا ويستبشروا الخير من نور تلك الشجرة.

العبر العظيمة من تلك المشاهدة:

والمعتاد كل عام أن يأتي تحت ظل هذه الشـــجرة الالاف يبيعون ويشـــترون في محيطها ويتعبد حولها أصـــحاب المعتقدات الباطلة، وعُباد الشجرة يشعلون مئات الآلاف من الشموع المتنوعة كشمع العسل وشمع الدهن وكل أقوام الچركس عند ذهابهم إلى تلك الشجرة يضعوا كل ما تبقى من آلات حديدية إســـتخدموها في الحروب وما يلقفوه من خناجرٍ وإبرٍ ومسلاتٍ ثم يقوموا بقدحها في جذع الشجرة.

والحاصل أنه لا يوجد نوع من أنواع الحديد والمعادن غير موجود على جذع هذه الشـجرة فهم من آلاف السـنين يأتون ويغرسـون أدواتهم في هذا الجزع ثم يعودوا أدراجهم فأصبح كأنه بحر من الحديد فهم حسب معتقداتهم الباطلة يؤمنون بأن كل من يأتي إلى الشجرة لا تنساه، وتشفع له وتخلصه من العذاب، عذاب جهنم بعد الممات، حتى أنه لا يوجد في أطراف هذه الشـجرة على طول قامة الإنسان مكان لوضع، ولو مسمار، أو مسلة،

ولذا فهم يصــعدون على ظهور الإبل لكي يجدوا متســع لمســمارٍ كي يغرســـونة، وإذا لم يتمكنوا، فيكون الحل في النهاية الصــعود بواســطة الخطاطيف والســلالم، ثم يثبتون ما معهم من مســامير، وما تبقى من قطعٍ الســلاح التي قد كُســرت بإحدى المعارك، وهذا الحقير ســأل أقوام الآدمي والعجائز من أقوام النوغاى عن أصل تلك الشجرة وأجابوني بالآتي:

بأنه عندما انتهى «الاسكندر ذو القرنين»[1]

---

(١) احتفظت الذاكرة البشرية بالكثير من الحكايات والمرويات والأساطير مشافهة أو تدوينا على الرقع الطينية أو على أوراق البردي أو الجلود وصولا للأوراق ومن تلك المرويات التي وصلتنا حكاية مثيرة ومدهشة عن شخصية لفها طابع الغموض والإثارة والغرابة وورد ذكرها في الكتب المقدسة ونعني بها شخصية ذو القرنين الذي نسجت حوله مئات الحكايات واشتهر بمغامراته عن ينبوع ماء الخلود الذي من شرب منه أصبح خالدًا أو حكاياته مع الكائنات الغريبة التي عرفت باسم يأجوج ومأجوج، وكذلك الغموض الذي اكتنف سد ذو القرنين الشهير والفريد من نوعه من حيث البناء والمواد ليمنع هذه الكائنات من الخروج والعبث مع الأقوام الأخرى، هذه الأقوام أو الكائنات الغريبة قد أثارت قريحة الكتاب والآدباء فراحوا يصفونهم ويحكوا أخبارهم السالفة ويتداولوا أخبارهم اللاحقة في آخر الزمان إذ سيظهرون مرة أخرى بعد أن يدك السد، كما جاء في الموروث الديني الإسلامي؛ لتخرج هذه الأقوام الشريرة من جديد لتغزو الأرض، وتعيث فيها فساد، والناس يتساءلون في كل زمان ومكان عن صحة الأخبار، ويطالعون القصص في المصادر لمعرفة الأسرار، ومن أهم تلك المصادر التي رسمت الخطوط العريضة لقصة ذي القرنين وأقوام يأجوج ومأجوج والسد وغيرها، كانت في أصدق الكتب وأحفظها من التغيير والتزوير، ذلك هو كتاب الله "القرآن الكريم" يقول الله تعالى في سورة الكهف {ويسألونك عن ذي القرنين قل سأتلوا عليكم منه ذكرًا * إنا مكنا له في الأرض وآتيناه من كل شيءٍ سببا} فالله تعالى يذكر ذي القرنين في كتابه ويثني عليه كما أثنى عليه بعد ذلك النبي الكريم محمد "ص" في الكثير من الأحاديث الشريفة والتي نقلها عنه معظم المفسرين والعلماء حتى أصبح ذو القرنين يذكر في عداد الأنبياء والأصفياء ويسلم عليه عند السلام عليه، يقول احد العلماء واصفا ذو القرنين أنه كان ممن جمع له الله خير الدنيا والآخرة، أما خير الدنيا فالملك العظيم الذي بلغ مغرب الشمس ومطلعها، أما خير الأخرة فبسط العدل وإقامة الحق والصفح والعفو والرفق وكرامة النفس وبث الخير ودفع الشر واطلق عليه اسم ذو القرنين إشارة إلى أنه يمسك بقرني الأرض ويتحكم فيها كما يمسك الراعي بقرني ثوره ويقوده. انظر: محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، سلسلة اعلام القصص القرآني، دارالقلم، دمشق، ٢٠٠٧. وانظر: الملاحق، خريطة رقم (٩)، ص: ٣٢١.

من عمل سـد يأجوج مأجوج واسـتقر بهذا المكان أحضـر إليه جبريل عليه السلام هذه الشجرة من الجنة وقال له:

(يا إسكندر الله يقرئك السلام وأرسل إليك هذه الشجرة هدية وهي فرع من شـجرة التوبة أغرسـها هنا وستظل حتى يوم القيامة لك ولمن بعدك لكي يعبدوا الله تحت ظلها)، فبأمر من الله تعالى أحضـر جبريل عليه السلام للإسـكندر هذه الشـجرة من الجنة وقام النبي إسـكندر بحفر المكان– وسـيدنا الخضـر الذي غرس الشــجرة، ولهذا كان إشــعال الشــموع والتعبد تحت ظل هذه الشـجرة وتلك كانت إجاباتهم، وعندما سـألتهم هل أمركم الله بأن تعبدوا تلك الشجرة ردوا هذا ما رأينا عليه أجدادنا وأسلافنا، يقوموا بذلك ففعلنا.

عبرة عظيمة وبالغة:

إن هذه الشـجرة المعمرة تعيش منذ ألف عامًا تقريبًا وعلامة ذلك مئات الآلاف من الأغصان التي تشبه أغصان شجر التوبة والتي ليس لها أخر من الطول وعلى طول هذا الوقت والزمن وهي تنمو ولو كانت شـجرة أخرى لفنت أو اندثرت.

والحاصـل: تلك الشـجرة لا يوجد بداخلها سـوى الفراغ والمكان فسـيح جدًا وشـاسـع من الداخل، وتوجد بالزوايا والأركان الفُرش والبُسط من جلود وفراء الحيوانات وباتجاه القبلة من تلك الشجرة باب ارتفاعه قامتين واتساعه قدر القامة.

ولو أمعنت النظر بشـــيء من الدقة فلن تجد عند حواف هذا الباب أي علامات تعفن حتى أن السـابقين بالماضـي كانوا يضـعون على أطراف هذا الباب شـيْ من آلات القتال؛ مثل البلطة، أو السـكين، وأشـياء من هذا القبيل، وعلة وضـعها منع دخول الشـياطين، ولقد قام أصـحاب البر والخير بعمل حديدٍ سـميك على أطراف ذلك الباب حتى يظل مفتوحًا على الدوام، وكان مسـلمي قبائل النوغاى والتتار، وأقوام من داغسـتان يعتبرون باب تلك الشجرة هو المحراب[١] وبداخل الشجرة متسع لأداء صلاة يسع ١٠٠: ١٥٠ شخصًا من أمة محمد ﷺ لأداء عباداتهم.

وقد حكى صـديق أمامي يدعي جان القريملي أنه أثناء ذهابه إلى هذه المنطقة تصـادف نزول وابلً شـديد من المطر، وكان عددهم سـبع وسـبعين فـارس بخيلهم وعتادهم، فما كان منهم إلا أن التجأوا وتحصـنوا بداخل الشـجرة، فسبحان الله الخالق على ضخامة تلك الشجرة في الحقيقة لقد رأيت ببلاد البحر الأبيض في قرية «استان كوى» بجزيرة سنك قلعة وأمام ساحة باب هذه القلعة توجد أشـجار «چنار» وفي جزيرة موره بالحديقة الموجودة بقلعة بادرا يوجد بداخلها شجر «سروى»

(١) **كلمة محراب**: مرة يقصد بها الجامع والمسجد ومرة أخرى يقصد بها المحراب نفسه

وفي البوسنة بقلب جبل «داويا أو دوايا» شجر گورگن، وغير ذلك من آلاف الأشجار رأيتها لكن ليس بضخامة وجمال ولا حجم أفرعها وأغصانها تلك الشجرة العظيمة الموجودة بولاية آدمي Âdemî.

كم عجيب وغريب صـنعة الله في خلق تلك الشـجرة العظيمة - والله سبحانه وتعالى أعلم- أتوجد شجرة لها مثل قد وقامة وجسد تلك الشجرة على وجه البسيطة ؟ فهذا الحقير ساح وجال ثلاثون عامًا، ولم ير مثل ضخامة وحجم هذه الشجرة.

سبب تسمية قوم الآدمي بهذا الاسم، وطلسمات الكهنة:

يشاع أن أقوام آدمي من الچراكسة ويوجد كهف كبير موقعه في الجهة المقابلة من ناحية القبلة للشجرة العظيمة التي تحدثنا عنها سابقًا، وينبع من ذلك الكهف ماء يُسمى قزلر كتگن وقزلر آلغان يجري متدفقا من الكهف، ويصب في الخارج، وعند مدخل ذلك الكهف يوجد هيكل من النحاس على شكل إنسان قامته طويلة تساوى طول قامة اثنان مثلنا ممسك بيده اليمنى قضيب شائك ثقيل جدًا هذا القضيب كجمرة من نار متكئ على كتفه وهذا القضيب لا يتحرك من على كتفه وإذا أراد إنسان أن يدخل إلى هذا الكهف أو أراد الخروج

، فلابد له من أن يجتاز ماء قزل الغان وأن يمر من أمام هيكل الرجل النحاسي وهناك باب أخر في مواجهه هذا الهيكل النحاسي وعند الولوج من هذا الباب تُرى الخزائن المتراكمة والكنوز كأن أموال قارون قد جمعت هنا، عندئذ سأل العبد الحقير مرشدونا من قبائل الآدمي الچركسية لو أردنا التقدم إلى الداخل للمشاهدة هل هذا ممكن ؟

فأجابوا نحن دخلنا كثيرًا أما إذا أردتم الدخول للمشاهدة والخروج سالمين فعليكم عدم المساس بأي شيء من تلك الكنوز المتراكمة والمتراصة فقط شاهدوا عند ذلك تخرجوا بسلام وأمان، أما إذا أُخذ شيء ولو بمقدار ذَرةٍ ستنغلق الأبواب وتفيض مياه قزل الغان وبعد ذلك تتلقون ضربات وضربات من ذلك القضيب الشائك حتى تصيروا قطعًا أو كالهشيم وأقسموا لنا بالله على ذلك تسع مرات ونحن بدورنا أقسمنا أننا لن نأخذ شيئًا ولو مثقال حبة من خردلٍ.

وعند دخولنا من الباب الخارجي تعوذنا بالله ألف مرة ومره ثم تجاسرنا وقلنا « يا حفيظ يا الله» ثم دخلنا وفي أثناء مرورنا من أمام هذا الهيكل العملاق طرفت عيناه وتحركت مثل رقاص الساعة، ثم سُمع صوت انشقاق، وتحطم وبدأ القضيب الموجود في يد الهيكل النحاسي بالتحرك عند ذلك قال لنا مرشدونا لا تفزعوا

ولا تخافوا الآن لن يأتيكم أذٍى لكن إذ أخذتم أو خبأتم شـيئًا ونحن نهم بالخروج عند ذلك تخافون وتهلعون، وبعدما ذكروا لنا هذا الحديث هدأت فرائسـنا ثم دلفنا إلى الداخل، وكان خرير مياه القزلرغان قوي جدًا يصـب، ويجري في قنواته المائية التي عبرنا منها بسـلام حتى إننا لم نتوقف عن تلاوة آيات من القرآن إلى أن أدركنا الباب الثاني لتلك المغارة، وفي لحظة وصولنا عند الساحة الواسعة وقعت أعيننا على ما لا أستطيع أن أصفه، ففي كل ركن من الأركان أكوام متراكمة من الجواهر والدرر المتلألئة واللامعة، مئات الآلاف من الأحجار الكريمة التي تشع وتضيء المغارة.

الشـاهد: أنه لا يوجد من مخلوق خلقه الله رب العالمين يمشـي على الأرض أو يطير بالسماءِ أو يسبح في البحر إلا وجدت منه صورة أو هيكلاً من الذهب، أو الفضة، أو النحاس في هذه المغارة الواسعة والحاصل أن تلك الهياكل والتماثيل صـنعت من إثني عشـرة نوعًا من المعادن المختلفة مثلت كل ذي روح على وجه البسـيطة وقد ملئت بهم المغارة وكل واحد من تلك الهياكل، أو التماثيل المصـنعة يقف على قدميه وفوقه مثله، وبينما نحن على هذا الحال أخذنا نطالع تحت أقدامنا على الأرض، وفي كل مكان أحجار اللال والياقوت، والألماس، والزمرد، والزبرجد، والسـيلان، والفيروز، وعين الحر، وعين الهر، وعين السمك، والكهرمان،

وأحجار من الذهب، ومن الفضة، وفي الناحية اليمنى للمغارة (الكهف) توجد صحون فضية ومراجل (قدور كبيرة) لا تحصى ولا تعد من الذهب والفضة وحجم كل واحدٍ من تلك المراجل يسع لعشرةٍ من العجول أو الجاموس، بالإضافة إلى الصواني والأطباق وأسياخ شواء الكباب وأعداداً لا تحصى من الكراسي الذهبية لا يعلم عددها إلا الله، كنا ننظر إلى أنفسنا في ذهول من تلك المشاهدات وتلك الكنوز العجيبة والرائعة؛ مع ملاحظة أنه لم تمد أيدينا على شيء من ذلك كله كما نبه علينا مرشدينا.

وبعد ساعة مررنا من جانب الهيكل النحاسي الآدمي ونحن نتمتم مئات الآلاف من المرات « بسم الله »، « ونعوذ بالله » كنا قد فقدنا الحس بالشعور، ولم نشعر بالراحة والطمأنينة إلا عندما خرجنا جميعنا كادت أفئدتنا أن تتوقف، وكانت أقدامنا ورُكبانَنا ترتجف كأوراق الشجر في فصل الخريف..... وآهٍ آه لو أخذنا أو طمعنا في شئ من تلك الجواهر والدرر، أو شيئًا من هذا الذهب والحلي لفاضت المياه فجأة، وغمرتنا وضُربنا بذلك القضيب الشائك من الرجل النحاسي حتى نهلك تمامًا، وكل ذلك في ما بين طرفة عين وانتباهتها، فلو أن هذا القضيب نزل على رأس أحدنا لجعله مثل ضفدع (inegöl) وسحقه تمامًا.

لكننا رأينا وشهدنا ولم تمد أيدينا على شيء ولذا خرجنا في أمان وسلامٍ، مشاهدات عجيبة وغريبة لهذا الطلسم الشهير ونشير إلى أن أقوام الآدمي أُطلق عليهم آدمي لوجود هذا الهيكل «الإنسان النحاسي»، وبحسب معتقدات هؤلاء الأقوام أن الإسكندر ذو القرنين بعدما انتهى من تشييد سد يأجوجى/يأجوج ومأجوجى من معادن شتى ومختلفة وهو في طريقه إلى تلك الديار دخل تلك المغارة وجمع الخزائن والمقتنيات الثمينة وكساها بالفضة ثم قام بدفن تلك الدرر والمجوهرات.

وبعد ذلك أقام مضيقا يربط بين البحر الأسود والبحر الأبيض حتى يختلط ماءهما وهذا ما نقلو إلينا، وعن ذكر المغارة أمام بابها يجري، ويسيل ماء قزلر آلغان على الناحيتين يمينًا ويسارًا وتوجد كنوزٍ ومدفوناتٍ لا تحصى تحت هذا الماء، وتوجد مدافن ومزارات في تلك الديار لأقوام من الهند والمغرب والأوزبك والرومان يقيمون مزارات لتلك الديار، وبالرغم من أن بلاد الچركس بها الآلاف من هذه العجائب والغرايب والطلاسم والكنوز التي لا تحصى، ولا تعد فإن أهلها سذج لا يعرفون قيمة ما لديهم ومنهم قاطني الجبال الجهلة لا يدركون شيئًا، ولا تفرق بينهم وبين جنس البهائم، ولقد أمدت أقوام الآدمي الخان بألف جندي ببنادقهم، ثم ذهب الخان إلى الشرق والحقير إلى منطقة جبلية ناحية الجنوب في مسير الخمس ساعات.

التعرف على ولاية تقاقو ابناء سراكيس العربي القرشي:

هؤلاء القوم أيضًــا من مكة وهم من نســل وذرية ســراكيس العربي الهارب، وهؤلاء طوال حياتهم لا علاقة لهم بالعســكرية، ولا يمتون لها بصـلة، وعشـيرتهم جميعها قوامها ثمانية آلاف وبالرغم من كثرتهم لا يوجد معهم أسلحة إلا القليل من أجل الصيد في الجبال ولا يظهرونه، ولهذا السبب لم يتأذى أو يتضــرر أي من القبائل الأخرى مثل الأباظة[1] أو الچركس أو النوغاي التتار منهم أبدًا وهم أيضًا لم يؤذوا أي شخص أو فرد.

وأقوام «تقـاقو»Takaku كـل حيوانـاتهم بـالجبـال ليلهـا ونـهـارهـا نومهـا وقيامها ترعى بالمرعى بلا راع أغنامهم وحملانهم لا تأكلها الذئاب، ولا تمتد إليها أيادي اللصــوص فهم يعلقون الأجراس ويضــعون الجلاجل في أعناق دوابهم، وهم أيضــا على نفس نمط الچراكســة في هيئتهم وملابســهم، وأيضًــا يضـعون أربطة رأس سـوداء ويسـدلون شـعورهم من على جانبي الرأس لكن يختلفون عن الچركس في شـكل اللحية فهم ليســوا حليقوا اللحى؛ بل جميعهم يُعفون لحاهم، وهم يسـجدون لله تعالى ولكن ليس لهم دراية بأمور مثل الحشر والنشر والميزان والموازين.

---

(١) ابازه / آبازا: كتبت بهذين الشكلين.

ونجد أن قوم «تقاقو» ليس لديهم خنازيرٍ ولا دواجن ومعتقدهم في ذلك أن أماكن وحظائر الخنازير والدواجن نجسة ولذلك لا يطعمونها ويحرمون أي شيء يؤخذ منها وهم لا يشربو الخمر ولا البوظة بل يشربون مشروبات تدعى مقسيمة البوظة وشراب عصير العسل وأقوام « تقاقو» تختلف عن الچركس أيضًا في المذهب والعقيدة ويذكر الجراكسة أن أقوام تقاقو من «قوم الچفود»، ولذلك لا يقتربوا ولا يتعاملوا بأي شكل من أشكال المعاملات كالبيع والشراء مع الچركس، وهم لا يتعدوا على الأسرى لو وُجدت في قراهم، يملكون الكثير من الحيوانات في الجبال ولديهم كثير من الأولاد، ومن ناحية الجنوب من جبالهم توجد قبيلة صدشه من ولاية الأباظة.

وهؤلاء القوم «تقاقو» أهل صنعة وحرفة، عندهم حائكي ملابس مهرة وبارعون، وتخرج من بين أيديهم مناسبة، وملائمة جدًا على أصحابها، وتظهر هذه المهارة والبراعة في عمل النقوش الكثيفة على الياقات والأساور، وغير الحائكين من أهل الحرف يوجد الحدادين، ومن أسماء بكواتهم»(...) (...) فارغ؛ هذا، وقد أهدوا الحقير خمسين زوج من فراء حيوان الدلق وخمسين زوجٍ أخرى من حيوان القط البري، وذهبت من هناك إلى ناحية الشمال في مسيرة اليوم داخل الغابات

مدح عشيرة البولاتقائى/ البولاتقاى ابناء سراكيس العربي القرشي:

(بولاتقاى–پولاتقاى) هذه الأقوام أيضـا فارين من مكة والمدينة المنورة وينتهي نسبهم إلى سركس / سركش العربي وسرنا مسيرة الخمس ساعات إلى أراضــيهم بمناطق وعرة ملعونة وســط الجبال في طقس باردٍ قارس ويعبر من هذه المنطقة نهرين (نهر ماتى)، ونهر پچار/ پچاز ويتدفق النهران من جبال حبش الموجود بولاية الأباظة ومصــبهما في نهر قوبان وقد عبرنا النهرين ونحن على ظهور خيولنا.

وكانت مظاهر الخراب تعم القرية وجميع نواحيها وأهدي أمير تقاقو الخان جلود فراء من حيوان الدَلَق والنمور وقد قضــينا ليلة كانت عنيفة الطقس لهطول الثلوج بغزارة وكانت العواصــف الثلجية والأعاصــير قد أودت بحياة بعض الرجال وأهلكت خيلهم، ومع هذا استيقظنا بوقت السحر وسرنا مسير سبع ساعات مع اتجاه الرياح النجمية حتى بلغنا (نهرپشش) ومنه مســافة منزل واحد إلى(نهرســحاقوش/ســحاقوشــه) وهما من الأنهار الكبيرة الفياضــة التي تجري وتسيل مياههما باستمرار ومنبعهما من ولاية الأباظة إلى أن يلتقيا نهر قوبان

ويقع على ســـاحل هذان النهران «قريـة بـارزق بـك/ بازروق بك /بازدوق بك /بازوق بك» وهي تحوي ١٠٠ منزل مغطاة أسـقفها بالقصـب ومحاطة بالســياج ولكننا لم نمكث بهذه القرية وعبرنا «نهر ســحاقوش» تصاحبنا الآلام والهموم والأحزان وسرنا لمسافة ألف قدم

قرية بولاتقاي Bolatkay:

تقع على سـاحل نهر سـحاقوش وبها عدد ثلاثمائة منزل تشـبه القلاع وأفنية المنازل محاطة بالجدران مثل «البشـكو» القصـور وأصـحاب عرش هذه الولاية يطلق عليهم أبناء (بوله توق– نوله بوق) وهم سـبع من الأخوة أكبرهم اسمه بلسـان الچركس سحه دوقدر / سـجه دوقدر وبعده – بوزدن - ويليهما مرزه - ثم بازروق، وبعدهم: (باقوق – باتوق– يافوق).

ومن العادات المتبعة في ولاية الچركس أنه لو ولد طفل وصـاحب الدار لديه ضـيف يحمل الطفل اسـم الضـيف، ولا فرق عندهم إذا كان الضـيف مسلمًا أو كافرًا، وهؤلاء الأخوة السـبعة المذكورين بالأعلى يمتلكوا مائة « قباق « أو قرية من القرى العامرة ولديهم عشرة آلاف جندي بأسلحتهم أجناد ذوي كفاءة وجميع قبائل الچركس يملكون الشــجاعة والجســارة والجرأة وأعدائهم كثيرين لكن النصـر دائمًا حليفهم والسبب في ذلك وعورة أماكنهم وانحداراتها الشديدة.

بعد ذلك نزلنا ضـــيوفًا على آل مرزه وأعطونا جميعًا منازل مجهزة بفروشـها ومراجلها وفي اليوم الثاني وجدنا جميع قبائل البولاتقاي تسـلحوا وحاصـروا الخان وأغاروا علينا وكانوا كُثر كطير العق عق وأحدثوا جلبة وضـجيجًا وقاموا بخطف الابن الثالث « جان بك « من يد أبيه الخان بالقوة والإكراه وحدث هرج ومرج بعد خطف الابن وأخذ الجميع يواســي الخان وقالوا له... ربما في أقرب وقت يعود الشاه زاده أو يرسلوه إلى الجبال وقد ظل الخان يبكى متأثرًا بما حدث، وأخذ يقول: الآن أنا بلا حيلة ولا سـلطة ولا تاج ولا عرش وليس في مقدوري عمل شـيء ومع هذا كله يُخطف ابني وعلى الجانب الأخر فرح الخاطفون جدًا من أقوام الچركس بالشـــاه زاده فرحة لا تعادلها فرحة وأخذوا يطلقون الأعيرة النارية في الهواء وأخذوا ينشدوا وهم بالطريق قائلين[1].

وقاموا بنحر مائة وعشـرون من الخراف إكرامًا وعزة للأمير، وقالوا يوجد عند أقوام الآدمى ابن جوبان كراى، ونحن لدينا ابن محمد كراى ربما يصير سلطانًا أو يصير الخان....

(١) واراده واراده واش واراده *** تنه تيه آتا خرى واش واراده. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٤٨.

.... لا يوجد أي شكل من أشكال العملة عند الچركس فلا أقچه ولا پول ولا غيرها من المسكوكات، وجميع متاعهم يكون بالمقايضة والتوافق، ويكون الحساب، أو القسمة بحسب النوع، وحسب الزمن فما قيمته وقدره أربعون اقچه يسمى حصة والقرشلق يثمن بتقسيم الحصة على ثلاث وهكذا يكون الحساب عندهم ويطلقون على الحيوانات مثل الحصان أو العجل والقيم من الحيوانات رأس أو رأسين، والأسير فتى أو فتاة تحسب بعدد مائة رأس أو مائتين حصه فكل بيوعهم وشرائهم وأسواقهم لا يستعمل فيه القرش ولا الاقچاوات، إلى هذا الحد أسواقهم عجيبة وغريبة وسلعهم في غاية الوفرة والرخص.

ومكثنا ثلاث أيام في ظل اجواء رائعة وقاموا بإهداء الخان هدايا كثيرة، كانت كل مخبوزاتهم من طحين الذرة، وهم يطهون الخراف والحملان برأسها وأرجلها لا ينزعوا منها شيء ومشروباتهم من عصير العسل وأنواع من البوظة الحارة، ويأكلون لحم الخيل ولحم الخنازير السمين منها فقط، وغالب المسلمون منهم يؤدون الصلوات شكليًا.

الخلاصـة جميع أقوام الچركس على هذا الحال، وهذه الأقوام مشـهورة جدًا بالجمال والحسن، وحتى الجميلات من الفتيات يلاطفن الضيف لكن لا يقدمن على أي أفعال قبيحة.

قبيلة النوغايي ذوو الإبل:

هؤلاء القوم فروا من موسكو وعبروا نهر «اديل» إلى الناحية الأخرى إلى سـهول هيهات وأرادوا الإقامة عند أقوام القالمق التتارية بالقرب من ولايات الچركس لكن لم يكن بمقدورهم، فعبروا نهر قوبان وإلى الآن يقطنون عند أقوام الجركس في مكان بين البولاتقاي وبين جبال الآدمي.

وأعدادهم تبلغ ثمانية آلاف شـخص وجميعهم موحدون ومؤمنون بالله وهم على مذهب الأمام الشافعي، وهم أقوام لديهم هيبة وجسارة وقد أهدوا الخان بعض خيل اليورغا وبعض العبيد وعند العودة إلى قرية البولاتقاى أعطى أبناء هذه القرية للخان ألف قطعة من البنادق وسرنا متجهين ناحية القبلة (الجنوب) مسيرة الستة ساعات بمناطق جبلية وعرة جدًا وشربنا من بئر به ماء الحياة ومررنا بقرى وديار ليس لها أسماء معروفه.

التعرف على ولاية البوزدوقه ابناء عم سراكيس «مامه لوقه»:

هؤلاء القوم أيضًا من أولاد سركش/ سراكيس القرشي وسركش من إخوان جبل الهمه الذي ذهب إلى ألبانيا وأولاده هم أول من وطأت أقدامهم بلاد الچركس وهم أقوام «البوزدوق» و«مامه لوق» Mamaluka.

وولاية البوزدوق مشاع بينهم وبين ولاية الأباظة وجميع عمليات البيع والشراء عندهم تتم بينهم وبين الأباظة ولا يفصلهم عن بعض إلا جبل صغير ومن هذه الولاية توجهنا مسيرة الساعتين إلى قرية پدس/ قباق پدش والقرية بها مئة منزل ومنها توجهنا مسيرة الثلاث ساعات باتجاه القبلة إلى

قرية البوزدوق:

يقيم في قرية بوزدوق عظمت گراي وهو يملك جيش مقداره ثلاثة آلاف جندي وفي وسط جبال الأباظة الوعرة الشاهقة التي بها الكثير من الحيوانات البرية مثل الأسود وحيوان الوشَق، والنمور والثعالب والفيلة والثيران وغير ذلك من الحيوانات البرية، وهذه الأقوام مختلفة عن الچراكسة في دفنهم للأموات فهم لا يضعون أمواتهم في قبورٍ وبعد ذلك يُهيلون عليهم التراب؛ بل يأتون بجذوع الأشجار الضخمة مثل أشجار البلوط، وتنحت جذوع هذه الأشجار لتصير مثل الصندوق،

وبعد ذلك يضـعون الجثة فيها، ويحكموا إغلاق فم الجثة جيدًا ثم يلف الصندوق بالأغصان، ويحكم إغلاقه، وبعد ذلك يثقب هذا الصندوق بثقب عند الرأس وثقب عند القدمين وبعد ذلك يأتي النحل ويدخل ويخرج من تلك الثقوب وعند صنعه العسل يستدلون أن ميتهم بالجنة، وإذا لم يصنع النحل العسل يقوموا بالصراخ والنحيب؛ لأن ذلك دلالة على أن ميتهم في نار جهنم، فيعتريهم ألم شديد وحسرة، ولتخليص روح الميت من العذاب يقوموا بنحر من خمس إلى عشر خنازير ويوزعونها على أهل القرية فبحسب معتقداتهم الفاسدة أن الثقب الموجود عند الرأس تُرى منه الجنة والثقب الموجود بالأسفل تُرى منه جهنم[١].

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٥٠

حكاية لطيفة وغريبة:

الله شاهد بأن هذا قد حدث، ذات مرة ونحن بهذه البلاد نزلنا على واحدٍ من أهل القرية الچركس بداع الضيافة وبعدما استقبلنا وأحسن لقائنا، ذهب إلى الخارج ثم عاد بعد وقت قصير، ودخل علينا ومعه قربة من فراءِ القطيع فأحضرها إلى المائدة، وكان بداخل تلك القربة وعاء خشبي به عسلاً، ووعاءً آخر به جبنُ، ووعاء ثالث به فطائر ومعجنات وقدمه لنا وقال تقدموا للطعام، وهذا العسل من أجل روح أبي كي تتحرر وتنجو من العذاب، ونحن بدورنا أقدمنا على الطعام بشهية مثل المنطلق حديثًا من السجن نتضور جوعًا وكل واحد منا قد شمرَ عن ساعديه كنا نأكل بسرعة وبنهم شديد لدرجة أن أعيننا كانت لا تدرك أيدينا، ولكن هناك شيء غريب الشعيرات في العسل كثيرة كنا نخرج ما نستطيعه من أفواهنا ونضعه على جانب من المائدة ومضيفنا يقول: « هذا العسل عسل أبي »، وكنا عند هذه اللحظة قد دفعنا عنا الجوع وأحسسنا ولو قليلاً بالشبع، فكنا نصفي العسل من تلك الشعيرات والمضيف يقول كلوا هذا جميعه من أجلكم وعندئذ سألت:

ما هذه الشعيرات الموجودة مع العسل أهي من قربة المعز أم من قربة الضأن !؟

فلما سأل صاحب البيت بلغته الچركسية من أين هذا العسل ؟

بسرعة بدأ الچركسي في البكاء وقال اليوم أخرجت أبي من القبر ففهمنا سبب بكائة، ولكن ما لم نفهمة هذا الأنهيار الشديد الذى يكتنف الرجل فقال في الشهور السابقة مات أبي، وقمنا بوضع جثته بالصندوق ووضعناه على الشجرة الكبيرة الموجودة بالفناء الخارجي فأتى النحل وقد صنع عسلاٍ من منطقة الفخذ، وما بينهما ومن حبي لكم أحضرت لكم العسل بشعيراتة كما هو كلوا العسل واتركوا الشعيرات وعندما خرج المضيف خرج الحقير إلى الخارج وقمت بالتقيؤ من الطعام الذي أكلته وظللت ألعن تلك العادات عند هؤلاء القوم.

وكان صاحب المنزل قد خرج لُيعيد جثة أبيه للصندوق ويغطيه تمامًا كما كان ويترك الثقوب لدخول النحل وخروجه، وكان الرجل يقوم بذلك وهو يبكي أباه وسألني أن احتجت عسلاً؛ لأنه قد احضر الكثير منه وسألنا الدعاء والرحمة لأبيه فإلى أي مدى هذه العادة الغريبة.

بعد ذلك جاء جميع أهل القرية ونزلوا على قدم والخان ورجوه بلطف أن لا يمانع في البقاء والمكوث قليلاً- وحاجى گراى ليس بحاج،

ولكنه ولد في العيد الأضـــحى فأطلق عليه «حاجى گراى» وهو ابن (كراى) سلطان القرم وبسبب شدة تمسكهم وبكائهم مكث الخان بتلك القرية وبعد الضـيافة الكريمة منحوا الخان الهدايا وأمدوه بألف قطعة من السـلاح ومن هناك اتجهنا صوب الشرق مسير الستة ساعات إلى «قباق يارقوى».

هذه القرية أيضًـا تابعة إلى عشـيرة البولاتقاى وفيها ثلاث مائة منزل مغطى بالخوص والقصب وهذه القرية تقع على ضفاف «نهر لاب»، وهذا النهر يتدفق من جبال البوزدوق ومياهه ضـحلة وقليلة ثم يختلط مائه بماء «نهر سحاقوش» والنهران يختلطان مصبهما نهر قوبان، ومن هناك اتجهنا مرة ثانية باتجاه الشرق في مسيرة (....) ساعات.

التعرف على ولاية مامشوع ابن سراكيس القرشي:

وهذه القبيلة أيضا من أبناء سراكيس الذين جاءوا من مكة والمدينة وهم يقطنون في عمق جبال الأباظة بمنطقة جبلية وعرةٍ جدًا وسط غابات كثيفة الأشجار وتبلغ أعدادهم قرابة العشر آلاف وليس بينهم زعيم أو رئيس، وهم ليسـوا جنودًا ولا أهل حربٍ وقتال بل أصـحاب حرف يدوية ويوجد منهم رجال يلقبون ب»تاقو» والقسـاوسـة والرهبان هم الحكام وهؤلاء ليس بأهل كتاب ولا يتبعوا أي من المذاهب والمعتقدات وهؤلاء القوم لا يخالطون غيرهم في بيع ولا شراء ولا مصاهرة لا يأخذن

ولا يٌعطين بنات من دون عشيرتهم حتى ولا يأكلون مع غير عشيرتهم فهذه القبيلة لا تلتصق بأي شيء مع جيرانها، وهم أيضًا يعلقون النواقيس والجلاجل في رقاب حيواناتهم عند رعيهم في الجبال بدون راع أو رعاة وهؤلاء القوم لا يأكلون الخنازير ولا الدواجن ولا يتعدون على أموال وأرزاق غيرهم.

وهم حسنو السلوك مع ضيوفهم فلا يسرقوا منهم شيء وتٌسفك الدماء عندهم من أجل حماية الضيوف وتوجد لديهم أطعمة مثل الجُبن والعسل والبقوليات والحُمص والمُعجنات والفطائر وهم في عاداتهم لا يأكلون لحوم الحيوانات طالما دُبحت بسكين أو نحوه إلا إذا لم توجد غير هذه الأطعمة وفى بعض الأوقات يأكلون لحوم الحيوانات السمينة (البدينة) والأغنام والماشية والأوز لديهم بوفرة لكنهم لا يربون الخنازير هم يشربون عصير العسل ولا يحتسون شراب البوظة وهؤلاء القوم إذا ولد لهم مولود ذكر أو أنثى يخرجوا جميعهم من المنازل ويحتشدوا ويتباكوا طوال الليل والنهار، وعند وفاة رجل أو امرأة يجتمعون بمكان حول البيت أو بمحيطه يأكلون ويشربون ويضحكون ويلعبون.

هم أيضـا لا يقوموا بدفن موتاهم بل يضـعوهم في أعالي الجبال الشـاهقة أو الأشـجار العالية في صـناديق ويضـعوهم بهذا الشـكل خوفًا من أن تأتي إليهم الحيوانات مثل الدببة الضـخمة بحجم الفيلة وينبشـون القبور وينهشـون الجثث ويـأكلونـهـا، أمـا الفقراء فهم يقوموا بدفن جثثهم بتكديس أكوام من التراب عليها وبعد ذلك يضـعون فوقها الأشـجار والأحجار والحشـائش، ويظلوا على حراسـتها بالبنادق عدة ليالي خوفًا على الجثث من تلك الحيوانات كالدببة والذئاب وهؤلاء القوم أظهروا وافر الرعاية والكرم للخان لكنهم لم يقدموا أي مساعدة لأنهم ليسوا من أرباب القتال والعسكرية، وذهبنا مسـيرة الأربع سـاعات باتجاه الشـرق إلى «نهرپسـفسـه» ويُطلق عليه أقام النوغاي «قره صـو» ومن هناك مسـيرة سـاعتين إلى «نهر كاكه» و«نهر نانه» وهذ ا النهر به بئر ماء الحياة وهذان النهران يتدفقن من جبال الأباظة وهما من روافد نهر القوبان ومن هناك مسيرة الساعتين.

«قرية مامشوخ» العامرة وتقع على ضفاف «نهر كاكه» و«نهر نانه» وهذه القرية مثل القلعة لأن جميع أطرافها بها سياج شاهق قوي، ثم واصلنا المسير لثلاث ساعات حتى «نهر ويل» ومن هذا النهر مسير ساعتين إلى نهر «سرالى» ثم «نهر وارب» وهذه الأنهار الثلاثة مياههم أكثر عذوبة ويتدفقوا من جبل چقال / چغال الموجود في ولاية الأباظة، وهم من روافد نهر قوبان.

وكل هذه الأماكن كاملة في ولاية مامشوخ فقط ومن هناك مسير الستة ساعات ناحية الشرق ووسط الأشجار العالية استكملنا رحلتنا[1].

التعريف ببلدة بسنى ابن چراكيس العربي:

عندما قدم هلاكو من الموصل إلى هذه الديار نَصب بسنى الابن الأكبر لسراكيس العربي حاكمًا على هذه الديار، ومرة أخرى اتجهنا إلى الشرق حتى..

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٥٣

قرية حاترقاي:

القرية الرئيسة لقبيلة وأقوام البسنى ومن هناك تابعنا المسير حتى «نهر لاپا» وعبرنا مياه هذا النهر ومررنا على منحدرات وعرة وجبال شاهقة إلى أن بلغنا «نهر لاپ العظيم» وهذان النهران من روافد نهر قوبان واستمر مسيرنا إلى الشرق مسيرة الأربع ساعات.

پشكوو عظيم بسنى باى

قرية بسنى بک:

يقيم هنا هذا الأمير واسمه (......)، وجملة ما يملكه خمسة آلاف مقاتل من المحاربين الأشاوس الشجعان بخيولهم، والعسكريون من المشاة جنود في غاية القوة والخبرة والشجاعة وهذه القرية على جانبيها الصخور، فهي مثل مدينة « باغچه سراي « أي أنها تقع في وسط وادي به الصخور الكثيفة، وعلى مشارف هذه القرية توجد آلاف المنازل المعامرة، ومن الجائز أن نطلق عليها مدينة، وأقوام البسنى كانت تقيم في ولاية الصين، وفغفور وديار موسكو، ولكنهم هُجروا من هذه الديار، ورحلوا إلى ديار القالمق، واستوطنوا وسط التلال والمنحدرات،

ولذا قامت بينهم وبين القالمق حروب كثيرة في الماضـــي، وقد منحوا الخان هدايا عظيمة من الفتيان والفتيات، وذلك لأن زوجة الخان وأمه من تلك الأقوام فهن يمتن لهم بصلة قُربى، والحقيقة إننا استمتعنا بالمكوث هناك مدة خمســة أيام ولقد رأينا وشـاهدنا جميع أرباب الحرف ومن هناك اسـتمر مسيرنا إلى الشرق... ثلاث أسطر فراغ.

ومن حدود قرية بسنى ذهبنا إلى الشرق مرة ثانية مسيرة (...) ساعات.

التعرف على ولاية القبارطاى وأقوامهم السابقة:

يقولون عليها قبارتى وقبارطاى أيضـا وقبارطاى الابن الأكبر لسـراكيس وكان يعيش ببغداد قبيلة تدعى طاى العربية، ثم حُرف الاسـم إلى قبارطاى وقبرطى وقبرطـا، والأصـــل عندما نزل هلاكو على بغداد أول مرة منح سراكيس العربي، وقبيلة الطاى مكان من أخصب الأراضي ليقيموا بها، وأول من أقام من أقوام الچركس كانوا من ولاية الشفاكه وبعد فترة ازدادوا وتكاثروا في هذه الأراضي .

بعد ذلك ذهبنا مع الخان مسـير الأربع سـاعات سـيرًا على الأقدام إلى «نهركوكو» وبعده «نهر كه كنه»، وهذان النهران قريبان جدًا من بعضـهم البعض، وهما من روافد نهر قوبان ومن هناك ذهبنا مسـيرة السـاعتين إلى مكانٍ مباركٍ ضـريح إمام الشـهداء صـاحب الهمة والقدر العالي شيخ الأمة وقطب الدولة، وزبدة الأولياء، وعمدة الأصــفياء وصـــاحب المقام العالي حضرت پنج حسن / حضرة حسن ﵁.

في الأزمان الســابقة عندما كان يرسـل الرسـل إلى أقوام الداغســتان والقوموق والقيتاق القيناق إلى الإسلام ويضع على الرسالة ختمه وبصمة يده اليمنى المباركة وكانت هذه الأقوام يجيبوا على الرسـالة بقول: «سـمعًا وطاعة»[1] ثم يتشرفون بالدخول إلى الإسلام وبعد ذلك أُخذت تلك الرسالة الموجود عليها ختمه وبصـمته المباركة ووضـعت في صـندوق حديدي ودفنت في مكان ذو تربة صخرية وشيد عندها بناء عظيم ومهيب على إنها مزار وبعد فترة من الزمن جاء تيمور خان وهدمه، وقال لا لزوم لهذا وهدم الأماكن المحيطة بها، بعد ذلك جاء سـلاطين داغسـتان وأرجعوا البنايات والقباب العالية والعمائر بكل حب وطيب خاطر، وبجوار هذا المقام يجري متدفقا « نهر وارب »، ومنبعه ديار القبارطاي (بس طاق – پس طاف) والمعنى منطقة الخمس جبال (بش داغ) وجريانه من الجنوب إلى الشمال، والمصب «نهر قوبان»، والمقام الموجود لحضر الإمام حسن قريب جدًا من «بسلباى قباغي»؛ أي قرية بسلباى، وهو يماثل لمقام شيخ علي الموجود ببغداد.

---

(١) كتبت على هذا الشكل. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٥٥.

وهذا المقام الرفيع القدر متاخم لحدود القبارطاى، وبهذه الولايات لا يوجد سوى الأعيان والبكوات، ولا يوجد فيها حاكم ولا قضاة، ولا كنائس، ولا قساوسة وهم ليسوا بأهل كتاب ومع ذلك يعتقدون في حضرة بنچ حسن ويتخذون من مقامه حاكمًا وقاضيًا فمثلاً لو أن إنسان سُرق ماله، وساورهم الشك بأحد الأشخاص يذهبوا به إلى مقام «بنچ حسن» ويجعلوا هذا الشخص يقرع باب المقام بيديه فلو أن هذا الشخص مذنب فلن يقرع الباب، أو يلمسه من الخوف، ومن ثمَ يقر بفعلته وسرقته للمال ويعطيه لصاحبه أما إذا كان غير مذنب، عندئذ يكون عنده الجرأة والجسارة فيقرع على باب المقام وعند ذلك يتحرر من تلك التهمة والريبة، أما إذا كان مذنبًا واستحتيى من الإقرار بسرقته أمام الناس، وتجرأ وقرع الباب عند ذلك، وبإذن من الله تعالى يسود وجهة ثم يحرق، ولذا فالآلاف من الكفرة ومن المسلمين يوصوا بأن يدفنوا بعد موتهم أمام باب هذا المقام، ويقال بأن خشبهذا الباب الذي يقرعونه هو خشب من لوح من سفينة سيدنا نوح.

التعرف على شكل مقام پنچ حسن:

جميع الخلائق التي ذهبت إلى ذلك المقام يقولون بأنه في مكان مستو وواسع في كثير الخضرة تتوسطه مئات الآلاف من الأشجار الكثيفة العالية، ويمتد شعاع نور من القبة إلى السماء والخزينة التي به الرقاع الذي عليه بصمة اليد اليمنى المباركة للإمام حسن يحيطها المرمر الأبيض من الجهات الأربع كما أن الفُرش والأبسط المتنوعة من جلود الأنعام والأبقار تزين المقام ومع هذا لا يوجد حول المقام دراويش كما هو الحال عند الأضرحة والمقامات.

وصف الجموع الكبيرة التي تأتي لزيارة ضريح پنچ حسن:

في هذا المرج الواسع المبهج وفي شهر تموز (يوليو) من كل عام تفد الخلائق من كل حدب وصوب إلى هذا السهل وتحت ظلال الأشجار الضخمة يستظل القادمين من الهند والسند وبلخ وبخاره وختا وختن وجين وماجين وماصقو واسفاج وبلغار وبركمه وقزاق وقراق (قوراق) وجه وله ونمسه وانكلترا وفنامك (فلمنك) ودانسقه ودانيمارق.

الخلاصة:

جميع الخلائق من عرب وعجم يفدون إلى هذا المقام ويجتمع حول أطرافه مئات الآلاف من عباد الله تجارًا وزوارًا يقوموا بنصب خيامهم وشوادرهم ويأتون بمتاعهم وأحمالهم كبحر من بني الأنسان ولمدة أربعين يومًا وأربعين ليلة يقام، وينصب هذا السوق باسم پنچ حسن وكل البضائع والمتاع النادرة تظهر في ذلك السوق وتقوم عمليات كبيرة للبيع والشراء، وبهذا السوق لا تُمد عين شخص على متاع شخصًا آخر لغرض السرقة إلا بعض من طوائف الچركس الذين يعرف عنهم سرقة الكحل من العين ولكن كان هذا في الماضي ويأتي لهذا المقام الدراويش من بلاد الداغستان في مشاهدات غريبة وزحام عجيب كما يصل إلى هذا السوق الأعيان من القبارطاى والطاووستان مصطحبين معهم جنودهم المسلحون إلى أن ينفض السوق ويعودوا أدراجهم إلى مدينة قبارطاى، وبعد انتهائنا من تلك الزيارة لمقام پنچ حسن سرنا، واتجهنا صوب الشرق في مسيرة مسير الأربع ساعات.

قرية دودرقاى:

من قرى القبارطاى وهي كثيرة العمران لكن التجول والسياحة بهذه البلدة في غاية الخطورة والمغامرة لأن أهلها يقتلون لأبسط الأشياء ولو لمجرد خيط بسيط أو حبة من بصل ولذا لا يوجد بها أي متاع وينصب في نواحي هذه البلدة كل عام سوق كبير.

وهذا السوق ليس به عملات من الأقچه أو اليول حتى (اوزدمر أوغلوعثمان باشا) أثناء حربه مع العجم وشروان وشماقي مكث بهذه البلاد لمدة سبع سنوات وكانت عملتهم المتداولة (گون أقچه لرى) الأقچه الجلدية وليست الأقچه ذات المعدن النفيس وعندما عاد وجنوده إلى دار الدولة استبدلوا هذه الأقچاوات الجلدية بأقچاوات ذهبية من خزائن الدولة وللعلم فإن بكوات القبارطاى خزائنهم مليئة من تلك الأقجاوات الجلدية، وقد أُعطي الحقير من خمس إلى عشرٍ من تلك المسكوكة (العٌملة) وقد ضٌرب على هذه العٌملة (السلطان مراد بن سليم خان عز نصره ضرب شماقى سنه ٩٨٦)[١] ١٥٧٨م.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٥٧

الخلاصة:

إن السير في هذه الأماكن خطر جدًا، ولا يستطع العامة من الناس التجول والسياحة بها إلا إذا أعطوا البكوات لهذه الديار بعض من الأموال والهدايا فيرسلوا معهم رجال لحمايتهم ومأكل وملبس هؤلاء الرجال على عاتق المسافرين حتى يعودوا سالمين غانمين إلى بلادهم، وبهذا يأمنوا على أرواحهم وأموالهم وفي هذه الديار إذا أعطيت المضيف أو صاحب البيت شيء بسيط كهدية ولو غليون للدخان أو إبرة أو مخيط يكون هذا الشيء البسيط عنده قدر الدنيا ويُظهر لضيفه كامل الرعاية والإجلال ويفديه بروحه، ويقدم أهله، وعياله، وأنسابه قربانًا له، وفي الحقيقة أن كرمهم وضيافتهم تبدو واضحة أكثر ألف مرة من لصوصيتهم وكرم الضيافة لديهم أصيل ومتأصل جدا بهذه الأقوام ومن هناك سرنا مسيرة الخمسة ساعات في اتجاه الشرق بإتجاه «نهر جنجك» وهذا النهر منبعه منطقة «بش طاو» وهو من روافد نهر قوبان وهذا النهر به أسماك فريدة مثل سمك (سوفا)، ويختلط مع نهر تن وبه بئر ماء الحياة ومن هنا مرة أخرى إلى الشرق في مسيرة الساعتين.

«نهر بيوك انجك / بيوك جنجك» نهر انجيك الكبير:

يطلق عليه أيضًا «بيوك جنجك» وهو يأتي من نفس المنبع من منطقة بش طاو، ويستمر تدفقة حتى يختلط مائه بنهر قوبان، ولقد عبرنا هذا النهر، وسرنا بداخل هذه الأماكن الوعرة والمنحدرات في مسيرة الخمس ساعات

وصف قلعة أرسلان بك:

في عام (..) كان التتاري أرسلان بك، ومعه من جنود النوغاي الأشاوس المغاوير عدد اثني عشر ألف جندي ضمن رعايا الدولة الروسية، وبعد انتهاء حروبهم مع أقوام الهشدك عبروا «نهر اديلى»، و»نهر جايقى» بالمراكب، والسفن إلى الجهة المقابلة إلى سهول هيهات ونشبت بينهم وبين أقوام القالمق عدة حروب حتى وصلوا إلى ولاية قازان، ومن هناك إلى ولاية الاطر التي أرادوا أن يستقروا بها لهم لكن جنود القالمق أيضا ظلوا يطاردونهم وأخرجوهم حتى سهول هيهات، بعد ذلك عادوا مرة ثانية واجتازوا نهر قوبان فالتجأوا إلى أمراء ونبلاء القبارطاى وطلبوا الأمان فقبلوا لجوئهم وشيد لهم الخان محمد گراى قلعة ارسلان بك في فترة حكمه وسميت باسم أرسلان بك

لتكون مسكن ومأوى له ولقومه والقلعة تقع على ضفاف نهر جنجك وهي مربعة الشكل ومحاطة بسياج من الخشب شاهق ووعر جدًا، وباب القلعة من الجهة الشمالية، ومساحة هذه القلعة أربع مئة قدم والقلعة من الداخل ليس بها بيوت لكن بها خيام من قماش اللباد ومسجد صغير إمامه من التتار، والقلعة بها ثلاث مدافع من نوع «شــاهى طوپى»şahı topu وخارج القلعة يوجد منازل مبنية من القراميد بناء قوي ومتين لأجل أرسلان بك وغيره من الأعيان، وأسقف هذه المنازل مُغطى بالكامل من أعواد القصب والخوص، وهؤلاء القوم لا يمر يوم من دون قتال مع تتار القالمق، ولقد قدمَ أرسلان بك إلى الخان كثير من لحوم الخيل وشراب البوظة وأهداه بعض خيل اليورغه واصطحبنا إلى خارج الديار بألفي فارس خوف علينا من أقوام القالمق وسرنا مسيرة الخمس ساعات.

وصف قلعة شاد كرمن:

شـــيدت هذه القلعة في عام (.....) على يد محمد گراى والقبارطى مسـوسـت بك لكي يلجئ إليها الأهالي، ويضـعوا بها أموالهم ومدخراتهم عندما تدق طبول الحرب بين القبارتي، وبين قبائل القالمق، وهذا سـبب بنائها وهذه القلعة شـيدت في مكان قريب عند اختلاط ماء نهر جنجك مع ماء نهر قوبان، وهي مربعة الشكل، ونُصبت سياجها من أعواد القصب، وجذوع الخشب، ومساحة القلعة خمسمائة قدم، والقلعة بها خندق وبوابة واحدة من الخارج وفي الداخل من القلعة برج كبير مشيد من أحجار القراميد أمامه خندق وبوابة أمامها جسر خشبي وكرمة للعنب وهذا البرج يتناوب عليه الدزداري محمد أغا المجري وبعض الجنود وعين القاضـي القوموق طوخطر حاجي قاضيًا، وجعل الخان محمد گراى في معيته مائة من الجنود البواسل ووطنهم بهذه القلعة، وأهالي القلعة من المؤمنون والموحدون بالله، وهم على مذهب الإمام الشافعي، وكان القاضي طوخطر صائم الدهر صيفًا وشتاءً، ولكنه ليس من أتباع المذهب الدهري

وبسـبب هذا القاضــي وحماسـته، وهمة الخان محمد گراى ودعوتهما تلك الأقوام للإســلام تشــرف جميع نبلاء، وأعيان القبارطاى بالدخول في الإســلام وصـــاروا موحدون ومؤمنون بالله سـبحانه وتعالى، وعند دخولهم الإســلام تخلصـوا من الخنازير الموجودة في حظائرهم، وتم تشـييد وبناء حمام، وجامع، وحانوت، وبدءوا في تعلم القراءة والكتابة.. أليف وبه/ با[1].

وعندما عُزل محمد گراى وأتى إلى «قلعة شـــاد كرمان» وبها جميع القائمين على حمايتها وسألوا الخان « سلطاننا من يعطينا علوفتنا[2] بعد الآن وقاموا بدفن وردم الخمس مدافع من نوع شـــاهي بأحد الأماكن في القلعة وتركوا الخان وذهبوا وفي تلك الليلة أسـف وحزن الحاضـرون على محمد كراي خان الذي عمل على نشـــر الإســـلام بدولة القبارطاي وجعل فيها القاضــي والإمام كما قام بإنشــاء المسـاجد وبناء الحمامات وتشـييد القلاع، واليوم تعد دولة القبارطاي من الولايات الإسلامية، وجميع أهالي القبارطاي من المسـلمين، ولكن الخطأ الموجود في بلادهم أنهم ما زالوا يعاشــرون الجواري دون نكاح، ومن هناك توجهنا إلى بلدة قريبة على مسيرة ساعتين.

---

(١) كتبت على هذا الشكل. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٥٩.

(٢) **العلوفةUlufe** : ١- تطلق على العلف "طعام الحيوانات" ٢- تطلق على الرواتب التي تعطى كل ثلاثة أشهر لجند الانكشارية والسباهية

Ferit Devellioğ lu، Osmanlica-Türçe Ansiklopedik Lüğ at، (a.g.e) S. ١١١٩.

قرية قوداني:

هذه القرية تقع رماله كثيرة بها مائة منزل وهي من قرى القبارطاى العامرة ومن هنا اتجهنا صوب الشرق بمسير أربع ساعات مارين بغابات ومناطق الجبلية.

نهر قوبان العظيم:

يتدفق من جبال ولاية داديان في جورجستان جنوب جبال البرز ويكون تدفقه قليل الماء، ولكن ويشتد عند انحداره على ساحل البحر الأسود، ويختلط ماء نهر قوبان بروافده من الأنهار منها الكبير والصغير، والتي يبلغ عددها ثماني مئة وستون نهر وجميع هذه الأنهار تتدفق من جبال الأباظة وجميع هذه الأنهر عبرنا عليها كلها وشربنا من معظم أنهارها ولكن المشهور والكبير الذي كتبنا عنه، ونهر قوبان يقع في شمال سهول هيهات وفي هذه الناحية لا توجد مياه ولا أشجار لكن على ضفاف نهر قوبان توجد الغابات الكثيفة، وجميع المياه التي تنبع من بلاد الجراكسة مصبهم نهر قوبان من هذه الناحية الضحلة عبرنا نهر قوبان على أقدامنا وبالخيول إلى داخل القبارطاي والجميع كان سيموت غرقا، وبالفعل قد نفق بعض الخيل غرقا، ومعهم مات بعض الرجال،

ونجى البعض ولله الحمد، ولقد عبرنا إلى الجهة المقابلة في مدة الثلاث ساعات تصاحبنا الآلام والشدائد والأحزان[1].

التعريف بقرية القبارطاى:

اسم القرية (...) تقع في منطقة صخرية ضخمة وأسقف منازل القرية الثلاثمائة مغطى بأعواد من القصـب، وهذه القرية قريبة من «نهركوى» مسافة مرحلة واحدة، ومنبع هذا النهر الجبال وجريانه إلى الشمال باتجاه المصب ويمر بقرية ببردقاچ، وهذه القرية جميع أهلها من أصحاب الحرف، ويقومون بتلك الحرف من داخل منازلهم، ولقد شيد مشوش/مسوس بك ومن معه من الأعيان حمام وجامع ومسجدين وفي صلاة يوم الجمعة يذكر اسم السلطان العثماني، وبعده خانات القرم، ويأتي بعدهم سلطان داغستان وبعد ذلك يذكر اسم مسوس بك وأمراء القبارطاى، وكل الأمور الإدارية والسلطة بيد مسوس بك.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٥٩

وطائفة القبارطاى بعد دخولهم في دين الله وصــاروا مسـلمون تغيرت هيئتهم فقاموا بارتداء الأثواب والقلنسوات البيضاء وجميعهم صاروا حليقي الشعر وفي أياديهم المسابح لقد أصبحوا مسلمون جدد بشكل مبهج وسار، و قراهم تبلغ عشـــرون قرية كلها تقع بأماكن وعرة وتحظى بكل الاهتمام والعناية وهي بها عشرة آلاف من المقاتلين الأشاوس الشجعان ذوي حسب ونسب من قبائل قرشية والموجود غير ذلك ممن لا يعرف له حسب ونسب هم من عبيد وخدم، وهم لا يزوجون بناتهم خارج قومهم وطائفتهم إلا إذا كان النســيب أحد خانات التتار، أو من الســلاطين، وهناك ثلاثة قرى قد هجروا أماكنهم منذ خمسة وعشرون عاما لخوفهم من القالمق وأقاموا قرى جديدة في وســط الجبال وهي اليوم قرى عامرة، وتبدو مثل القصــبة أو المدينة، وبانضــمام وقدوم الأمير أرســلان وقومه من النوغاي مهجرًا من ولاية موسكو إلى قوم القبارطاي زادت أعدادهم وقويت شوكتهم.

مهابة وشجاعة وجرأة الچراكسة القبارطاى:

ذات يوم اجتمع أقوام القبارطاى في مكان واحد، وبينهم التتاري أرسلان بك، وكان جالسًا على مكان مرتفع وقال أمراء القبارطاي غير مقبول أن يأتوا لسرقتنا القالمق ثم نذهب ونختبئ منهم. لقد أعطيناكم أرضا ووطنًا وصرنا إخوة وعلمنا أن سلطان القالمق «طايسى شاه» جاء لمحاربتنا، ومعه مائة ألف جندي، وبعدما سمع النوغاى والقبارطاى بهذا أعدوا العدة، وقاموا بعمل الأكمنة ونصب الأفخاخ على التلال وفي الوديان، وتدبر ما يلزم من الأسلحة والبنادق، وتجهيز عشر آلاف مقاتل من أشجع مقاتليهم وبعد مناوشات خفيفة بين النوغاى والقالمق استعرت الحرب وكان القالمق كبحر من الخلائق وكان يلاحقون النوغاى والقبارطاى في الوديان والجبال.

ولمَا رأوهم القالمق يفرون تعقبوهم وهنا انقض عليهم أقوام القبارطاى كالوحش الضاري وخرجوا لهم من الأكمنة بالبنادق، وأطلقوا الآلاف والآلاف من الأعيرة النارية، فانبطح جنود القالمق، وافترشوا الأرض خوفًا من تلك الرصاصات، وانتصر القبارطاى، وأخذوا من القالمق غنائم كثيرة تجاوز السبعة وعشرين ألف قطعة من السلاح، ووقع بالأسر عشرين ألف، ووضعوا أيديهم على سبعة وستين ألف فرس،

وعزز هذا النصـــر والفتح بتلك المعركة بأن قتل «الشـــاه طايس» بالمعركة وأخذ القبارطاى جثته ثم خبئوها وبعد ذلك هربت فلول القالمق إلى حدود مدينة «اژدرخان».

وبعد تلك الهزيمة المذلة قرر ابن الشاه طايسى وكان يُدعى موسنجاق (موينجاق) الانتقام لمقتل أبيه طايسى فأعد حملة عسكرية قوامها مائتي ألف جندي ضـعف الحملة التي كان أعدها والده سـابقًا للإنتقام من القبارطاى والنوغاى فاسـتعدوا لهم وأعدوا الأكمنة في السـهول والأنهار والوديان، وخرجوا على هذا الجيش المهيب، وبعدما دارت المعركة فرت جنود «موسـنجاق»، ومعه ألفي فارس ونجا من موت محقق وفي أخر الأمر عرض «الشاه موسنجاق ابن طايسى» على القبارطاي والجركس أن يدفع خمسون ألف رأس يعني خمسون الف حصان، أو ثور، أو جمل، أو درع مقابل أن يأخذ جثة أبيه لكن هذا العرض رفض من النوغاي، وآخر الأمر قبل أرسلان بك التتري تسليم جثة «طايسى»، ولكن مقابل مائة ألف رأس، وأن تؤخذ العهود والمواثيق بأن لا يعتدي القالمق على القبارطاى مرة أخرى، لكن أقوام القالمق ليس لهم عهد وميثاق،

ومنذ ذلك الوقت ما زالت العداوة والخصـومة قائمة، ولأجل هذا تقيم أقوام القبارطاي منذ خمسة وعشرين عامًا في وسط الجبال، ولم يهجروا البشكو خوفًا كعادتهم من القالمق، ثم وبلغنا قلعة شاد كرمان التي شيدها وأقامها الخان محمد گراى لإخراج وطرد جنود القالمق.

استخلاص قلعة شاد كرمان:

بعد عزل الفقير الخان حسبه على الله اجتمع بأقوام النوغاى والقبارطاى ووحد صفوف الجميع وشنوا هجوم مباغت على القلعة التي احتلها أقوام القالمق وكان الخان يقاتل بنفسه ومعه ساطورًا ونجا من هذه المعركة الشاه موسنجاق طايسي بصعوبة، وكانت الغنائم من تلك المعركة لا تُحصى من الخيل ورؤوس القطعان من بقر وغنم وإبل، وعند عودة هؤلاء الجنود استقبلوا بالأفراح والتبريكات، واحتفوا كثيرًا بالخان وأهدوا له عشر من الغلمان ذو الوجوه المشرقة وخمسة عشر من البنات الأبكار، وظل بضيافة القبارطاى خمسة أيام وحقيقةً هؤلاء القوم ان قلوبهم مليئة بالمحبة والأسلوب الفصيح والبليغ في الحديث أشاوس شجعان وعندما يذّكر أقوام الچركس تأتي أقوام القبارطاى في المقدمة كزعماء وأعيان وذو حسب ونسب ولسان طيب.

وفيما يلي مسودة بعض من ألفاظ والكلمات من لهجة القبارطاى:

بعض من لغة المامه لوقه الچركسية

ز= ١ توق = ٢ سى = ٣ پله = ٤

توفه = ٥ شى = ٦ بلى = ٧ بى (پى) =٨

بوغو(پوغو) =٩ پسى =١٠

چاقو= اكمك (خبز) پسى= صو (ماء)

ل = ات (لحوم) قويه = پنير (جُبنُ)

ق = خنزير مل = قيون (خروف)

بيچن = كچى (شاة) سنه= قوزو(ضأن صغير)

شى= آت (حصان) شدى = آشك (حمار)

قاددغه / فادرغه / قادغه = قاطر (بغل)

لو = كوچوك دوموز (خنزير صغير)

غومل = (أطعمه ومأكولات أقوام الأباظة تطلق عليها « شل خرجى »)

شبزى چخايووا كاغ = ادبده قصراق فلان ايدرم

شب چاغ = يوغورد (اللبن الرائب - الزبادي)

شووو/ شوو = بال (العسل) قه = گتر (أحضِر)

تدوسقى = نرده ايدكَ (أين كنت)

تونسى سقى = أو ده ايدم (كنت بالمنزل)

شدش پسى ق = ادبده اشك فلان اتدم دوموز

شوفاشاپس = خوش گلدن مرحبًا

توقون = گيده لم لنذهب

سى قونپ = گتمم (لن أذهب)

شدش پسى = ادبده اشك فلان ايديجى

واشت = پوشت

اويانه كدى سوک = ادبده والده كى فلان ايده يم

شغا چناشد فسمقاغ = سندن قورقارميم بيچون سويله مم

دوشن سه پسز = ادبده آوراديكى فلان ايده يم

سدا فوقاتغو = نيچون بويله ياوه سويلر سن خرسز

اوده خل لش = چادى كوپك اتى يه

وخل وش سدس وغسرخا = كوپك اتن سن يرسن بكا يه درسن

سداسخ قصادقا = نيچون بكا پوشت درسن.

وبعد ذلك منح القبارطاي الخان خمســـة آلاف من جنود النوغاى والچركس ليقدموا له للمعاونة والمدد، ثم اتجهنا صوب الشمال مسير السبع ســاعات وســط تلك الجبال الوعرة وشــربنا من بئر ماء الحياة من روافد الأنهار.

التعرف على ولاية وقوم البيردقاچ ابناء چراكيس:

هؤلاء أيضًا من أولاد چراكيس العربي وهم ساكني المنطقة التي بين «نهري جنجك» ونهر قوبان وهي تقع شمال ولاية القالمق التتارية الكافرة وهذه الأقوام البيردقاچ الجركسية لها مساحة عشر من النزل على ضفاف نهر ترك الكبير وهم أربع من الأخوة حكام على هذه القّرى وهي قســمة بينهم بالتســـاوي، واثنان من هؤلاء الأربع تابعان ومواليان للقبارطاى والاثنان الآخران احدهم تابع لســلطان طاووســتان، والآخر تابع للقالمق بسـبب مجاورته لهم وهو موالٍ للشاه طايسى موسنجاق، وكل أول سـنة يرســـل له الإتاوات والهدايا والخيل حتى يأمن شـــرهم وإغارتهم عليه، وإعمالهم السـلب والنهب في قريته، وكل واحدٍ من هؤلاء الأخوة يملك ما مقداره الفين من الجند

وبعد دخولهم الإسلام وصاروا مؤمنون وموحدين بالله، أصبحوا أكثر عُرضة للسلب والنهب والأسر من قبل سلطان داغستان، والذي ساعده على ذلك هو أن أماكنهم ليست هي بأواسط الجبال؛ بل سهول منبسطة ومروج خضراء ليس بها سوى الأشجار، ولذا يسهل الإغارة عليهم من حين لآخر، ولذلك كانوا يستعينون بخانات التتار، ويقدموا لهم الهدايا لمساعدتهم، وبخاصة ضد الداغستانيين. واتجهنا ناحية الشرق طرف انجيك بمسير الثمان ساعات إلى حدود القبارطاى الچركسية.

منزل قباق صحاك / قرية صحاك:

قرية عامرة بها قرابة المائة منزل ومن هناك في مسير الخمس ساعات إلى الشرق[1].

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٦٤.

وصف قلعة بورغوسان:

تعتبر هذه القلعة تحت حكم القبارطاى مع أنها واقعة في اطراف ولاية ببردقاچ، وهذه القلعة ليس مثلها مثيل كأن سبحانه وتعالى أراد أن نرى عجائب قدرته وصنعته فيها.

هذه القلعة مثال وعبرة فهي لا تشبه تلك القلاع الموجودة في حوزة العثمانيين مثل قلاع «فان ومردين ودوك أو قلعة عماديه واكرا وسنجاره وبرجيك ومكو، ولا قلاع منكوب»[١] الموجودة في القرم فتلك القلعة تحيطها من جهاتها الأربع قوائم عالية جدًا كالجبال والوديان كالدرك الأسفل من النار، وأودية مائية شديدة الاتساع بها المروج الخضراء والعشب والمحاصيل، والماء العذب، وأماكن أخاذة رائعة ويبلغ طول هذه الأنهر أو الجداول المائية مسير ثمانية ساعات تحيط بها البساتين والجنان وعلى جانبي هذه الجداول سياج شاهقة شديدة الارتفاع وأيضا شديدة الانحدار ويميل لونها إلى الحمرة، والمنظر في مجمله مهيب ومخيف، ومما يزيده مهابة أعشاش الطيور الجارحة كالنسور،

---

(١) انظر هامش الجفود فيه وصف لقلعة منكوب ص: ٦.

والعديد من أنواع الصـقور أمثال الشـاهين والدوغان والأتمجه والقره قوش القاطنة في أعالى تلك السياج أما بأسفل تلك السياج الحجرية المهيبة فهناك الكثير من المغارات مثل الموجودة في جبل دماوند وصـخور القلعة لها حواف حادة جدًا متدلية كالثلوج يخاف المرء أن يمر من أسـفلها، وهي ملسـاء جدًا، وناعمة حتى أن الطير لا يسـتطيع الوقوف عليها بمخالبه، أو حتى التعلق بها، والمغارات الموجودة بها فسـيحة؛ حتى أن قوم أرسـلان وأقوام النوغاى، ومعهم حيواناتهم وخيولهم أقاموا فيها، وكل ببراح في مكانه، فإلى هذه الدرجة المغارات الموجودة بها شـاسـعة وفي مداخل تلك الأودية الممتدة لمسير ثمانية ساعات يوجد بابين غاية في الضيق.

ولا يوجد مدخل غير هذه الأبواب كمدخل لأودية بورجوسان؛ حتى أنه لا يوجد مخرج أو مولج لذبابة أو نملة ضـعيفة، وعندما فر أقوام النوغاى الذين كانوا تحت رعاية وقيادة أرسـلان بك من جنود القالمق الكفرة الذين بلغ عدد جنودهم مائتي ألف جندي لجئوا إلى تلك الأودية، ومعهم كل عائلاتهم وأولادهم وحيواناتهم وتركوا مالا يستطيعون إدخاله من أبواب تلك الأودية وبذلك نجوا جميعًا.

ولا شك أن هذه الأودية الواسعة عجيبة في الخلق، فهي أكبر بكثير من سـنجه وار الموجودة في بلاد المجر، والتي هدمها وحطمها العثمانيون، فعلى أطراف هذه الأودية من الممكن أن يسـير الإنسـان لكن أودية بورجوسان؛ حتى الطير لا يستطيع أن يسير أو أن يقم على حوافها والوديان في هذه القلعة بها الماء والمحاصـيل الوافرة وتتسـع لأكثر من مئة ألف حيوان كبير ومما يذكر أن تيمور شاه عندما رأى قلعة بورجوسان قال «لو توجد في ولاياتنا مثل تلك القلعة ذات الحصـن الحصـين والسـد المتين وأوديتها لأصـبحت سـلطان الدنيا» وبعد تنزهنا وتجولنا اتجهنا صـوب الشرق مسير الخمس ساعات.

منطقة بش طاق يعنى الخمس جبال[1]:

هذه أيضًا على حدود القبارطاى بالجهة الغربية من نهر قوبان وبالقرب من هذه الجهة أيضًا وادٍ مليء بالأشجار وبوسط هذا الوادي يوجد خمسة جبال متلاصقين لبعضهم البعض وهي جبال مرتفعة وحادة جدًا، وفي محيطها أربع جبال أخرى وهي منخفضة ومسطحة، وليست حادة وبوسط هذه الجبال يوجد لوح خشبي لسفينة عتيقة جدًا طول هذا اللوح ثلاثمائة قدم وعرضه قدمين وهي من خشب البلوط وبها أثار ثقوب لمسامير وأماكن أخرى بها ثقوب ومسامير.

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع (ولايت عظيم طاوستان) ص: ٧٦٦.

وبحسب معتقدات هذه الأقوام أن هذا اللوح الطويل هو واحدِ من ألواح سفينة سيدنا نوح ويقول كفار القالمق أن عمره مائتي عام وبعض التخمينات تقول ثلاثمائة عام هكذا قالوا وسمعنا، وكما حكوا لنا أن القبة الموجودة بضريح « بنچ حسن » وباب الضريح من خشب سفينة سيدنا نوح،

وبحسـب أقوال المؤرخين الرومان واليونـانيون الكفرة بأن أبواب جامع آيا صوفيا

والبالغ عددها مئة وواحد كلها من ألواح سـفينة سـيدنا نوح[1]، وحملت

---

(١) ذكر الطوفان في القرآن الكريم بلفظه صراحة مرة واحدة وذلك في قوله تعالى: { ولقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فلبثَ فيهم ألفَ سنةٍ إلاَّ خمسين عامًا، فأخذهم الطوفانُ وهم ظالمون }. سورة: العنكبوت، الآية: ١٤.

وأشير إليه بغير لفظة في سورة القمر بقوله تعالى: {ففَتَحنا أبوابَ السماءِ بماءٍ منهمرٍ وفجّرنا الأرضَ عيونًا فالتقى الماءً على أمر قد قُدِر} القمر/١١ ت ١٢. أما " قصة الطوفان " فقد جاءت موسعة في سورة هود وذلك في قوله تعالى، بعد الكلام على نوح وصُنعه للسفينة: {حتى إذا فارَ التنُّور قلنا احمِلْ فيها من كلّ زوجيْنِ اثنَيْنِ وأهْلَكَ، إلاَّ مَن سَبَقَ عليه القولُ ومَن آمَنَ، وما آمنَ معه إلاَّ قليل، وقال اركبوا فيها باسم الله مَجراها ومُرساها إنّ ربّي لغفورٌ رحيم* هي تَجري بهم في موج كالجبال، ونادى نوحٌ ابنَه، وكان في مَعزِلٍ يا بنيَّ اركبْ معَنا ولا تكن من الكافرين* قال سآوي إلى جبلٍ يَعصمني من الماء، قال لا عاصمَ اليومَ من أمرِ اللهِ إلاَّ مَن رَحِمَ. وحالَ بينهما الموجُ فكان من المُغرَقين*وقيل يا أرضُ ابلَعي ماءكِ ويا سماءُ اقلِعي. وغِيضَ الماءُ وقُضي الأمرُ واستَوتْ على الجُودِيّ، وقيلَ بُعدًا للقوم الظالمين} (هود، الآيات: ٤٠، ٤٤)، فهذه الآيات تفصّل القول في قصة "الطوفان" دون أن تسميه، كما تشير الآيات الأخيرة إلى أن السفينة استقرّت على "الجودي".. هكذا أطلق القرآن الكريم اسم "الجودي" على هذا الجبل التي استوت عليه سفينة نوح..... وفي اسم هذا الجبل أقوال تختلف لفظًا باختلاف الأمم التيتعاقبت عليه، وأطلقت كل أمة عليه اسمًا وفق لغتها، لكن جميع هذه الأسماء حدّدت له مكانًا مخصوصًا ومعلومًا، آراراط هذا لفظ عِبريّ مأخوذ من أصل أكادي (أورارطو) أُطلق على منطقة جبلية في آسية، وهي أعلى مكان في هضبة أرمينية، وعلى أحد هذه الجبال استقرّ فُلك نوح، وقمة هذا الجبل يطلق عليها "أرارات"، واسمها في التركية "اغري داغ"، ويقول ابن الأثير: (... انتهت السفينة إلى الجودي، وهو جبل بناحية "قردي"قرب الموصل) فالجودي جبل في "أرارات" يقع شمال العراق، ولفظ "أرارات" في النصوص الآشورية جاء بصيغة "أورارتو"، ولفظ الجودي في اللغة البابلية والكلدانية من "جدا - جوديا" أي علا وشب وارتفع. قال ياقوت الحموي: "... واستقرّت السفينة على الجودي... فلما جفّت الأرض خرج نوح ومن معه من السفينة، وبنى مسجدًا ومذبحًا لله تعالى، وقرّب قربانًا، هذا لفظ تعريب التوراة حرفًا حرفًا، ومسجد نوح (موجود إلى الآن، بالجوديّ)

وجاء في دائرة المعارف الإسلامية (... الجُوديّ جبل شامخ في الشمال الشرقي لجزيرة ابن

من مدينة الموصل القريبة من جبل الجودي التي حطت عليه السفينة ومن هناك أُحضرت الألواح إلى اسلامبول ومن ثم عُملت الإنشاءات لكنيسة آيا صوفيا[1]، وهذا حسب أقوال المؤرخين وكتاباتهم بأن سفينة نوح ﵇ استوت على جبل الجودي في يوم عاشوراء[2] (العاشر من محرم)، ونجاه الله هو ومن معه الآية: وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٤) [3].

وحسب أقوال المفسرين أن بعد تلاطم سفينة نوح ﵇ مع الأمواج حطت واستوت في هذه الديار(ديار القبارطاى) في منطقة البش طاف.

عُمر، وترجع شهرة هذا الجبل إلى استواء سفينة نوح عليه وجاء في الكتاب المقدس: أن الفُلك استقر على جبل أرارات، هذا الجبل يعرف ب (ماسيس) في أرمينيا، وتذهب بعض التفاسير الدينية إلى أن الجبل المعروف بجبل الجودي هو بالأرمينية "كردخ" كما تقول المصادر النصرانية، وهو المكان الذي استقر عليه فُلك نوح)

(١) **آيا صوفيا:** كنيسة أنشئت في القسطنطينية بأمر الامبراطور جستنيان الأول، وحولها العثمانيون بعد فتح القسطنطينية إلى جامع مضيفين إليها أربع مآذن ثم حولها كمال آتاتورك إلى متحف عام ١٩٣٥م.

(٢) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع (ولايت عظيم طاوستان) ص: ٧٦٧

(٣) سورة: هود، الآية: ٤٤.

وخلاصـة الكلام: هذا الحقير قد أقام ركعتين حول هذا اللوح وبعد هذه السياحة في منطقة الخمس جبال أكملنا المسير باتجاه الشرق خمس ساعات إلى نهر «كومو الكبير»، ومنبعه من جبال البرز، ويتجه صـــوب حدود القبارطاى إلى الجنوب حتى نهر «كومو الصغير» ويمتزجا معا.

ومن هناك مسير الساعة « نهر دلوك » وهو أيضًا منبعه جبل البرز ثم يمر من داخل منطقة القبارطاى والثلاثة أنهار كوموك الكبير وكوموك الصغير ونهر دلوك يتجهوا إلى الشمال، ويمر بثلاث محطات بالقرب من ولاية ببردقاچ ثم يمر بقلعة آژدرخان في موسكو.

وقبل وصـولـه إلى قلعة ترك[1] وبحر الخزر (القزوين) يُهدر الكثير من مائه في الوديان والسـهول في مسـير سـاعتين وفي ولاية الشـفاكه وبطول سـواحل البحر السـود وإلى الوصـول لولاية القبارطاى جميع روافد الأنهار تكون أربعون محطة تمر وتتجه إلى الشـرق إلى أن تصـب في نهر قوبان ويكون هو النهر المحيط ماعدا منطقة «البش طاف» إلى ولاية اژدرخان وداغستان وإلى قلعة ترك يتجه إلى الشمال، وكلها منبعها جبل البرز ويسير مستقيم ولمسافة طويلة حتى يختلط ببحر الخزر

---

(١) **قلعة ترك:** الموقع: شمال القلعة بحر الخزر وناحية الجنوب نهر ترك وبجوارها إقليم داغستان ومن الناحية الغربية بلاد الجركس وسهول هيهات (صحراء القبجاق) والبحر الأسود ويوجد في محيط القلعة سبعة من الأبواب بابان منهم يقعان على النهر وهما بابين صغيرين ومخصصين لجلب المياه من النهر، وهي أبواب قوية ومحصنة، ويفصل بين تلك الأبواب السبعة الخنادق يبلغ اتساع كلا منها خمسون قدما، وفي داخل القلعة يوجد عدد تسعة آلاف دار نحس وشؤم أسقفها مغطاة بالخشب وبأحجار القراميد، وهي دور صغيرة وليس بها بساتين ولاحدائق وجميع الأزقة والشوارع كنقش في رقعة الشطرنج، وبها عدد سبعون كنيسة، عشر أديرة للراهبات بها أبراج علقت بها الأجراس تبدو كالقلعة، وإجمالي عدد المحال بها يبلغ ثلاث آلاف، كما توجد عشر خانات (فنادق) صغيرة، والقلعة المسئول عنها قبطانين أحدهما لحكم القلعة من الداخل والآخر مسئول عن خارج القلعة فقط، وهما يملكان ما مقداره عدد ٣ آلاف جندي و١٧٠ مدفع وعدد ٤٠ سفينة أو قارب كالقوارب الروسية مغطاة من الأعلى بالخوص والقلعة تبعد عن مدينة دمر قابي وقلعة باكو ومدينة كيلان وموسكو مسافة الألف ميل. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، أوصاف كرمان ترك أمان قلعه ترك بى ايمان ص: ٨٠٦، ٨٠٥.

ومرة أخرى ســار الحقير باتجاه الشـرق مسـير الخمس ســاعات حتى تجـاوزنـا جبـال القبـارطـاى إلـى «نهر يلوق »، وهذا النهر ينبع من جبل البرز، ويسير حتى يختلط ماءه بنهر ترك بهذا المكان.

ولاية طاووستان العظيمة[1]:

وهي من الولايات العجيبة الكبيرة يحدها من الشــمال ولاية موســكو جارتها الأولى، ويحدها من الحدود الشرقية سلطنة داغستان

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع (ولايت عظيم طاوستان) ص: ٧٦٨.

ومن الجنوب جبل البُرز ونطاقه وممر داريان كما يوجد على حدود طاووستان[١] بعض النزل والخانات.

---

(١) يطلقون عليها ايضا طاوسلطان "طاوسلتان" وهي مدينة قديمة أقامها " تاجدار هرمز ابن انوشيروان " وهذا ما تشير إليه البقايا والمندثرات القديمة وعلى ساحل نهر باخستان يوجد ألف خانة مغطاة اسقفها بالخشب ما زالت قائمة، لم ينل الخراب منها، وهذا البشكو (المدينة) جميع بناياتها غطت بالأخشاب وأحجار القراميد على العكس من المناطق الجركسية المغطاة كلها بأعواد القصب والبعض الآخر مغطى بالخيزران والمنطقة بجوار جبل البرز لا توجد بها حدائق ولا أشجار وفيما عدا ذلك توجد الأشجار، وطاو سلطان كانت عاصمة من ممالك داغستان، والأقوام بطاوستان يتحدثون اللغة الجورجية واللغة الجركسية وبها أميران يدعوان" توجور باي سكباي والآخر جوهان باي سكباي والمنتهي نسبهم إلى أنوشيروان، هما يمتلكان عدد أربعة عشر ألف فارس منهم ألفي جندي ببنادقهم، وهم شافعي المذهب ويعدون من طوائف الجركس، وتوجد بينهم وبين أقوام جورجيا الألفة والتواصل لذا يتكلمون بلغة جورجية، مع الفارسية وأيضًا لغة القوموق وغير ذلك يتحدثون مع التجار والرعايا الروس باللغة الروسية.

(درقيافت قباى اهالى طاوستان) جميعهم يرتدون أزياء عجمية تدعى "قبما" عليها التطريز من أعلى الظهر وأذرعها تربط من أسفل الإبط والياقة تكون مرتفعة والقلنسوات من الفرو وفي أقدامهم أحذية فارسية ذوات الرقبة القصيرة وشعورهم حليقة ولحاهم مجزوزه

(در قيافت نسوان طاوستان) الجميع سيدات وفتيات يرتدين العباءات البيضاء والقلنسوات من جلود الثعالب ويدلون ضفائرهم ويتجولن كاشفي وجوههم، يتزاحمن في الأزقة والبعض منهن يرتدين القفاطين الفارسية، وهن يشبهن نساء الجركس في أزيائهن، وهذه الديار مثل سائر ديار الجركس لا يوجد بها اقجه ولا بول ولا حمام ولا توجد بها الأسواق والحدائق وبهذا البشكو جامين وسبع مساجد وكان في السابق يذكر سلطان داغستان على المنابر في خطب يوم الجمعة وحاليا فيذكر "قوجور سكباني والمسلمون بهذا البشكو أقلية والبقية من الجراكسة الكفرة، ويمر من وسط مدينة طاوستان نهر تاخستان أو باخستان ومنبعه جبال جورجيا ويصب بنهر ترك ويطلقون عليه اسم "ارغى بالغى" وهذا النهر به

وصف أبو الجبال ـ جبل البٌرز ـ وسماته:

يطلق عليه باللغة العربية ابو الجبال ولكن عندما قطنت قبائل البُرز عند سفحه أطلق عليه المؤرخون الفرس اسم (گوه البرزى) أى جبل الٌرز وأما الرومان، فأطلقوا عليه پتره عچان وبلسان المغول قالوا (تل تاو) وبلسان القحطانيين (پشته داديان) وبلسان اللزكي (زحونده) وبلسان القيتاق (تاوبان) وبلسان الچركس (ارى طاو) ولسان التتار (چلدرا اوطاق) ولسان الچغتاى (گوه ميان) وأما سائر المؤرخون فقد أطلقوا عليه اسم (جبل البٌرز)[1].

أسماك لا توجد في غيره من الأنهر فبه سمك مستدير الشكل ذو لون ذهبي وسمكة أبو سيف تستخرج من هذا النهر وهي سمكة لها رائحة المسك والروائح الطيبة متنوعة لكن اللهم عافنا – توجد سمكة ـ بكار آدم – هذه السمكة لو أكلها انسان يستحلم باليوم من أربع إلى خمس مرات فهي مقوية جدًا وسريعة الهضم.

الطقس في هذه المدينة بغاية الاعتدال، وأهلها لا يأتيهم أمراض مثل الحمى والصرع والجزام والبرص والبهاق ولا يعلمون بمثل هذه الأمراض، والخلق بها أصحاء أقوياء البنية وهم معمرون يتجاوز عمر الفرد ١٠٠: ١٥٠. انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، (در بيان بشكو طاوستان)، (نهر تاخستان)، (در مدح آب وهواى طاوستان) ص: ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧.

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع (ولايت عظيم طاوستان)، ص: ٧٦٨.

وبحســب أقوال الحكماء والعلماء والمفســرين والمؤرخين والمحدثين عندما خلق الله الأرض وقال لفظة «كن» خلق مع الأرض وأربعون جبل ضخم اخر ولولا هذه الجبال لأهتزت الأرض، وهذا ما فسره علماء التفسير للآية « له مقاليد السموات والأرض» وفٌسرت لفظة مقاليد هنا بمعنى أقفال مفرد «قفل» يعني يا محمد خلقت هذه الجبال لتكون أقفال على وجه الأرض وأيضًــا قوله تعالى في ســورة (النبأ) أي ســورة (عم) في الآية الكريمة (والجبال أوتادا) تعطينا هذا المعنى ولقد أقر كل الرحالة القدماء والعلماء بأن العالم عدة أقاليم:

الإقليم الأول به ١٩ جبل

الإقليم الثاني به ٢٧ جبل

الإقليم الثالث به ٣١ جبل

الإقليم الرابع به ٤٢جبل

الإقليم الخامس به ٢٩ جبل

الإقليم السادس به ٣٦ جبل

الإقليم السابع به ٣٢ جبل

وكل تلك الجبال أعظمها وأكبرها هو جبل « ق « ولقد أنزل الله سورة باسمه في القرآن الكريم فقال تعالى: ق ۚ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ (١) بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) [١]

وبحسب أقوال المفسرين والعارفين يأتي في الترتيب بعد جبل ق في الارتفاع جبل يُسمى قمر الذي يقع على منابع النيل مسافة سبع وعشرون درجة من جنوب خط الاستواء ولقد وصل إلى منابع النيل الرحالة البرتغالي فرنكي قادمًا من وراء البحر المحيط كما أن هناك من أتى إلى منابع نهر النيل من التجار العرب في تسعين يومًا مثل قافا نملكي، داخو قاره وهناك من قالوا أنهم رحلوا وسافروا لمدة سبع وعشر أعوام ولكن لم يصلوا إلى منبع نهر النيل.

ولكن هذا كلام السكارى ومدمني الخمور والحشاشين والكسالى الذي يضيعون أوقاتهم بالاستلقاء والنوم وذلك لأنه من ولاية تلمسان إلى بحر الظلمات بولاية موسكو وشاطئ هيلار مسير إحدى عشر شهر فكيف لهم لا يصلن في عشر أعوام إلى منابع نهر النيل هو كذب فاحش حتى هذا الحقير عندما قام بالذهاب إلى منبع نهر النيل بدأت من فينيقستان وقفانستان مارًا بأسوان والسودان؛

---

(١) سورة: ق، الآيتان: ١، ٢.

حتى كان المتبقي مسير سبع وعشرين قوناق لكن الطريق كان محفوف بالمخاطرة لما فيه من الحيات والثعابين السامة وقالوا لو انتظرت سبع أشهر للذهاب مع تجار الأقمشـــة الذين يذهبون إلى منابع نهر النيل وجبل قمر، ولكن الحقير لم يتحمل شـدة الحر ورمضـــائه وحينها كنت بولاية حضــرة إدريس ومدينة رميلة الأحمال، وقدمت إلى منطقة خط الاستواء في سبعين يوما حتى أتيت إلى فينقســتان، ولذا لم أذهب إلى منابع نهر النيل، وهناك جبل آخر يُســمى جبل المان، ويقع عند ســواحل «نهر تونا»، وجبل آخر يُسمى جبل ستشـان سـامور ويقع بالقرب من ولاية اردلستان على سواحل «نهر تورله».

خلاصة القول:

يوجد على وجه البسيطة مئات الآلاف من الجبال والتلال وقد كتبنا عن ذلك أثناء سياحتنا في مجلدات سـابقة وبحسـب أقوال علماء مثل بطليموس وبوكرات وسـقراط وفيثاغورث والموحدين بالله بأنه يوجد عدد مئة وثمان وأربعون من أعلى الجبال وأشـــهرها وجبل البرز أحد هذه الجبال، وهذا الجبل قريب من باب الأبواب (دمير قابى) باب الحديد،

وبحسب كلام جميع الرحل بأن هذا الجبل يقع في منتصف الدنيا واستطيع أن أقول بأني لم أرى جبل مثله في الارتفاع على وجه البسيطة كما أن علماء الاسطرلاب[1] أقروا أن الجبل مستقر في مكان مرتفع جدًا وعرض الجبل (...) والطول (...).

ويستطيع القادم من أي اتجاه أن يرى هذا الجبل من مسير عشرة أيام ولا يعلم المخلوقات الموجودة على قمته عددًا ونوعًا إلا الله، وبخاصة تلك العفاريت الكثيرة جدًا والتي نسمع دائمًا الضوضاء والجلبة التي تحدثها، كما أنه تُرى أثار أقدامها على الثلوج المتساقطة، وتبلغ مساحة أثر القدم الواحد، واتساعها بأن يجلس فيها خمس رجال والعلم عند الله أن جبل ق ربما يكون في منتصف العالم، ولذا احتمال أن يكون هذا الجبل هو جبل ق، جبل (ق) الذي يحيطه البحر المحيط،

---

(١) الاسطرلاب: آلة قديمة لقياس ارتفاع النجوم والشمس. انظر: الملاحق، الصورة رقم (١)، ص: ٣١٧.

ولما جاء الاسكندر ذو القرنين[1] أخذ مسير ستة «مراحل[2]» من بحر الخرز للوصول إليه ومسير الستة «منازل» للوصول إلى ذروة قمته، والقاع من ذلك الجبل يقع نهر فاشا على سواحل البحر الأسود مسافة ستة «قوناق»، وما بين مضيق نهر فاشا والبحر الأسود مسافة ستة قوناق، ومن الجبل إلى البحر الأسود مسافة أثني عشر «قوناق»، ولقد أقام الاسكندر سد منيع في مسافة الأثني عشر قوناق ما بين بحر الخزر والبحر الأسود[3]، وإلى الآن معروف ومعلوم أن بقايا هذه الخنادق مهلكة وتعد حفر من حفر جهنم، وسد الاسكندر قريب من جبل لزكي الملاصق لجبل البرز

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٧٠

(٢) **المرحلة**: هي وحدة قياس مسافات عربية قديمة تعادل المسافة التي يقطعها المسافر في يوم سيرًا على الأقدام، أو على الدواب سيرًا معتادًا، والجمع مراحل والمرحلة تقدر ب ٢٤ميلا أي تقدر عند الحنفية والمالكية(٤٤,٥٢٠) كم وعند الشافعية والحنابلة (٨٩,٤) كم.

(٣) إن السد الذي بناه ذو القرنين منذ آلاف السنين موجود حتى الآن فعلا في جمهورية جورجيا السوفيتيه في فتحة داريال بجبال القفقاس التي كانت القبائل المتوحشة تغير منها على مناطق جنوب القفقاس وشرق البحر الأسود وغرب بحر قزوين ويقول عن جبال القفقاس جبال شاهقة تمتد من البحر الأسود حتى بحر قزوين التي تمتد لتصل بين البحرين بطول ١٢٠٠كم وهذه مسافة قريبة مما ذكره أوليا أن السد أقيم في مسافة اثني عشر قوناق. انظر: محمد خير رمضان يوسف، ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح، دراسة تحليلية مقارنة على ضوء القرآن والسنة والتاريخ، سلسلة اعلام القصص القرآني، دارالقلم، دمشق، ٢٠٠٧.

والموجود في ولاية جورجستان وهو من الجبال الشاهقة أيضًا وتوجد في نواحي وأطراف جبل البرز إحدى عشر بلد ومقاطعة لكل منها سلطان يديرها.

ويتحدثون سبعون لغة مختلفة[1] أهل هذه المناطق فاللغات والبشر مختلفون ومتعددون ويصعب فهمهم دون ترجمان، أو وسيط والحقيقة أنه لضخامة وارتفاع هذا الجبل أطلق عليه المؤرخون العرب اسم أبو الجبال؛ لأن جميع الجبال الملاصقة له؛ مثل جبال الصين والهند وفاغفور وحوطن، ويقع شرق الجبل بلاد العجم كآذربيجان

---

(١) من عجائب الحقائق التي تُذكر هنا أن عدد اللغات في بلاد القوقاز ما يقرب من ٧٢ لغة، في داغستان وحدها ٢٢ لغة ! والصحف في الداغستان تصدر بتسع لغات وأصحاب كل لغة لا يعرفون اللغة الأخرى، وهناك قصة ظريفة ذكرها الشيخ محمد العبود نائب أمين عام الرابطة الإسلامية في البرنامج الأسبوعي الذي يستضاف فيه في إذاعة القرآن الكريم السعودية، يقول: (أن اللغات حينما قسمت على أهل الأرض كان الذي يقسمها شخص يطوف على البلدان على بغلة له ويحمل عليها الزنبيل الذي وفي داخله اللغات، فأعطى الصينيين اللغة الصينية، والفرس الفارسية والعرب العربية، واليونان اليونانية، وحين ذهب إلى بلاد القوقاز جلس ليستريح فجاءت الريح ورمت بالزنبيل عن ظهر البغلة فانتثر ما فيه من اللغات وتطايرت على رؤوس الجبال فنظر إليها موزع اللغات وقد جمدت شواربه من البرد وقال لا أتبعها أبدًا، ونظر إلى الزنبيل فإذا فيه حفنة من اللغات في أسفله فأخذها وأكمل طريقة) قصة غريبة لا تعدوا أن تكون مجرد أسطورة، ولكن الأغرب أن هذه المنطقة الصغيرة نسبيًا يوجد فيها هذا العدد من اللغات وسبحان الله العظيم. وجميع شعوب القوقاز تتكلم اللغة الروسية وتعتبر اللغة الرسمية عندهم.

وتفليس وطومانيس وجيلان وعند هذا الجبل تنمو الأعشاب والنباتات المتنوعة الألوان والأشجار المختلفة الأنواع وصولاً إلى بلاد الهند وحتى جبل سرنديل[1]؛ الذي هبط عنده سيدنا آدم وحدود هذا الجبل يُطلق عليها «دميرقابى» باب الحديد وعنده قلعة انوشروان أحد أكاسرة الفرس ولقد شيد انوشروان سد بالأحجار عند حدود جبل البرز إلا أن وصل بالنهاية للسد الذي بناه الاسكندر في نطاق جبل البرز[2]، ولا شك أنه مساوٍ ومعادل للسد الذي بناه الاسكندر من نواحي القوة والمنعة كما أن كسرا الفرس انوشيروان هو الذي شيد وبنى مدينة دمر قابي على يد الآلاف الذين ساقهم من عرب العراق، ولذلك تجد طائفة من الأقوام الموجودة بمنطقة دمرقابى يتكلمون إلى اليوم بلغة قريبة من اللسان العربي في الاصطلاحات والعبارات وهم قوم ظرفاء ويُقال أن لغتهم هي لغة قحطانية كالتي استخدمت في كتاب «جامع ملا» لعبد الرحمن جامي وهي كلمات فصيحة وبليغة، ومدينة دمير قابي قي شرقها منطقة الخزر، ولاية ترك وبلدة لان ومدنهما،

---

(١) **سرنديل**: الأصح سرنديب كان العرب يدعونها سرنديب وهي جزيرة موجودة شرقي الهند وتعرف اليوم باسم (سيرلانكا أو سيلان).

(٢) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٧١

وهما حاليا تابعين لمملكة موســكو، كما توجد قلعة ترك الكائنة في نطاق جبل البرز وهي آخر حدود ولاية ترك المترامية الأطراف. ومدينة دمير قابي ظلت إلى عام ١٥٧٧/٩٨٥ تحت وطأة الحكم الفارســي إلا أن جاء القائد اوزدمير زاده عثمان باشا الجركسي وفتحت على يديه عام ٩٨٦ه وكانت تلك آخر فتوحات له وفي عام ١٦٢٤/١٠٣٣م اسـتولى العجم على بغداد وكنجه وشــروان وشــماقيه ومدينة دمر قابي وطردوا منها امرائها، وعندما أتوا إلى الســلطان مراد الرابع مع خان القرم ســألهم ويحكم كيف اعطيتم قلعة دمر قابي للعجم ؟ ولكن لما السؤال المدينة الآن في أيدي العجم.

مرة أخرى: توجد أقوام القيتاق في شمال جبل البرز ويملكون ما مقداره خمسـون ألف جندي لكنهم تبعيتهم لمملكة موسـكو، مرة أخرى في جنوب جبل البرز ما يقال لهم اللزكي أو اللكزي، وهي أقوام مسـيحية وتبعيتهم لدولة الفرس، ويملكون ما مقدار خمسـون الف جندي، وفي أعلى الجبل من الناحية الشـرقية توجد قلاع تفليس وتومه نيس، وحتى عندما جاء السـلطان مصـطفى خان[1] في جلوسـه الثاني على العرش عام ١٠٣١/ ١٦٢٢ كانت القلعتان تفليس وتومه نيس لا تزالا تحت الحكم الفارسي،

---

(١) **السلطان مصطفى خان:** هو مصطفى الأول بن محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني (١٥٩١/٢٠يناير ١٦٣٩) كان يلقب بلقب – دلى – أي المجنون وهو السلطان الخامس عش والسابع عشر تولى حكم الدولة العثمانية مرتين ولعله لم يكن يدري شيئا عنها، عمل القتل والسجن في اخوته كما هي العادة لدى السلاطين العثمانيين، وفي عام ١٦١٨ عزله ابن أخيه عثمان الثاني، لكنه رجع إلى الحكم مرة ثانية بعد أن قتل الانكشارية عثمان الثاني، وفي ١٦٢٢ حكم سنة واحدة ثم عزله ابن أخيه مراد الرابع في ١٦٢٣ على ايدي الانكشارية وأصحاب الغايات وتوفي عام ١٦٣٩م، وكانى السلطان مصطفى الأول لا يملك من أمره شيئًا وصارت تقاليد البلاد في يد الانكشارية وعمت ارجاء البلاد الفوضى والاضطرابات وظلت ثمانية عشر شهرًا دون أن تجد حازمة تعيد البلاد إلى أمنها وسلامتها، واستمرارا لهذا العبث قام الانكشارية بعزل السلطان مصطفى الأول وولوا مكانه ابن أخيه السلطان مراد الرابع وكان حدثًا لا يتجاوز الثانية عشر من عمره. انظر: المدخل إلى التاريخ التركي –يلماز اوزطونا –ترجمة أرشد الهرمزي الدار العربية للموسوعات، دمشق ٢٠٠٥

وعندما أرسلت الاستانه جيش بقيادة «الوزير محمود باشا اباظه» لكن رجع عن ذلك بسبب قيام والي ارضروم «اباظه باشا» باستقلال ارضروم عن الدولة العثمانية[1] أثناء قيام حركة الجلاليين[2]، وظلت القلعتان بأيدي الفرس، والآن جبل البرز ما بين ولاية العجم وولاية داغستان،

---

(١) عانت الدولة العثمانية في الفترة الأولى من ولاية السلطان مراد الرابع عدم الاستقرار واستمرار الاضطرابات والفوضى الداخلية التي تجاوزت عاصمة الخلافة إلى أطرافها، حيث أشهر والي طرابلس الشام استقلاله وطرد الانكشارية من ولايته وفعل الشيء نفسه أباظه باشا والي ارضروم واستولى على انقرة وصادر اقطاعيات الانكشارية وانتهزت الدولة الصفوية هذه الفوضى التي عمت الدولة العثمانية واستولت على بغداد وحاولت الدولة أن تستردها فبعثت جيشًا يقوده الصدر الأعظم"حافظ باشا"فحاصر المدينة في عام ١٠٣٣/ ١٦٢٤ وضيق عليه الخناق، ولكن دون جدوى فتذمر الانكشارية، وأجبروا الصدر الأعظم على رفع الحصار والعودة إلى الموصل ومنها إلى دياربكر فعزله السلطان حتى تهدأ الأوضاع وعين مكانه خليل باشا الذي سبق أن تولى هذا المنصب قبل ذلك، لكنه لم يستمر طويلا وخلفه خسرو باشا عام ١٠٣٥/ ١٦٢٧ وبعد توليه الصدارة اتجه إلى ارضروم ونجح في إجبار أباظه باشا على التسليم والبدخول في طاعة الدولة العثمانية وكان ذلك في عام ١٦٢٩/١٠٣٧ لكنه لم يفلح في استرداد بغداد واضطر إلى رفع الحصار عنها ١٦٣١/١٠٣٩ وفي طريق العودة عزله السلطان مراد الرابع، وأعاد حافظ باشا للصدارة مرة أخرى. انظر: محمد توفيق، تاريخ عثماني، القسطنطينية، ١٣٠٥ه، ص: ١٧٧ وانظر تاريخ الدولة العلية العثمانية، مرجع سابق. وانظر مجلة المورد، ج٣، العدد٤، بغداد، ١٩٧٩، ص: ٧٩، ٩٥.

(٢) **الجلاليين**: نسبة إلى قائدهم ويدعى جلال، وهم الفرسان من أصحاب الاقطاعات الحربية والتي تمت مصادرة ممتلكاتهم الواسعة بعد اتهامهم بالهرب من ساحات القتال.

History of the Ottoman Empire and Turky –Cambridge ١٩٧٦، pp.١٨٥-١٨٩

وفي نطاق جبل البرز توجد سبع سناجق لكل منها سلطان يدير شئونها، ويطلق لقب شامخال خان على سلاطين تلك السناجق بإقليم داغستان يدعى بأسمائهم على المنابر في خطبة الجمعة ولكنهم ليسوا أصحاب سكة(عملة) والأقوام في تلك الديار مؤمنون موحدون بالله وهم على مذهب الإمام الشافعي، وتوجد في داغستان سبع قوميات مختلفون عن بعضهم البعض في اللغات، وان شاء الله سنكتب في محله عن ذلك، وجبل البرز ناحية قبلته ولاية داديان ومن اتجاه قبلته إلى الجنوب بانحراف أو ميل بسيط ولايات الأباظة الواقعة تماما على ساحل البحر الأسود، ومن الغرب ولاية الجركس التي تحدثنا عنها والمتحدة مع ولايات القبارطاي وطاوستان الجركسية، ومن هذا الموقع إلى الجانب الغربي يوجد سبع وأربعون خان بولاية القرم، مرة أخرى جبل البرز شماله ساحل بحر الخزر وولاية موسكو وبداية الحدود من قلعة ترك، ونتيجة الكلام الذي سجلناه في هذه المغامرة أنه على حدود وأطراف هذا الجبل يقطن عدد أحد عشر سلطانا(١).

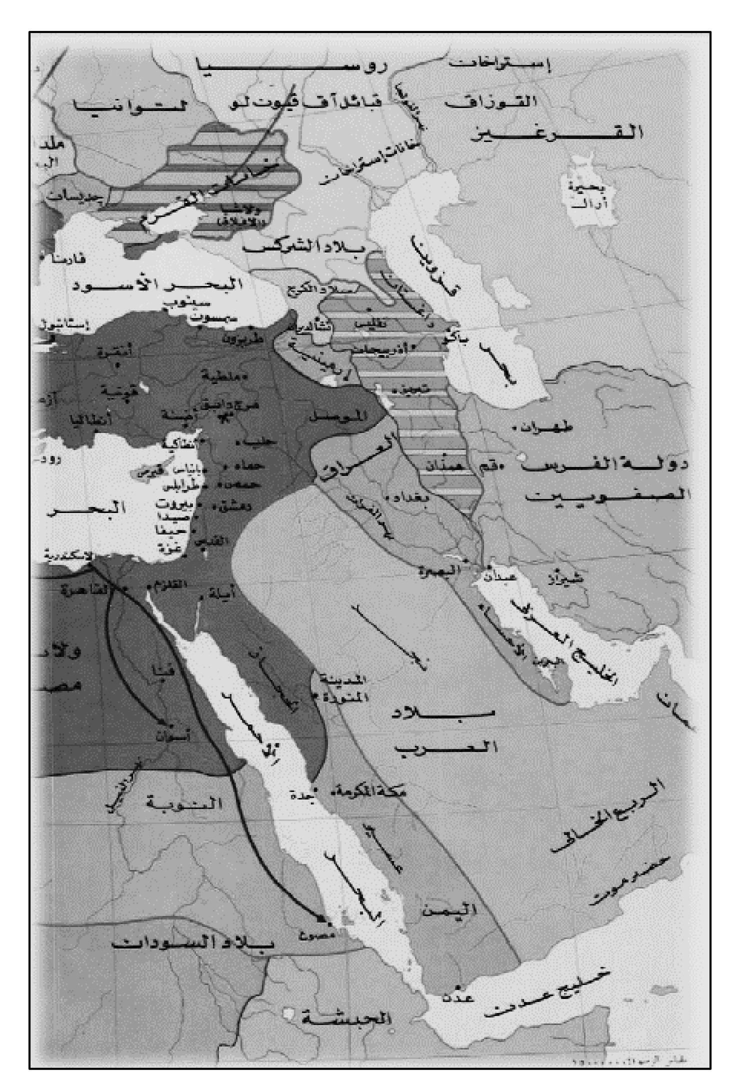
❁❁❁

---

(١) انظر: اوليا جلبى، سياحتنامه، المجلد السابع، ص: ٧٧٣.

الملاحق

خريطة رقم (١)



العثمانيون في القوقاز

المصدر، حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام

خريطة رقم (٢)

بحر الآزاق (آزوف)

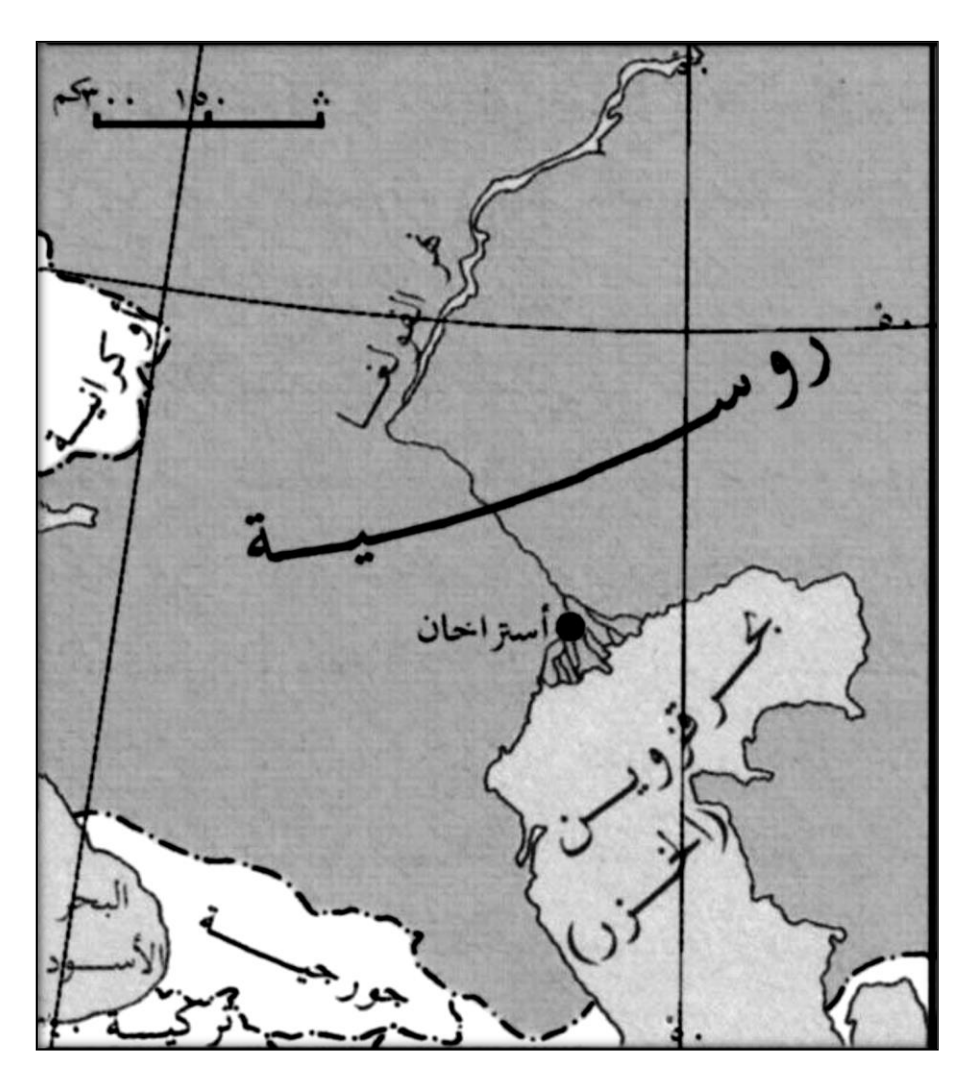
http://www.arab-ency.com



خريطة رقم (٣)

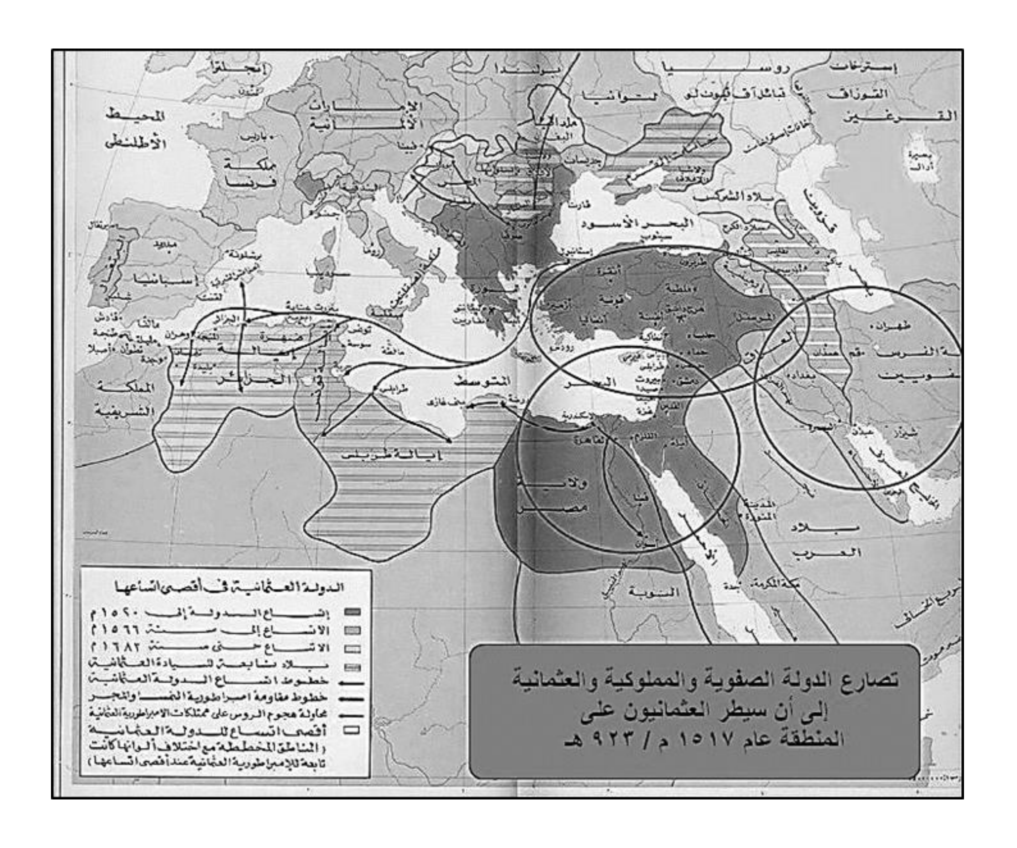
مدينة أستراخان

سعيد كريدية: أقليات، ص ٦٦.



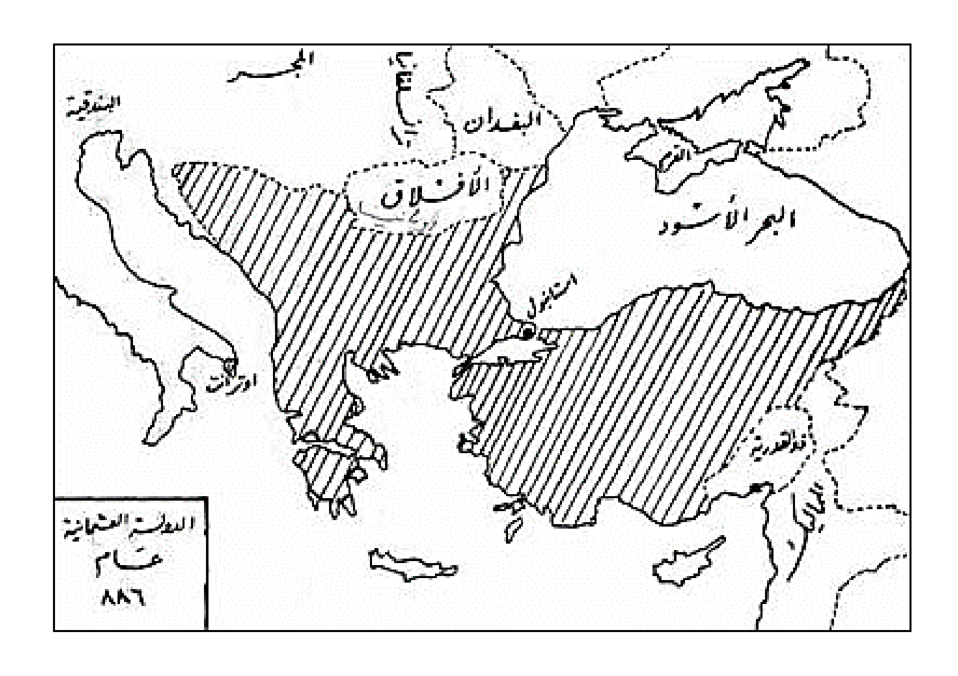
خريطة رقم (٤)

الدرلة العثمانية في أقصى اتساعها



خريطة رقم (٥)

البغدان والأفلاق



خريطة رقم (٦)

الاتحاد الروسي حاليًا



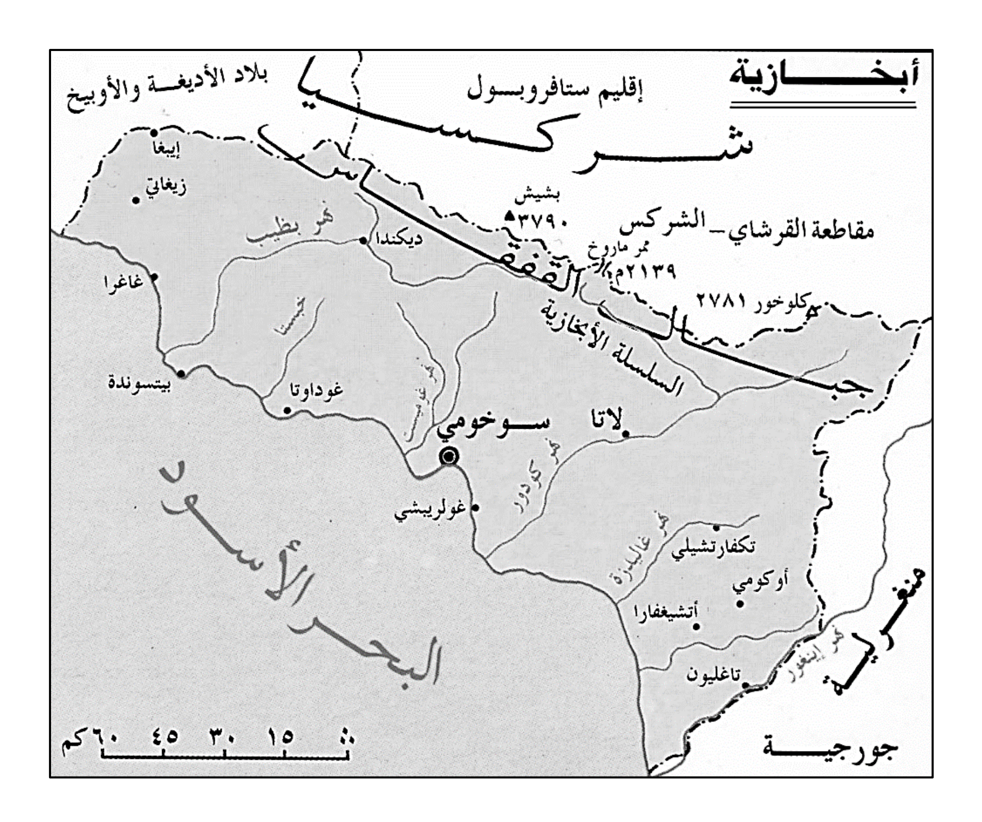
خريطة رقم (٧)

سد ذي القرنين



خريطة رقم (٨)

أبخازيا



الذين جلســوا على عرش الخانية ٥٠ خانًا منهم من حكم مرة واحدة ومنهم من حكم مرتين وعزل، ومنهم من جاء مرة ثالثة ثم عزل وجاء مرة رابعة، وهذا الجدول الإحصــائي يبين أســماء الخانات وتواريخ صــعودهم للعرش:

م	اسم الخان	الفترة الزمنية	الصعود للعرش
١	حاجي كراي	١٤٤١/١٤٢٧	المرة الأولى
٢	حيدر	١٤٥٦/١٤٤١	٢
٣	حاجي كراي الأول	١٤٥٦/ ١٤٦٦	
٤	نور الدولة	١٤٦٧/١٤٦٦	المرة الأولى
٥	منجلي كراي الأول	١٤٦٧	المرة الأولى
٦	نور الدولة	١٤٦٩/١٤٦٧	المرة الثانية
٧	منجلي كراي الأول	١٤٦٩/ ١٤٧٥	
٨	نور الدولة	١٤٧٦/١٤٧٥	المرة الثالثة
٩	....	١٤٧٨/١٤٧٦	فترة شاغرة قرابة العامين
١٠	منجلي كراي الأول	١٥١٥/١٤٧٨	المرة الثالثة
١١	محمد كراي الأول	١٥١٥/ ١٥٢٣	المرة الأولى
١٢	غازي كراي الأول	١٥٢٤/١٥٢٣	المرة الأولى
١٣	سادات كراي	١٥٢٤ /١٥٣٢	
١٤	إسلام كراي الأول	١٥٣٢	
١٥	صاحب كراي الأول	١٥٣٢/ ١٥٥١	

١٦	دولت الأول	١٥٧٧/١٥٥١	
١٧	محمد كراي الثاني	١٥٨٤/ ١٥٧٧	
١٨	سادات كراى الثاني	١٥٨٤	
١٩	إسلام كراي الثاني	١٥٨٨ /١٥٨٤	
٢٠	غازي كراي الثاني	١٥٩٦/١٥٨٨	المرة الأولى
٢١	فاتح كراي الأول	١٥٩٦	
٢٢	غازي كراي الثاني	١٦٠٧/١٥٩٦	المرة الثانية
٢٣	طوقاطميش كراي	١٦٠٨ /١٦٠٧	
٢٤	سلامت كراي	١٦١٠/١٦٠٨	
٢٥	جان بك كراي	١٦٢٣/ ١٦١٠	المرة الأولى
٢٦	محمد كراي الثالث	١٦٢٨/١٦٢٣	
٢٧	جان بك كراي	١٦٣٥/ ١٦٢٨	المرة الثانية
٢٨	عنايت كراي	١٦٣٧/١٦٣٥	
٢٩	بهادر كراي الأول	١٦٤١/ ١٦٣٧	
٣٠	محمد كراي الرابع	١٦٤٤/١٦٤١	المرة الأولى
٣١	إسلام كراي الثالث	١٦٥٤/ ١٦٤٤	
٣٢	محمد كراي الرابع	١٦٦٦/١٦٥٤	المرة الثانية
٣٣	عادل كراي	١٦٧١/١٦٦٦	
٣٤	سليم كراي الأول	١٦٧٨/١٦٧١	المرة الأولى
٣٥	مراد كراي	١٦٨٣/١٦٧٨	
٣٦	حاجي كراي الثاني	١٦٨٤/١٦٨٣	
٣٧	سليم كراي الأول	١٦٩١/١٦٨٤	المرة الثانية
٣٨	سادات كراي	١٦٩٢/١٦٩١	

٣٩	سليم كراي الأول	١٦٩٩/١٦٩٢	المرة الثالثة
٤٠	دولت كراي الثاني	١٧٠٢/١٦٩٩	المرة الأولى
٤١	سليم كراي الأول	١٧٠٤/١٧٠٢	المرة الرابعة
٤٢	غازي كراي الثالث	١٧٠٧/١٧٠٤	
٤٣	قابلان كراي الأول	١٧٠٨/ ١٧٠٧	المرة الأولى
٤٤	دولت كراي الثاني	١٧١٣/١٧٠٨	المرة الثانية
٤٥	قابلان كراي الأول	١٧١٥/ ١٧١٣	المرة الثانية
٤٦	دولت كراي الثالث	١٧١٧/١٧١٦	
٤٧	سادات كراي الرابع	١٧٢٤/ ١٧١٧	
٤٨	منجلي كراي الثاني	١٧٣٠/١٧٢٤	المرة الأولى
٤٩	قابلان كراي الأول	١٧٣٦/ ١٧٣٠	المرة الثالثة
٥٠	فاتح كراي الثاني	١٧٣٧/١٧٣٦	
٥١	منجلي كراي الثاني	١٧٤٠/ ١٧٣٧	المرة الثانية
٥٢	سلامت كراي	١٧٤٣/١٧٤٠	
٥٣	سليم كراي الثاني	١٧٤٨/ ١٧٤٣	
٥٤	ارسلان كراي	١٧٥٦/١٧٤٨	
٥٥	حليم كراي	١٧٥٨/١٧٥٦	
٥٦	قرم كراي	١٧٦٤/١٧٥٨	
٥٧	سليم كراي الثالث	١٧٦٧/١٧٦٥	المرة الأولى
٥٨	ارسلان كراي	١٧٦٧	
٥٩	مقصود كراي	١٧٦٨/١٧٦٧	المرة الأولى
٦٠	قرم كراي	١٧٦٩/١٧٦٨	

٦١	دولت كراي الرابع	١٧٧٠/١٧٦٩	
٦٢	قابلان كراي الثاني	١٧٧٠	
٦٣	سليم كراي الثالث	١٧٧١/١٧٧٠	المرة الثانية
٦٤	خلدون كراي الثاني	١٧٧٥/١٧٧١	
٦٥	دولت كراي الرابع	١٧٧٧/١٧٧٥	
٦٦	بهادر كراي	١٧٨٢/١٧٧٧	
٦٧	طولجه كراي	١٧٨٣/١٧٨٢	

Kırım Hanlığı hakkında ansiklopedik bilgi

ثبت المصادر والمراجع

أ- المصادر العربية:

١- إبراهيم حليم بك: التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤٠٨ه /١٩٨٨م

٢- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: كمال مرعي، المطبعة المصرية، بيروت، د. ط، ١٤٢٩ه/٢٠٠٨م

٣- أحمد بن فضلان: رحلة بن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، حررها وقدم لها شاكر لعيبي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، ٢٠٠٣م

٤- إسماعيل سرهنك: تاريخ الدولة العثمانية، تقديم: حسن الزين، دار الفكر الحديث للطباعة، بيروت، ١٤٠٨ه /١٩٨٨م.

٥- محمد فريد بك المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق إحسان حقي، دار النفائس للنشر والتوزيع، ط٨، بيروت، ١٤١٩ه /١٩٩٨م

٦- محمد أمين بن فضل الله المحبي: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م
٧- محمد بن عبدالله الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، اعتنى به وراجعه: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٧/٢٠٠٦م
٨- م. م. الرمزي: تلفيق الأخبار وتلقيح الأثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، قدمه وعلق عليه:إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م
٩- محمد جميل بيهم: فلسفة التاريخ العثماني أسباب انحطاط الإمبراطورية العثمانية وزوالها، بيروت، ١٣٧٣هـ/ ١٩٥٤م
١٠- يوسف آصاف: تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد عزت، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤١٥هـ /١٩٩٥م

١١- زين العابدين شـــمس الدين نجم، تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة، عمان، الأردن، ١٤٣٠ه /٢٠١٠م
١٢- مه ت جونا توقه يوسف عزت باشـا، تاريخ القوقاز عن أهمية بلاد القفقاس السـياسـية والحربية وعن منشـأ أممها وشـعوبها وقبائلها وتاريخها الحربي منذ قديم الزمان، مطبعة عيســى البابي الحلبي وشــركاه، تعريب: عبد الحميد بك غالب، اســتانبول، ١٣٣٠ه/ ١٩١٢م.
١٣- القلقشــندي، صــبح الأعشــى في صــناعة الانشــا، مطبعة كوستانوستاس، القاهرة، ١٩٦٣.
١٤- إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، د. ن، القاهرة، ١٩٤٦م

ب- المراجع العربية:

١٥- إبراهيم أحمد العدوي، المسلمون في القوقاز، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية مركز السيرة والسنة، جمهورية مصر العربية، دراسات إسلامية، العدد ١٢، رجب ١٤١٥ه / نوفمبر ١٩٩٦م

١٦- أحمد صادق: جغرافية آسيا، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٧- أحمد عادل كمال، اطلس الفتوحات الإسلامية،، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م

١٨- أحمد عبد الكريم سليمان:تيمور لنك ودولة المماليك الجراكسة، دار النهضة العربية، ١٤٠٥ه/١٩٨٥م

١٩- أزوقه محمد، القضية الشركسية،، دار ورد الأردنية، عمان، ٢٠١٠م.

٢٠- إسماعيل ياغي: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٤١٥ه/ ١٩٩٨م.

٢١- أمين سمكوغ: مدخل إلى تاريخ الجراكسة، دار دمشق ١٩٨٤.

٢٢- أمين سمكوغ: مدخل إلى تاريخ الشراكسة، دار دمشق، ١٩٨٤م.

٢٣- تاريخ الأدب التركي، حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠م.
٢٤- تاريخ مغول القبيلة الذهبية، محمد سهيل طقوش، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٧م.
٢٥- تجارب في الأدب والرحلة: أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٣م.
٢٦- حسن بن عايل وآخرون: الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى وأذربيجان وجمهوريات روسيا الاتحادية ذات الأكثرية المسلمة، مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز، ط. ١، ٢٠١١/ ١٤٣٢
٢٧- الرحلة إلى مصر والسودان والحبشة، إشراف وتقديم محمد حرب، ماجدة مخلوف، القاهرة، دار الأفاق العربية.
٢٨- الرحلة في الأدب العربي، شعيب حليفي، دار الرؤية، القاهرة
٢٩- الرحلة والرحالة المسلمون: أحمد رمضان أحمد، دار البيان للطباعة والنشر، جدة، ١٩٩٨م.
٣٠- زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك، دار الفرقان للنشر، ١٩٨٦م

٣١- سعيد بينو، الشيشان والاستعمار الروسي، ١٨٥٩-١٩٩١م، مطابع الصفوة، عمان، ١٩٩٧م.
٣٢- سعيد كريدية: أقليات إسلامية منسية، ٢٠٠٩م.
٣٣- سمير شمس الدين حراتوقه، حب وحرب في القفقاس، دمشق، ٢٠٠٠م.
٣٤- الشركس في فجر التاريخ: شعوب شمال القفقاس الأصلية حتى عصور الميلاد، سمكوغ برزج، الناشر، دار علاء الدين ١٩٩٥م
٣٥- الشعوب الإسلامية في القفقاس وروسيا وآسيا الوسطى، مجموعة من المؤلفين، دار علاء الدين للنشر والتوزيع ٢٠٠٦م
٣٦- الشعوب الإسلامية في القفقاس وروسيا وآسيا الوسطى موسوعة مجموعة من المؤلفين،
٣٧- شفيق جحا، منير البعلبكي، بهيج عثمان: المصور في التاريخ، دار العلم للملايين، الجزء السادس. بيروت

٣٨- عباس إسماعيل الصباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية الحرب والسلام بين العثمانيين والصفويين، دار النفائس، بيروت ١٤٢٠هـ /١٩٩٩م

٣٩- عبد العزيز سالم، تاريخ العرب منذ ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، القاهرة، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٤م.

٤٠- العلاقات السياسية والاجتماعية بين المسلمين وشعوب القوقاز خلال القرنين الأول والثاني الهجري، مجلة كلية الآداب، حلوان، عدد ١٩٩٩/١/١

٤١- علي حسون: ققفاسيا بين العثمانيين والروس، دار الرؤية، دمشق، ط٣، ١٤١٥هـ/ ٢٠٠٧م.

٤٢- علي خليل أحمد، الدولة العثمانية في سنوات المنحة (المقدمات – الوقائع – النتائج)، دار ومكتبة الحامد، عمان، ٢٠١٠م.

٤٣- علي شعيب: بطرس الأكبر قيصر روسيا، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٢م.

٤٤- علي محسن عيسى مال الله: أدب الرحلات عند العرب نشأته وتطوره حتى نهاية القرن الثامن الهجري، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٨٤م.
٤٥- غالي على الله ورديبوف: أذربيجان اليوم، تقديم اسرافيل وكيلوف، مراجعة وتحرير: عبدالله سعد، مركز فجر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٦م.
٤٦- فؤاد صياد: المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٩٢م.
٤٧- فيل، فون (١٩٩٤) السنة الأخيرة لحروب الشراكسة من أجل الاستقلال، منشورات اللجنة الثقافية لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية،
٤٨- كات فيلت، التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، تعريب أيمن الأرمنازي، مكتبة العبيكان، ١٤٢٥/٢٠٠٤م.
٤٩- مجموعة مؤلفين: القفقاس وروسيا واسيا الوسطى، ترجمة طه الولي، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٦م.

٥٠- محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة العباسية، تحقيق عبده علي كوشك، دار البشائر الإسلامية، ١٢٨٩-١٣٤٥هـ.

٥١- محمد الصلابي: الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الإسلامية، بورسعيد، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م.

٥٢- محمد العبده: القوقاز حصن العالم الإسلامي في وجه الزحف الروسي، مركز دراسات العالم الإسلامي، لندن، ٢٠٠٣م.

٥٣- محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة، دار القلم، دمشق، ط. ٢، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٥٤- محمد خير حفتدوقه، الشركس أصلهم تاريخهم عاداتهم هجرتهم إلى الأردن،، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م

٥٥- محمد سهيل طقوش: تاريخ المغول العظام والإيلخانيين، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٥٦- محمد قباني: الوجيز في الخلافة الراشدة، دار وحي القلم، ط. ١، ٢٠٠٦

٥٧- محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١٤٢١،٤هـ/٢٠٠٠م.
٥٨- محمود عبد الرحمن: تاريخ القوقاز نسور الشيشان في مواجهة الدب الروسي، دار النفائس للطباعة والنشر.
٥٩- مركز أنصار الإعلام: سلسلة تاريخ القوقاز المسلم من الفتح الإسلامي إلى إمارة المجاهدين.
٦٠- المكاييل والأوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، فالتر هانتس، ترجمة: كامل العسيلي، عام ١٩٧٠م.
٦١- يا ابراموف، القوقازيون الشراكسة، ترجمة زهدى وراتب سطاس، منشورات اللجنة الثقافية لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية، دمشق، ط. ١، ١٩٨٩م

ج- المراجع المترجمة:

٦٢- أحمد جودت: تاريخ جودت، تعريب:عبد القادر الّدنا، تحقيق عبد اللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠ه/ ١٩٩٩م

٦٣- خليل اينالجيك: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢م.

٦٤- اكمل الدين احسان اوغلى: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم، المجلد الأول، نقله إلى العربية صالح سعداوي، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠١٠م.

٦٥- رينيه غروسيه، جنكيز خان قاهر العالم، تعريب: خالد أسعد عيسى، دار حسان، دمشق، ١٩٨٢م.

٦٦- ستيفن غراهام: ايفان الرهيب أول القياصرة، ترجمة: يوسف البسام، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م.

٦٧- مجموعة من الباحثين: الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان اوغلى، ترجمة: صالح سعداوي، أرسيكا، استانبول، ١٩٩٩م

٦٨- مجموعة من الباحثين، تاريخ الدولة العثمانية، إشراف: روبير مانتران، ترجمة: بشير السباعي، دار الفكر للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٣م

٦٩- و. بارتولد: الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: أحمد السعيد سليمان، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٦م.

٧٠- يلماز اوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، مؤسسة فيصل للتمويل والنشر، استانبول، ١٤١٨ه/ ١٩٩٨م.

د- الموسوعات العربية:

٧١- أئمة المستشرقين في العالم، دائرة المعارف الإسلامية، إعداد النسخة العربية: إبراهيم خورشيد وآخرون، دار الشعب، القاهرة، ١٩٩٣م.

٧٢- س. موستراس: المعجم الجغرافي للإمبراطورية العثمانية، ترجمة: عصام الشحادات، دار ابن حزم، بيروت، ٢٠٠٢م.

٧٣- سهيل صابان: المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مراجعة: عبد الرازق محمد بركات، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢١ه/٢٠٠٠م.

٧٤- عبد الوهاب المسيري: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، نموذج تفسيري جديد، دار الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م.

٧٥- آمنة أبو حجر: موسوعة المدن الإسلامية، دار أسامة للنشر، عمان، الأردن عام ٢٠٠٣م.

٧٦- موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري (٦٢٩ه/ ١٣٤١ه-١٢٣١/١٩٢٢م) ج١، ترجمة عدنان محمد سليمان، ط. ١، ٢٠١٠م.

٧٧- الموسوعة العربية العالمية: مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ١٤١٦ه/ ١٩٩٦م.
٧٨- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع ١٤١٦ه/ ١٩٩٦م.
٧٩- موسوعة المورد، منير البعلبكي، بيروت، ١٩٩٦م.
٨٠- الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩م.

ه- المصادر العثمانية:

٨١- أوليا چلبى سياحتنامه سى: يدنجى جلد، تورك تاريخ انجمنى كلياتى، عدد١٣، استانبول، اورخانيه مطبعه سى، ١٩٢٨.

٨٢- جودت باشا: قريم وقفقاس: تاريخجه سى، حليمكر ايبك كلبن خانان دن ملتقطدر، مطبعه أبو الضيا قسطنطينية، يدنجي طبعى، ١٣٠٧ه

٨٣- خير الله افندي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، المطبعة العامرة، استانبول، ١٠٣٢ه

٨٤- راشد محمد راشد: افندي: تاريخ راشد، المطبعة العامرة، استانبول ١٢٨٢ه.

٨٥- رضا نور: تورك تاريخي رسملي خريطلى، تأليف وترجمة انجمننجه قبول ايدلمشدر، ١٣٤٣ه/١٩٢٥م عدد ٥٤، معارف وكالتي نشريتندن، تركيه جمهوريتى

٨٦- شمعداني زاده: مرئى التواريخ، معارف نظارتي طرفندن طبع ايديترلمشدر، استانبول، ١٣٣٨ه

٨٧- عبد الرحمن محمد شرف: تاريخ دولت عليه عثمانيه (قره بت) مطبعه سي، باب عالي جاده سنده، استانبول، طبع ثاني، ١٣١٥ه

٨٨- فون هامر: دولت تاريخي، ترجمة: محمد عطا، استانبول، ١٣٣٥ه.
٨٩- محمد شفيق: روضة الأبرار، شرح شفيق نامه، استانبول، ١٣١٦ه
٩٠- مصطفى نعيما الحلبي: تاريخ نعيما المسمى (روضة الحسين في خلاصة أخبار الخافقين) المطبعة العامرة، استانبول، ١٣١٧ه.
٩١- محمد شفيق: روضة الأبرار، شرح شفيق نامه، استانبول، ١٣١٦ه.

و ـ الموسوعات العثمانية

٩٢- شمس الدين سامي: قاموس الأعلام، تاريخ وجغرافيا لغاتى وتعبير اصحله كافه أسماء خاصه ييجامع در، مهران مطبعه سي – باب عالي جاده سنده ١٣٠٨هـ.

ز- المراجع التركية :

٩٣- Ahmet Ayhun: Kirim Hanliğ i Ve Çökkü Sebepleri، Doktoratezi، Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürlüğü، Marmare Üniversitesi، Istanbul ، ٢٠٠٨.

٩٤- Alan Fisher: Kirim Tatarlar، Çeviren: Esref B.Őzbilen Sel Yayinlari، Istanbul، ١٩٩٨.

٩٥- Ali Riza: ١٦. ١٧ Yüzyil Divan Edebiyatinde Nazim ve Bu yüzyil lardaki Kirimli Divan sairleri Uluslararasi، ١٩٨٧

٩٦- Bilimseltezler:

٩٧- Bir Hayat Tarafindan Yazmiș tir. Mufassal Osmanli Tarihim، ١٩٥٨، sehir madai، Istanbul

٩٨- Cafer Erkiliğ، Evliya Çelebi Hayati، Sanati، Esesrleri، Varlik Yayinevi، Istanbul.١٩٥٤

٩٩- El-Mevarid، Arabça-Türkçe، Luğ at، MevlutSari، Gonca Yayin Evi، Hasan Bağpehlivan، Istanbul

١٠٠- Evliya Çelebi Seyahatnamesi، Günümüz، Türkçesile، Viyana، Eflak، Boğdan، Bükreş ، Ukrayna، Kirim، Bahçesaray Çerkezistan، Dağ istan، Kalmukstan، Saray، Moskova، ٧. kitap-١. Cilt، Hizirlayan: Seyit Ali Kahraman، Yapi kredi yayinlari، ٢٠١٠.

١٠١- Fehri Unan: Ferman ve Mektublarin iğğinda Osmanli Devletilr KirimHanliğ i arasindaki Iliş kilarin niteliğ ، (Uluslararasi)، ٢٠٠٦

١٠٢- Ferit Devellioĝlu،Osmanlica-TürkÇe Ansiklopadik Lüĝat، ١١. Baski ، Aydin Kitab Evi Yayinlari-Ankara، ١٩٩٣

١٠٣- Hakki Dursun Yildiz: Büyük Islam Tarihi، Çağ Yayinlar، Ank.١٩٩٣.

١٠٤- Halil Inalcik: Osmanli-Rus Iliş ikleri ١٤٩٢-١٧٠٠ Türk Tarih Kurumu Basimevi، Ankara، ١٩٩٩.

١٠٥- hazirlayan Abdülkadir dedoğlu. Osmanli yayinevi، ٦-Osmanlilar albümü: birinci kitap.Ankara، ٢٠٠١

١٠٦- Islam Ansikiopedisi، Islam Alemi، Tarih Cografya Milli Egitim Basimevi، Istanbul، ١٩٨٩

١٠٧- Islam Ansikiopedisi، Türkiye Diyanet Vakfi، Istanbul، ١٩٩٦.

١٠٨- Ismail Hakki: Osmanli Tarihi، Türk Tarih Kurumu Basimevi، Ankara، ١٩٨٣.

١٠٩- Joseph Von Hammar: Osmanli Devleti Tarihi، Çeviren:Mehmet Ata، Kapi Yayinlar، Istanbul، Birinci Baski، ٢٠٠٨

١١٠- Mustafa Kesbi: Ibretnâmeyi، Devlet، Hazirlayan:Ahmet Őgretin، Türk Tarih Kurumu Basimevi، Ankara، ٢٠٠٢

١١١- Nazim Muradv:KirimHanliği-Ukranya-Plonya iliğiklerini yanstmasi Tarihsal yonuvedil özelleriyle، Manzum sefer name Eseri.

١١٢- Őmer Büyük:Osmanli Yönetiminde Kirim (١٦٠٠-١٧٧٤) Doktoratezi، Sosyal، Bilimler Enstitüsü Yeni، Çağ Tarihi Anabilim، Ege Üniversitesi، Izmir، ٢٠٠٧

١١٣- Sadi Irmak: Cevdet Paş a Tarihinden Seçemeler، Delet Kitaplan، ٢. Baski، Istanbul، ١٩٧٣.

١١٤- Seyit Kemal Kara Ali Oğ lu: ansklopedik edebiyat sözlüğ ü، Geniş letilmiş ، Ikinci Basim، Inkilap ve Aka Kitabevleri، Istanbul، ١٩٧٨.

١١٥- Türkiye Diyanet، Kültür Bakanliğ i Yayinlari، Üçüncü Baski، Istanbul، ١٩٩٦.

١١٦- Yilmaz Őztuna: Devlet ve Hanedenler (١٦٤٦) Kültür Bakanliğ i Yayinlari.

١١٧- Yücel Őztürk: Osmanli Hakimiyetinde، Kefe (١٤٧٥-١٦٠٠)، T.C. Kültür Bakanliği Milli Kutup hane، Basim evi، Ankara، ٢٠٠٠

١١٨- Yücel Őztürk:Kirim Hanliği Türkler، Sedeleș tirme، Hasan Güzel، Kemal Çiçek، Yeni Yürekler Yayinlar، Ankara، ٢٠٠٢

ح- المراجع الإنجليزية:

١١٩- A short Historical account of the Crimea، Hertford Printed and Published by Stephen Austin، London، Troubler and، co، ١٢، paternoster Row.

١٢٠- Dankoff ، Robert & Kim ، Sooyong: An Ottoman Traveller، Selections from the book of travels by Elevia Celebi، Commentary and trans، ٢٠١٠، Eland Books

١٢١- Louis Werner is a writer and filmmaker living in New York.

١٢٢- Related articles from past issues can be found website، www. Saudiaramco world. com click on »indexes« then on the cover of the issue indicated below. Süleymaniye Mosque: s/o ٠٦ Istanbul: M/ A٩٦، J/ F ٩٥، J/A ٩٠

ط. مراجع مترجمة أخرى:

١٢٣- البيكسى جيفارونسكي: سلطان البرين، كييف- باغجه سراي، ط.١، ٢٠٠٧م، مترجم عن الروسية.

ي. المواقع الإلكترونية:

١٢٤- .http://www.bipm.org

١٢٥- http:// WWW.VAKIKAVKAS.COM

١٢٦- http://www.gafrd/org

١٢٧- www.alargam.com/measures/mizan/jomaa، pdf

١٢٨- www.caucasus.com.

١٢٩- www.history of word.org.artciales/wars-thirteen-years

١٣٠- www.iccrimea.org، historicalmtearih

١٣١- www.marefa.org

١٣٢- www.rus-sky.org/history/library/documents.htm

١٣٣- www.vatankirm.net//yazi.sap



فهرس الموضوعات